السلفية

شبهات و ردود

للعلامة محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله

جمع وترتيب

محمد حامد محمد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ــ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) آل عمران/١٠٢

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء/١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب/٧٠ -٧١ .

ثمَّ أما بعد...

وما زال معين محدث العصر وعلامة الشام ناصر السنة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى زاخرٌ باللآلئ والدُرر التي لا تنضبُ – ولله الحمد – وها نحن اليوم

نقدم لمحبي الشيخ وطلبة العلم فريدةٌ جديدةٌ من فرائد الشيخ رحمه الله (السـلفية .. شبهات وردود) وبها من الفوائد والمباحث الكثير والكثير ، وكأن الشيخ يكتب عن حالتنا اليوم وما تموج به الأمة والله المستعان !

وقد وضعت مقدمة تعريفية لغوية لمفهوم السلفية ، من كتابي " السلفيون .. في مصر " توضيحًا للأمر ، وزيادة بيان ، والله أسأل أن ينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مفهوم السلفية

اتفق علماء اللغة على أن السلف يطلق على الماضى المتقدم .

- قال الجوهري فى الصحاح (٦٠٣) :

"سلف يسلف سلفاً أى : مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف ، وسلاف ، والسلف نوع من البيوع يعجل فيه الثمن ، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم ، والسلف والسليف المتقدم ، والتسليف التقديم "ا هـ.

- وقال الرازى فى مختار الصحاح (٣٠٩):

"سلف يسلف بالضم مضى ، والقوم السلاف المتقدمون ، والجمع أسلاف " اهـ .

- قال الراغب الأصفهاني فى مفرداته (٢٤٤):

"السلف : المتقدم ، قال تعالى (وجعلناهم سلفاَ ومثلاَ للآخرين) ....ولفلان سلف كريم : أي آباء متقدمون "اهـ.

- وقال الفيروز آبادى فى القاموس المحيط (١٥٨/٣):

"والسلف ..... كل من تقدمك من آبائك وقرابتك "اهـ .

- وجاء في العين (باب السين واللام والفاء معهما) :

" سلف: أسلفته مالاً: أقرضته، والسلف من القرض.والسَّلَفُ: كلُّ شيءٍ قَدَّمْتَه فهو سَلَفٌ، والفعل سَلَفَ يسلُفُ سُلُوفاً.والقومُ إذا أرادوا أن يَنْفِروا فمن تقَدَّم مـــن نَفيرهم فسَبَقَ فهو سَلَفٌ لهم، قال:

نحن مَنَعُنا مَنبتَ النَّصِيِّ بسَلَفٍ أَرعَنَ عَنْبَريِّ

والسُّلْفَةُ: ما يَتَسَلَّفُ الرجلُ فيأكُلُ قبل غَدائه.والأُمَم السالفة الماضية أمام الغابرة، قال:

ولاقَتْ مناياها القُرونُ السَّوالِفُ كذلك تَلقاها القرون الخوالِف

أي يموت من بقِيَ كما ماتَ من مَضَى. " اهـــ

- وجاء في المقتضب (باب السين واللام والفاء) :

السلَفُ: من القَرْضِ، أسْلَفَ إسْلافاً، وتَسَلَّفْتُ واسْتَسْلَفْتُ. وكذلك ما قَدمْتَه أمامَكَ فهو سَلَفُك، والفِعْلُ: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُوْفاً. وكذلك القَوْمُ إذا أرادوا النَفْـــرَ فَمَنْ تَقَدمَ من نَفِيْرِهم فَسَبَقَ فهو سَلَفٌ. والمُسْلِفُ: الجارِيَةُ إذا كانَتْ فَوْقَ الكاعِبِ، وقد أسْلَفَتْ. وبَعِيْرٌ مُسَالِفٌ: أي مُتَقَدِّمٌ. وهذا سَلِيْفٌ من الناسِ: أي سَلَفٌ، وهـــو ضِد الخَلِيْفِ. والأمَمُ السالِفَةُ: هي الماضِيَةُ أمَامَ الغابِرَةِ، وهي السَّوَالِفُ.اهـــ

- وجاء في تهذيب اللغة (مادة سلف) :

والسلَف أيضا: من تقدَّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السنّ والفضل، واحدهم سالف، ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

مَضَوا سَلَفاً قَصْدُ السبيلِ عليهمُ   وصَرْفُ المَنايا بالرِّجال تَقَلَّبُ

أراد أنهم تقدَّمونا وقصد سبيلنا عليهم أي نموت كما ماتوا فنكون سلفاً لمن بعدنا كما كانوا سلفاً لنا.

وقال الفراء في قول الله جل وعز: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) [الزخرف : ٥٦] يقول: جعلناهم سَلَفاً متقدِّمين ليتّعظ بهم الآخرون.

قال: وقرأ يحيى بن وثّابٍ " سَلَفاً " مضمومة مثقّلة.

قال: وزعم القاسم أنه سمع واحدها سَلِيفاً، قال: وقرئ " سلَفاً " كأن واحدها سُلفة، أي قطعة من الناس مثل أُمة.

وقال الليث: الأُمم السالفة: الماضية أمام الغابرة، وتُجمع سوالف، وأنشد في ذلك:

ولاقَتْ مَناياها القُرونُ السَّوالِفُ كذلك يَلْقاها القُرونُ الخَوالِفُ

- قال ابن منظور في لسان العرب (مادة سلف) :

والسلَفُ أَيضاً من تقدَّمَك من آبائك وذوي قَرابَتِك الذين هم فوقَك في السنِّ والفَضْل واحدهم سالِفٌ ومنه قول طُفيل الغَنَوي يَرْثي قومه:

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السبيلِ عليهمُ   وصَرْفُ المَنايا بالرِّجال تَقَلَّبُ

أَراد أَنهم تقدّمونا ، وقصدُ سَبيلِنا عليهم أَي نموت كما ماتوا فنكون سَلَفاً لمـــن بعدنا كما كانوا سلفاً لنا .وفي الدعاء للميت:واجعله سلَفاً لنا قيل هو من سَـــلَفِ المال كأَنه قد أَسْلَفَه وجعله ثمناً للأَجر والثواب الذي يُجازى على الصبر عليه وقيل سَلَفُ الإنسان مَن تقدَّمه بالموت من آبائه وذوي قَرابته ولهذا سمي الصدْر الأَول من التابعين السلَف الصالح ومنه حديث مَذْحِجٍ نحن عُبابُ سَلَفِها أَي مُعْظَمهـــا وهـــم الماضون منها وجاءَني سَلَفٌ من الناس أَي جماعة اهـــ

قلتُ : ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله عنها :"فإنه نعمَ السلفُ أنا لكِ " أخرجه مسلم (٢٤٥٠/٩٨).

والسلفى هو : المنسوب أو المنتسب للسلف ، لأن الياء هـــذه يـــاء النســـبة ، فالسلفى هو الذى ينسب نفسه ،أو ينسبه غيره للجماعة المتقدمين ، ولابد من علـــة لهذه النسبة.

هذه العلة ليست سوى تحقيقه-أو زعمه التحقيق-بجانب السبق الذى صار بـــه أولئك سلفاً ، تقدم به على الخلف معه فى السير أو حيازة الفضـــل الـــذى كـــان السابقون به سلفاً ، ونحو ذلك [1].

- واصطلاحاَ :

ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شـــأنه في الـــدين،

[1] السلفية وقضايا العصر ،د .عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ص١٩ ،ط دار إشبيليا

وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والنخعي والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، دون من رمي بالبدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج والـــروافض والمرجئـــة والجبريـــة والجهمية والمعتزلة .[1]

فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم وإن باعدت بينـــه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بـــين أظهـــرهم وجمع بهم نفس المكان والزمان .

و يعضد هذا الذي ذهبنا إليه قول الإمام البخاري رحمه الله – فى صحيحه

[باب : الركوب على الدابة الصعبة ، والفحولة من الخيل ، وقال راشد بـــن سعد : كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر].

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح(٦/٥١) :

"قوله: (كان السلف) : أى من الصحابة فمن بعدهم" اهـــ.

قلتُ : راشد بن سعد ، من الثالثة ، كثير الإرسال ، قد روى عن جماعة مـــن الصحابة ، فيكون المقصود بالسلف هنا : الصحابة ، ومن تبعهم على طريقتهم من التابعين .

[1] العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية ٦/١

وقال (٥/٢٠٦٨): باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

وقال أيضاً : قال الزهري في عظام الموتى – نحو الفيل وغيره – :"أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها، ويدّهنون بها ولا يرون بأساً" فتح الباري (٣٤٢/١).

وأخرج مسلم من طريق محمد بن عبد الله قال سمعت علي بن شقيق سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف. مقدمة صحيح مسلم ص٦

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم قل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم". الشريعة للآجري ص٥٨

- وقال القاضى عياض فى "إكمال المعلم "(٥٥٣/٨):

"بين السلف اختلاف كبير فى كتابة العلم من الصحابة و التابعين " اهـ. فحد السلف بالصحابة و التابعين .

- قال القلشانى –رحمه الله– فى " تحرير المقالة" (٣٦):

"السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون فى العلم ، المهتدون بهدى النبى صلى الله عليه وسلم ، الحافظون لسنته ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده ، وأفرغوا فى نصح الأمة ونفعها ، وبذلوا فى مرضاة الله أنفسهم .اهـ

- قال السفاريني – رحمه الله- فى الواقع الأنوار (١/٢٠):

"والمراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وائمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه فى الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاَ عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضى مثل الخوارج و الروافض والقدرية و المرجئة والجبرية والجهمية و المعتزلة و الكرامية ونحو هؤلاء "اهـ

وقال السمعاني في الأنساب (٢٧٣/٣): "السلفي؛ بفتح السين واللام وفي آخرها فاء: هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سعمت منهم"اهـ

وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/٢١) عند ترجمة : الحافظ أحمد بن محمد المعروف بـ أبي طاهر السلفي: "السلفي بفتحتين وهو من كان على مذهب السلف".اهـ

* وقال في ترجمة الفسوي "وما علمت يعقوب الفسوي إلا سلفيًا" السير (١٨٣/١٣)

* وقال في ترجمة محمد بن محمد البهراني : "وكان ديناً خيراً سلفياً". معجم الشيوخ : (٢٨٠/٢)

* وقال في ترجمة: أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي: "وكان على عقيدة السلف" معجم الشيوخ : (٣٤/١)

* وقال في السير(١٦/٤٥٧) " وصحّ عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام.

قلت- أي الذهبي - لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً".

* وقال في ترجمة ابن الصلاح "قلت وكان سلفياً حسن الاعتقاد كافّا عن تأويل المتكلمين " تذكرة الحفاظ (٤/١٤٣١)

* وقال في ترجمة عثمان بن بن خرزاذ الطبري : "فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكيا نحويا لغويا زكيا حييا سلفيا" السير (١٣/٣٨٠)

* وقال في ترجمة الزبيدي "وكان حنفيا سلفيا" السير (٢٠/٣١٧)

* وقال في ترجمة ابن هبيرة "وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفيا أثريا" السير (٢٠/٤٢٦)

* وقال في ترجمة ابن المجد "وكان ثقة ثبتا ذكيا سلفيا تقيا" السير (٢٣/١١٨)

* وقال في ترجمة يحيى بن إسحاق: "وكان عارفاً بالمذاهب خيراً متواضعاً سلفياً حميد الأحكام ... ". معجم الشيوخ رقم (٩٥٧).

- سئلت اللجنة الدائمة : ما هى السلفية وما رأيكم فيها ؟

الجواب:

" السلفية نسبة إلى السلف ، والسلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدي من أهل القرون الثلاثة الأولى – رضى الله عنهم- الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير فى قوله(خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينة ويمينة شهادتة) رواه الأمام أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم ، والسلفيون جمع سلفى نسبة إلى السلف ، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب و السنة والدعوة إليهما و العمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة و الجماعة "اهـ [1]

و تعريف "السلف" بالصحابة و التابعين لا نجده عند أهل الحديث فقط، بل كان الاصطلاح متداولاً وواردًا عند أهل الكلام ، قال أبو حامد الغزالي في "إلجام العوام عن علم الكلام" (ص٦٢) مُعَرِّفًا السلف : "أعني مذهب الصحابة و التابعين" .اهـ

وقال الشيخ محمد أمان الجامي – رحمه الله – : " عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضاً طرياً في أصوله وفروعه. كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم "خير الناس" حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" ، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين." اهـ[2]

---

[1] فتاوي اللجنة الدائمة (١٦٥/٢) فتوى رقم (١٣٦١) .

[2] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتتريه (ص٥٧)

- قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز –رحمه الله-:

"إن السلف هم أهل القرون المفضلة ، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو (سلفى) ومن خالفهم فى ذلك فهو من (الخلف)" اهـ [١]

- وقال سماحة الشيخ بكر بن عبد الله ابو زيد – رحمه الله- :

" وإذا قيل : السلف ، أو السلفيون ، أو لجادتهم : السلفية : فهى هنا نسبة إلى السلف الصالح : جميع الصحابة رضى الله عنهم من الخلوف الذين انشقوا عن السلف الصالح باسم أو رسم ، .... وعليه فإن لفظه (السلف) هنا يعنى : السلف الصالح ، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعنى كل سالك فى الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم حتى ولو كان فى عصرنا .. وهكذا ، وعلى هذا كلمة أهل العلم ، فهى نسبة لم تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول ، بل هى منهم وإليهم ، اما من خالفهم باسم او رسم ، فلا وإن عاش بينهم ، وعاصرهم ، ولهذا تبرأ الصحابة رضى الله عنهم من القدرية و المرجئة ونحوهم "اهـ .[٢]

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - في شرح العقيدة الواسطية (١/٥٣ـ٥٤) ما نصه : "... يخطئ من يقول : إن أهل السنة والجماعة ثلاثة : سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ نقول : كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون !! (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) [يونس:٣٢] ، وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟! هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين.

---

[١] نقلا من تعليق الشيخ حمد بن عد المحسن التويجري على العقيدة الحموية ص٢٠٣

[٢] حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص٤٦

فنعم وإلا فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة . فمن هو ؟! الأشعرية ؟ أم الماتريدية ؟ أم السلفية ؟ نقول : من وافق السنة فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة، فنحن نقول : السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها. لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة لا يمكن، وكيف يمكن أن نقول: عن ثلاث طوائف مختلفة إنهم مجتمعون فأين الاجتماع ؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنه سلفي" .اهـ

إذن فالسلفية عَلم على أصحاب الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة و التابعين من القرون الثلاثة الأولى المشهود لهم بالخيرية ، و من حيث المضمون فتعني السلفية في الإسلام كما يقول الدكتور مصطفى حلمي في كتابه "السلفية بين العقيدة الإسلامية و الفلسفة الغربية"(ص ٥) " التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه في ذروته الشامخة ، و قمته الحضارية ،كما توجهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الثلاثة الأولى المفضلة و فيها تحقق الشكل العلمي و التنفيذ الفعلي، و منه استمدت حضارة المسلمين أصولها و مقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعًا للتوحيد ، و بيانًا لدور الإنسان في هذه الحياة ، و تنفيذا لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة ، في الاجتماع و السياسة و الاقتصاد و روابط الأسرة و فضائل الأخلاق".اهـ

و هي من جهة أخرى اقتداءً بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم و سائر الأنبياء عليهم السلام ، و هذا يتضح من خلال التدرج في الدعوة و البدء بالأهم و مراعاة ما يسمى بـ "فقه الأولويات"، فالدعوة السلفية إصلاحية تعمل على النهوض بالفرد

قبل المجتمع أو بتعبير آخر تسعى لتربية النفس قبل الدعوة إلى إصلاح الأنظمة ، و من هنا سر اهتمام السلفية بالتوحيد و دعوتهم لإخلاص العبادة لله و نبذ الشرك بكل مظاهره و الإنكار على أصحاب الطرقات و الغالين في الأولياء ،و هذا سيرًا على نهج الأنبياء في البدء بالدعوة إلى التوحيد، قال تعالى مبينا ذلك (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[النحل : ٣٦] و قال تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ) [الأعراف:٦٥] و قال كذلك (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف:٧٣] و الآيات التي تبين أهمية الدعوة إلى التوحيد و نبذ الشرك كثيرة في الوحيين ، بل هي لب الرسالات السماوية و جوهرها و غايتها الأولى.

عكس بعض الحركات الإسلامية التي تعمل على تعبئة الجمهور بتبنيها لإيديولوجيا إسلامية ، لكنها أبعد ما تكون عن الاقتداء بمنهج الرسول صلى الله عليه و سلم.

وعليه....

فليس مجرد هذا التحديد الزمني كافياً فى الانتساب الصحيح للسلف ، بل لابد أن يضاف إلى ذلك موافقة الكتاب والسنة فى العقيدة و الشريعة و السلوك ، فمن خالف رأيه ما جاء فى القرآن الكريم ، وما صح من السنة النبوية الشريفة ، فليس بسلفى ، وإن عاش فى القرن الأول للهجرة ، ذلك أننا نجد بعض من عاشوا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم وهم ضلال مضلون بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم ، أمثال عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : أنت الإله حقًا ، وزعم أن عليًا لم يمت ، و لم يقتل ، وأن فيه الجزء الإلهي ، ولا يجوز أن

يستولى عليه ، وأنه هو الذى يأتى فى السحاب ن والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وابتسامته ، وأنه سيترل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.[١]

ونافع بن الأزرق الذى تبرأ من عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكفر مخالفيه من المسلمين ، واستحل دماءهم ، وانكر رجم الزانى المحصن [٢].

ومعبد بن خالد الجهنى الذى ظهرت بدعته فى القدر فى زمان المتأخرين من الصحابة رضى الله عنهم .

لذلك ينبغى أن نتثبت فى كل ما لدينا من اخبار واراء نقلت إلينا على انها تمثل مذهب السلف حتى نعرضها على الكتاب و السنة ، وما ثبت عن السلف الصالح رضى الله عنهم ، فمن كان على هذا النهج فهو سلفى ، وإن عاش فى عصور متأخرة ، ومن خالفه فهو غير سلفى وإن عاش فى زمن الصحابة رضى الله عنهم.

وعلى ذلك فإن السلفية هى :"ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، واتباعهم ، وأئمة الدين فمن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه فى الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، كالأئمة الربعة وسفيان الثورى ، والليث بن سعد ، وابن المبارك ، والنخعى ، والبخارى ،

---

[١] مقالات الإسلاميين (٨٤/١) ، والملل والنحل للشهرستاني (١٧٤/١) .

[٢] الخطط للمقريزي (٣٥٤/٢).

ومسلم، وسائر أصحاب السنن ، دون من رمى ببدعة ، أو اشتهر بلقب غير مرضيٍ مثل الخوارج ، والروافض ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة".[١]

أما كتب الفرق ، فغالبية أصحابها يعرفون السلفيين ومذهبهم باسم : أهل الحديث والسنة ، وربما ذكروهم باسم " الصفتية ".

يقول الأشعري في بداية كلامه عن مذهب السلف : " جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً وأن الله – سبحانه! – إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله – سبحانه! – على عرشه".[٢]

أما الشهرستاني فقد ذكر السلفيين باسم اصحاب الحديث ، وعنون لهم فصلاً بالصفاتية ، ثم قال : " اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون الله تعالى صفاته أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين، والوجه ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في

---

[١] العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (٦/١) .

[٢] مقالات الإسلاميين ١/ ٣٤٥

الشرع، فنسميها صفات خبرية. ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة.".[١]

وقد اطلق على السلفيين في بعض المراحل بعد اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره اسم " الحنابلة " لأنه لم يبق على مذهب السلف في هذا الدور إلا الحنابلة أتباع الإمام احمد بن حنبل ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف ، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات .

وفي الحقيقة ، أن الفرق الإسلامية المختلفة ظلت على مدى التاريخ تعلق ارتباطها بالسنة ، وكل طائفة تدعي انها على النهج القويم ، والطريق المستقيم ، وتحاول الانتساب للسلف ، حتى إن لفظ السلف أصبح يطلق في عرف كثير من المتأخرين من علماء الكلام والتفسير على ائمة المذاهب المختلفة الذين ينتمون إليها ، ويوجبون على جميع الناس تقليد هؤلاء الأئمة فيما ذهبوا إليه من آراء ، ومعتقدات .

ولهذا كان سلف الأشاعرة غير سلف المعتزلة ، وسلف الشيعة غير سلف الخوارج ، وأصبحت كلمة السلف واسعة المدلول.[٢]

ولكن إذا أردنا أن نميز بين السلفيين والفرق الأخرى المنتسبة للإسلام ، بصفة دقيقة – فلا بد من ضوابط موضوعية تكون مقياسًا للانتساب الصحيح للسلف خاصة وأن مفهوم السلف تثار حوله نزاعات حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلى

---

[١] الملل والنحل ٩٢/١ ، و ١٠٣

[٢] العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة – محمود أحمد خفاجي ص٢٠

السلف ، أو تتسمى باسم أهل السنة ، أو تدعي أنها لا تخالف منهج السلف وعقيدتهم على الأقل .

ولا شك أن من تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث ، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة – رضي الله عنهم – المنقول بواسطة المحدثين ، هذا الفهم الذي وصفه المقريزي بقوله :" ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن احد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ مما وصف الله به نفسه الكريمة ، وعلى لسان نبيه محمد صلى اله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ، ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والوجه ، واليد ، ونحو ذلك ، مع نفي مماثلته للمخلوقين .

فأثبتوا – رضي الله عنهم – بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، و لم يتعرض أحمد منهم إلى تأويل شئ من ذلك ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ".[1]

---

(1) الخطط ٢/٢٢٦

إن أبرز سمات السلفيين التي تميزهم عن الفرق الإسلامية الأخرى في القديم والحديث هي : " تقديم النقل على العقل ، ورفض التأويل الكلامي ، والاستدلال بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والوقوف عند النص ".[1]

هذا ويمكن أن نستخلص مما تقدم أن السلف هم : أهل القرون الثلاثة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون ، دون المبتدعين ، ثم اصبح مدلول السلفية اصطلاحًا يطلق على من تمسك بمذهب السلف ، وترك مذاهب المبتدعة ، ولذا فإن مذهب السلف غير منحصر في مرحلة زمنية معينة كما زعم الدكتور البوطي ، ولكنه ممتد إلى العصر الحاضر ، ولله الحمد حيث ما تزال توجد إلى الآن جماعة مؤمنة بدين الله عز وجل وفق عقيدة السلف الصالح ومنهجهم ، وسوف يستمر ذلك ويزداد بإذن الله تعالى حتى يرث الأرض ومن عليها .

فـ " السلفية اصطلاح جامع يطلق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلقي الإسلام وتعاليمه وفهمه والعمل به ، وللدلالة على الملتزمين بهذا المنهج قديمًا وحديثًا ".

إن الحق الذي يجب أن يعرفه كل مسلم أن الدعوة السلفية ليست دعوة إلى حزبية ولا إلى جماعة أسست فكرها على أشخاص بعينهم ولكنها دعوة إلى عقيدة الأنبياء وأتباعهم والمدافعون عنها لا يدافعون عن فكرة شخص أو أشخاص وإنما يدافعون عن أصول عقيدة المسلمين بحيث لا يسعهم السكوت إذا رأوا من ينال من صفائها ونقائها ولك أن تتأمل تاريخ الإسلام منذ عهد الصحابة حتى الآن تجد هؤلاء

[1] قواعد المنهج السلفي – مصطفى حلمي ص٢٥٣ -٢٦٣

الحراس الأمناء بالمرصاد لكل مبتدع مهما كان شأنه وتجد الطعنات والجهالات دائما موجهة إليهم لأجل مواقفهم الصلبة في مواجهة المعتدين على أصول الإسلام ولهذه العقيدة في قلوبهم منزلة عظيمة فهي تستحق عندهم الولاء والبراء والحب والبغض والجدال والنقاش والشدة والعنف والهجرة أيضا حتى الموت في سبيلها وبهذا لا يمكنهم التحالف مع من يخالفها ولا التهوين من شأن مخالفته فضلا عن تمييعها وتقريبها من العقائد المنحرفة.[1]

لقد شوهت ممارسات – بعض – السلفيين منهج السلف ، وقزَّمته في قضايا معينة وانعزلت به عن الواقع ، حتى صار الانتساب إلى السلف ، والمناداة بالسنة منقصة في نظر الناس ، إذ عندما يسمعون عن السلف والسلفية ، يظنون أنهم المختصون بالأسماء والصفات ، واختصار المصادر القديمة والمتاجرة بها ، وبتحقيق الكتيبات..... ألخ ، الأمر الذي اضطرنا عند الانتساب إلى السلف أن نُبيِّن للناس ، أن منهج السلف غير ما يرون ، وخلاف ما يسمعون . وكان من نتائج هذا الوضع أن عادت مقالات اهل الأهواء ومناهجهم إلى الظهور ، بعد أن عجز أهل السنة عن الارتفاع إلى مستوى منهجهم ، والدعوة إليه ، واستيعاب الناس الذين سُرُّوا بهم في البداية ، ثم نبذوهم نبذ النَوى ، لما رأوهم تجمَّدوا عند قضايا لا يحيدون عنها .[2]

---

[1] الطريق إلى الجماعة الأم ص٧٨

[2] السلف والسلفيون – إبراهيم العسعس ص١٥ الطبعة الثانية

ما معنى السلفية ؟ وإلى من تنسب ؟ وهل يجوز الخروج عن فهم السلف الصالح في تفسير النصوص الشرعية ؟

السائل : بعض الأخوة الجالسين يسمعون عن الدعوة السلفية سماعاً ويقرؤون عنها ما يُكتب من قِبَلِ خصومها لا من قِبَلِ أتباعها ودُعاتِها ، فالمرجو من فضيلتكم – وأنتم من علماء السلفية ودعاتها – شرح موقف السلفية بين الجماعات الإسلامية اليوم .

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى : أنا أجبتُ عن مثل هذا السؤال أكثر من مرة ، لكن لا بد من الجواب وقد طُرِحَ السؤال ، فأقول : أقول كلمة حقٍّ لا يستطيع أي مسلم أن يجادل فيها بعد أن تتبين له الحقيقة : أول ذلك : الدعوة السلفية ، نسبة إلى ماذا ؟ السلفية نسبة إلى السلف ، فيجب أن نعرف من هم السلف إذا أُطلق عند علماء المسلمين : السلف ، وبالتالي تُفهم هذه النسبة وما وزنها في معناها وفي دلالتها ، السلف : هم أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية في الحديث الصحيح المتواتر المخرج في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) هدول القرون الثلاثة الذين شهد لهم الرسول عليه السلام بالخيرية ، فالسلفية تنتمي إلى هذا السلف ، والسلفيون ينتمون إلى هؤلاء السلف ، إذا عرفنا معنى السلف والسلفية حينئذٍ أقول أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن هذه النسبة ليست نسبة إلى شخص أو أشخاص ، كما هي نِسَب جماعات أخرى موجودة اليوم على الأرض الإسلامية ، هذه ليست نسبة إلى

شخص ولا إلى عشرات الأشخاص ، بل هذه النسبة هي نسبةٌ إلى العصمة ، ذلــك لأن السلف الصالح يستحيل أن يجمعوا على ضلالة ، وبخلاف ذلك الخلف ، فالخلف لم يأتِ في الشرع ثناء عليهم بل جاء الذم في جماهيرهم ، وذلك في تمام الحــديث السابق حيث قال عليه السلام : (ثم يأتي من بعدهم أقوامٌ يَشهدون ولا يُستشهدون ،) إلى آخر الحديث ، كما أشار عليه السلام إلى ذلك في حديث آخر فيه مــدحٌ لطائفةٍ من المسلمين وذمٌّ لجماهيرهم بمفهوم الحديث حيث قال عليه الســلام : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) أو (حتى تقوم الساعة) ، فهذا الحديث خص المدح في آخر الزمن بطائفة ، والطائفة : هي الجماعة القليلة ، فإنها في اللغة : تطلق على الفرد فما فوق .

فإذن إذا عرفنا هذا المعنى في السلفية وأنها تنتمي إلى جماعة السلف الصالح وأنهم العصمة فيما إذا تمسك المسلم بما كان عليه هؤلاء السلف الصالح حينئذٍ يأتي الأمــر الثاني الذي أشرتُ إليه آنفاً ألا وهو أن كل مسلم يعرف حينذاك هذه النســبة وإلى ماذا ترمي من العصمة فيستحيل عليه بعد هذا العلم والبيان أن – لا أقــول : أن – يتبرأ ، هذا أمرٌ بدهي ، لكني أقول : يستحيل عليه إلا أن يكون سلفياً ، لأننا فهمنا أن الانتساب إلى السلفية ، يعني : الانتساب إلى العصمة ، من أيــن أخــذنا هــذه العصمة ؟ نحن نأخذها من حديث يستدل به بعض الخلف علــى خــلاف الحــق يستدلون به على الاحتجاج بالأخذ بالأكثرية – بما عليه جماهير الخلف – حينمــا يأتون بقوله عليه السلام : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) ، (لا تجتمع أمــتي علــى ضلالة) لا يصح تطبيق هذا الحديث على الخلف اليوم على ما بينهم من خلافــات جذرية ، (لا تجتمع أمتي على ضلالة) لا يمكن تطبيقها على واقع المسلمين اليــوم وهذا أمرٌ يعرفه كل دارس لهذا الواقع السيء ، يُضاف إلى ذلك الأحاديث الصحيحة

التي جاءت مبينةً لما وقع فيمن قبلنا من اليهود والنصارى وفيما سيقع في المسلمين بعد الرسول عليه السلام من التفرق ، فقال صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : (هي الجماعة) هذه الجماعة : هي جماعة الرسول عليه السلام هي التي يمكن القطع بتطبيق الحديث السابق : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) أن المقصود بهذا الحديث هم الصحابة الذين حكم الرسول عليه السلام بأنهم هي الفرقة الناجية ومن سلك سبيلهم ونحا نحوهم ، وهؤلاء السلف الصالح هم الذين حذرنا ربنا عز وجل في القرآن الكريم من مخالفتهم ومن سلوك سبيل غير سبيلهم في قوله عز وجل : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيرا } أنا لَفَتّ نظر إخواننا في كثيرٍ من المناسبات إلى حكمة عطف ربنا عز وجل قوله في هذه الآية { ويتبع غير سبيل المؤمنين } على مشاققة الرسول ، ما الحكمة من ذلك ؟ مع أن الآية لو كانت بحذف هذه الجملة ، لو كانت كما يأتي : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نُوَلِّهِ ما تولى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيرا) لكانت كافية في التحذير وتأنيب من يشاقق الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحكم عليه بمصيره السيئ ، لم تكن الآية هكذا ، وإنما أضافت إلى ذلك قوله عز وجل : { ويتبع غير سبيل المؤمنين } هل هذا عبث ؟! – حاشا لكلام الله عز وجل من العبث ـــ إذن ما الغاية..؟ ما الحكمة من عطف هذه الجملة ((ويتبع غير سبيل المؤمنين)) على مشاققة الرسول..؟ الحكمة في كلام الإمام الشافعي، حيث استدل بهذه الآية على الإجماع، أي : من سلك غير سبيل الصحابة الذين هم العصمة – في تعبيرنا السابق – وهم الجماعة التي شهد لها الرسول عليه السلام أنها الفرقة الناجية

ومن سلك سبيلهم ، هؤلاء هم الذين لا يجوز لمن كان يريد أن ينجو من عذاب الله يوم القيامة أن يخالف سبيلهم ، ولذلك قال تعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيرا } .

إذن على المسلمين اليوم في آخر الزمان أن يعرفوا أمرين اثنين :

أولاً : من هم المسلمون المذكورين في هذه الآية ثم ما الحكمة في أن الله عز وجل أراد بها الصحابة الذين هم السلف الصالح ومن سار سبيلهم ..؟ قد سبق بيان جواب هذا السؤال أو هذه الحكمة وخلاصة ذلك أن الصحابة كانوا قريب عهد بتلقي الوحي غضا طريا من فم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً ثم شاهدوا نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم الذي عاش بين ظهرانيهم يطبق الأحكام المنصوصة عليها في القرآن والتي جاء ذكر كثير منها في أقواله عليه الصلاة والسلام بينما الخلف لم يكن لهم هذا الفضل من سماع القرآن وأحاديث الرسول عليه السلام منه مباشرةً ثم لم يكن لهم فضل الاطلاع على تطبيق الرسول عليه السلام لنصوص الكتاب والسنة تطبيقاً عملياً ، ومن الحكمة التي جاء النص عليها في السنة : قوله عليه السلام : (ليس الخبر كالمعاينة ،) ومنه بدأ ومنه أخذ الشاعر قوله : (وما راءٍ كمن سمع) فإذن الذين لم يشهدوا الرسول عليه السلام ليسوا كأصحابه الذين شاهدوا وسمعوا منه الكلام مباشرة ورأوه منه تطبيقاً عمليا ، اليوم توجد كلمة عصرية نبغ بها بعض الدعاة الإسلاميين وهي كلمة جميلة جداً ، ولكن أجمل منها أن نجعل منها حقيقةً واقعة ، يقولون في محاضراتهم وفي مواعظهم وإرشاداتهم أنه يجب أن نجعل الإسلام يمشي واقعاً يمشي على الأرض ، كلام جميل ، لكن إذا لم نفهم الإسلام وعلى ضوء

فهم السلف الصالح كما نقول لا يمكننا أن نحقق هذا الكلام الشاعري الجميـــل أن نجعل الإسلام حقيقة واقعية تمشي على الأرض ، الذين استطاعوا ذلك هم أصحاب الرسول عليه السلام للسببين المذكورين آنفاً ، سمعوا الكلام منه مباشرةً ، فَوَعَوْهُ خير من وَعِيَ ،ثم في أمور هناك تحتاج إلى بيان فعلي ، فرأوا الرسول عليه السلام يبين لهم ذلك فعلاً ، وأنا أضرب لكم مثلاً واضحاً جداً ،هناك آيات في القرآن الكـــريم ، لا يمكن للمسلم أن يفهمها إلا إذا كان عارفاً للسنة التي تبين القرآن الكريم ، كما قال عز وجل : { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم } مثلاً قوله تعـــالى : { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما } الآن هاتوا سيبويه هذا الزمان في اللغة العربية فليفسر لنا هذه الآية الكريمة ، { والسارق } من هو ؟ لغةً لا يســـتطيع أن يحـــدد السارق ، واليد ما هي ؟ لا يستطيع سيبويه آخر الزمان لا يستطيع أن يعطي الجواب عن هذين السؤالين ، من هو السارق الذي يستطيع أو الذي يستحق قطع اليد ؟ وما هي اليد التي ينبغي أن تُقطع بالنسبة لهذا السارق ؟ اللغة : السارق لو سرق بيضـــة فهو سارق ، واليد في هذه لو قُطِعَتْ هنا أو هنا أو في أي مكان فهي يـــدٌ ، لكـــن الجواب هو : - حين نتذكر الآية السابقة : { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مـــا نُزِّلَ إليهم } - الجواب في البيان ، فهناك بيان من الرسول عليه السلام للقرآن ، هذا البيان طَبَّقَهُ عليه السلام فعلاً في خصوص هذه الآية كمثل وفي خصـــوص الآيـــات الأخرى ، وما أكثرها ، لأن من قرأ في علم الأصول يقرأ في علم الأصول أنه هناك عام وخاص ومطلق ومقيد وناسخ ومنسوخ ، كلمات مجملة يدخل تحتها عشـــرات النصوص ، إن لم يكن مئات النصوص ، نصوص عامة أوردها السنة ، ولا أريد أن أطيل في هذا حتى نستطيع أن نجيب عن بقية الأسئلة .

ما هي الدعوة السلفية؟

السائل: أولا: فضيلة الشيخ: كيف نفهم الدعوة السلفية كدعاة؟.

الشيخ: نعم؛ كيف نفهم الدعوة السلفية كدعاة، اشرح ليَ السؤال حتى أتمكن من الجواب.

السائل: قصدت كدعاة، لأنه كما تعلمون أن الدعاة اليوم كُثَرْ وخصوصا من يدَّعي السلفية، وربما تحصل مشاكل فيما بينهم، حول فهم مسائل معينة، فلا بد من فهم عام للدعوة السلفية، فما هذه الدعوة؟.

الشيخ: جواب هذا السؤال كان محاضرة طويلة في الأمس القريب وفي جرش بلــدة شمال عمان، عند الأخ أظن شريط مفصل في هذا ولعله يوجد أيضا أشرطة متعددة، فأوجز الجواب.

بناء على ذلك أقول: الدعاة السلفيون يجب عليهم أن يدندنوا دائما وأبــدا حــول تعريف الناس جميعا سواء كانوا دعاة أو مدعوين، أن يعرفــوهم بحقيقــة الــدعوة الإسلامية السلفية التي تتميز في حقيقتها عن سائر الدعوات التي تنتسب إلى الإسلام ككل.

كل الدعوات الإسلامية قديما وحديثا تتبنى الكتاب والسنة، إلاَّ من شذَّ من بعــض الجماعات في العصر الحاضر، وأفراد في العصور القديمة، الذين كــانوا يعلنــون أن دعوتهم قائمةٌ على الكتاب فقط دون السنة!!؛ وهذا بلا شك لسنا بحاجة إلى إطالة الكلام فيه، لأنه أمر مجمع أن من اقتصر في فهم الإسلام على القرآن ليس مســلما، لأن القرآن نفسه يأمر المسلمين بأن يطيعــوا الله ورســوله وأن يتحــاكموا إلى الله ورسوله فهذه النقطة لسنا بحاجة إلى الخوض فيها لا سيما وأن الذين ينتمون اليوم إلى هذا المنهج المخالف للكتاب والسنة وهم الذين يسمون بالقرآنيين، هؤلاء ضــلالهم واضح.

ولكن كل الجماعات الأخرى التي تلتقي معنا في كونها في دائرة الإسلام؛ وتتبنى معنا الكتاب والسنة، فيجب على الدعاة السلفيين بخاصة، أن يبينوا لهــؤلاء أن الــدعوة السلفية تتميز على سائر الدعوات، بأنها تفهم الكتاب والسنة على ما كــان عليــه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، كما جاء في الحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائل: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، فنحن نضم إلى الكتاب والسنة منهج السلف الصالح، وهذه الضميمة ليست أمــرا

محدثا كما قد يتوهم كثير من الناس؛ وإنما هو المنصوص عليه في الكتاب والسنة، أما الكتاب كقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء/١١٥]، وأما السنة فهناك حديثان مشهوران أحدهما وهو حديث الفرقة الناجية وهو معروف؛ ولا حاجة لسوقه بلفظه وإنما نسوق منه ما هو موضع الشاهد؛ وهو قوله عليه السلام حينما سئل عن الفرقة الناجية فأجاب صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «هي التي على ما أنا عليه وأصحابي»، والحديث الآخر حديث الخلفاء الراشدين وهو قوله عليه السلام في حديث العرباض بن سارية: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» إلى آخره ... ، ففي هذا الحديث بيان سبيل المؤمنين الذي ذكر في الآية السابقة: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}، فإذا الدعاة يجب أن يدندنوا حول هذه الضميمة، المميزة لدعوة الحق والمظهرة للفرقة الناجية على الفرق الأخرى وهي أنهم يكونون على ما كان عليه السلف الصالح.

لكن هذا يتطلب شيئا لم أذكره في الأمس القريب وهو مذكور في كثير من التساجيل، أن تطبيق هذه القاعدة على منهج السلف الصالح، يتطلب من الدعاة السلفيين أن يُعْنوا بمعرفة الآثار السلفية كما يُعْنَوْن بمعرفة الأحاديث النبوية، لأن معرفة هذه الآثار هي التي تحقق لهم تطبيق هذا المنهج تطبيقا عمليا وصحيحا؛ وهذه الآثار كما هو شأن الأحاديث فيها الصحيح والضعيف كذلك الآثار فيها الصحيح والضعيف، ولذلك هنا لا بد من الانتباه لما سأقوله.

إن كثيرا من كتب العلماء كالفتح مثلا (فتح الباري) للحافظ ابن حجر العسقلاني ومن جاء من بعده، حينما يحتجون ببعض الآثار لا يدققون النظر في أسانيدها!، وهنا

يكمن خطأ واضح جدا، لأننا إذا أردنا أن نقول أن الصحابي الفلاني أو الصحابية الفلانية كانوا يقولون كذا ... أو يفعلون كذا ... ونحن نعتبر ذلك بيانا لآية في كتاب الله أو لحديث في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمعنى ذلك أنه لا بد لنا من أن نكون على بينة من صحة ذاك الآثر أو تلك الآثار، فينبغي على الداعية المسلم السلفي أن يكون على علم به أولا، وعلى دعوته وبيانه لما هو عليه ثانيا.

ثم إن الدعوة السلفية تتميز ليس بمجرد الدعوة وإنما عمليا أنها تسعى لفهم الإسلام فهما صحيحا من كل جوانبه، ليس من بعض النواحي التي يهتم بها بعض الجماعات دون نواحيَ أخرى، ويُسَمُون الأمور الأولى بالأولويات، وقد يصل بهم الأمر في هذا التقسيم للإسلام أو للعلم بالإسلام إلى أن يجعلوه قسمين لباب وقشور فيهتمون في زعمهم – والواقع أنهم لا يهتمون حتى بهذا القسم الذي سموه باللباب – يهتمون به دون أن يهتموا بالقسم الآخر، وأنا ألفت النظر إلى حقيقة علمية إذا كان المسلم على بينة منها سيتبين أنه لا مجال إطلاقا للعالم الباحث في الكتاب والسنة إلى تقسيم الإسلام إلى لب وقشر، وهذا لو كان ممكنا لما تمكن منه إلا من أحاط بالإسلام علما، وهذا يكاد أن يكون أمرا مستحيلا، لأن الله عزوجل يقول: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة/٢٥٥]، ولذلك فالواجب على الداعية المسلم أن يبلغ الناس الإسلام ككل في حدود علمه، وأن لا يزعم التقسيم المذكور آنفا لب وقشور، لأن الإسلام كله خير وبركة، وأن هذا التقسيم لو سُلِّمَ به لقلنا: لا بد بالمحافظة على اللب من القشر، كما هو الأمر والشأن فيما نراه في حياتنا المعاشية حيث نأكل كثيرا من الفواكه والثمار ولا بد لتطيب لنا من أن تحافظ عليها بقشورها، هذا من باب التمثيل والتقريب، ولكننا في الواقع لا نسلم بهذه التسمية أن نقول أن الإسلام لب وقشر.

لكننا نقول: هناك ما لا بد من معرفته أولا؛ ثم لا بد من العمل به ثانيا؛ وهناك أشياء أخرى لا بد من معرفتها علما بالنسبة لطائفة من الناس هم أهل العلم، وهــذا مــا يسمى عند العلماء بالفرض الكفائي، ثم من الناحية العملية أيضا فإنما يجب القيام به على طائفة دون أن يجب على كل فرد من أفراد المسلمين.

ثم مما جاء في السنة وبهذا أختم الجواب عن هذا السؤال، أن ما ليس بالواجب قــد يكون مساعدا لمن قد يكون قصَّر في واجب ما، وأعني بذلك الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أول ما يحاسب عليه العبد يــوم القيامــة الصلاة فإن تمت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر»، وجاء في حديث آخر: «فإن نقصت قال الله عزوجل لملائكته: انظروا هل لعبدي من تطوع فتتموا له به فريضته»، إذن التطوع الذي ليس فرضا لا ينبغي للمسلم أن يتهاون به بدعوى أنه ليس فرضا، لأن هذه الدعوة إنما يُسَلَم بها لو سلمنا نحن جدلا أن المسلم حينما يقوم بما يجب عليه إنما يقوم به على الوجه الأكمل، وليس على الوجه الناقص الذي أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه في الحديث المعروف عند العلماء بحديث المسيء صلاته، حيث: "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا مــع أصــحابه في المسجد حينما دخل رجل فصلى، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: " السلام عليك يا رسول الله "، فقال عليه الصلاة والسلام: «وعليك السلام، ارجــع فصلي فإنك لم تصلي»، وهكذا باختصار ثلاث مرات يعيد الصلاة، وكل مرة يقول له الرسول عليه السلام ارجع فصلي فإنك لم تصلي. فقال أخيرا: -وقد عرف الرجل أنه لا يحسن صلاته- قال: " والله يا رسول الله لا أحسن غيرها فعلمني "، فقال لــه عليه السلام: «إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله، ثم أذن، ثم أقم، ثم استقبل القبلة، ثم كبر»، إلى آخر الحديث ... ، فيا ترى عامة المصلين اليوم هل هم علــى

يقين وعلى اطمئنان من ذوات أنفسهم أهم يصلون صلاة كاملة، لا يكونون بحاجة يوم توزن الأعمال بميزان القسط، أهم لا يجدون نقصا في صلواهم؟، نحـــن كمـــا نشاهد في المساجد وفي غير المساجد أكثر الناس يصلون ولا يصـــلون!!، ولـــذلك فيظهر لكم بصورة قوية جدا ضرورة الاهتمام بالسنن لأنها تكـــون كالاحتيـــاطي بالنسبة للحياة الإنسانية المادية هنا بالنسبة للحياة الروحية الإيمانية، حيث أن هـــذه السنن تكون سببا لإكمال النقص الذي قد يقع في الفريضة، وهذا النقص يكون على وجهين اثنين: نقص في الكم، ونقص في الكيف، أي قد تفوت الرجل صلاة مـــن الصلوات بغير عذر شرعي، فيكون ليس فقط آثما بل وضيع عليه أجرا كبيرا، هذا هو النقص الأول النقص في الكم؛ والنقص الآخر في الكيف هو الذي دلكم عليه حديث المسيء صلاته، فهو يصلي ولكن ينقص من أركانها فضلا عن هيأتها فيـــأتي هـــذا الحديث وهو قوله عليه السلام فيما حكاه عن ربه تبارك وتعالى أنه يقول لملائكتـــه: «انظروا هل لعبدي من تطوع فتتموا له به فريضته»، أي سواء كان نقصا في الكـــم أو كان نقصا في الكيف.

إذن الإسلام يجب أن يُفهم وأن يعلم من كل نواحيه دون تفريق كما قلنـــا آنفـــا بتعبيرنا ما كان فرضا أو نفلا، وفي تعبيرهم لبا أو قشرا، ثم بعد ذلك يجب أن ينهض الناس بما يستطيعون من القسم الأول الذي هو من الفروض العينية، أقول هـــذا لأن كثيرا من الناس اليوم ممن يشتركون معنا في الدعوة للكتاب والسنة، ثم يفترقون عنا بعدم الاهتمام بالآثار السلفية والمنهج السلفي، كثير من هؤلاء النـــاس لا يهتمـــون بالدعوة إلا إذا قامت الدولة المسلمة؛ وهذه الإقامة أمر واجب ولا شك لا يختلـــف فيه اثنان، ولكن ما هو السبيل لإقامة الدولة المسلمة وتحقيق الحكم بالإسلام كتابـــا وسنة؟، أهو بالجهل بالإسلام أم هو بالفهم له فهما كاملا ثم الدعوة إلى العمل بـــه،

كما بدأ به الرسول عليه الصلاة والسلام حيث بدأ بتعليم الناس التوحيد العقيدة الصحيحة، ثم بعد ذلك كما تعلمون - وهذا لا يحتاج إلى إطالة - بدأت الأحكام الشرعية تترى من فريضة الصلاة فريضة الصيام آخر ما فرض كما تعلمون الحج إلى بيت الله الحرام ثم الأحكام الأخرى من المنهيات والمحرمات والحدود الشرعية ونحو ذلك.

إذن الدعوة يجب أن تكون ككل، والتطبيق يكون حسب الاستطاعة، والتمهيد لإقامة الدولة المسلمة يكون بالعمل بما تعلمنا من ديننا الحق.

هذا ما يتيسر لي من الجواب عن هذا السؤال.

حقيقة الدعوة السلفية

إن الدعوة السلفية على مر العصور قديماً وحديثاً بمبدئها الصافي وهو الكتاب والسنة ستظل علماً شامخاً ومناراً هادياً لكل من أحب الحق، ولعل سبب عدول الخلف عن كثير مما كان عليه السلف هو اتباعهم لغير ما هم عليه واتجاههم إلى من أصابه الزيغ وعمى البصيرة.

والدعوة السلفية ترتكز على نقاط كلها تدعو إلى تسوية الصف الإسلامي ولم شمله تحت راية واحدة، بل وزجر كل مستورد لأي فكر يقدح في الدعوة السلفية أو يشرك في التشريع السماوي شريكاً من الهوى.

مخالفة الخلف لمنهج السلف

كلمة للشيخ عيد عباسي: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الموضوع الذي سأتحدث فيه هو عن الدعوة السلفية، ما هي حقيقتها؟ وما هو المراد بها؟ ولمحة عن تاريخها، ثم موقفها من الدعوات الأخرى بشكل إجمالي.

الدعوة السلفية: نسبة إلى السلف، وفي اللغة: هم القوم المتقدمون.

ويراد بهم في الاصطلاح: أنهم القرون الثلاثة الخيرة التي جاء الثناء عليها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعد ذلك أناس يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويكون فيهم الكذب) فهؤلاء بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم -أي: لهذه القرون الثلاثة- أنهم خير القرون، ولا شك أن هديهم وطريقتهم وسنتهم هي خير الهدي وخير السنن وخير الطرائق.

ويقابل السلف الخلف، وهم: الذين جاءوا بعد هذه القرون الثلاثة، ونحن نعلم أنه قد اختلفت طريقة السلف عن الخلف في كثير من الأمور، فقد ظهرت بعد القرن الثالث أمور لم تكن، وكان ذلك بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم، ودخول الثقافات الأجنبية على الأمة الإسلامية، فقد دخلت ثقافات النصارى الذين أسلموا، وكذلك اليهود، واليونان، والهنود بعد الفتوحات الإسلامية الهائلة، وهذه الثقافات أثرت مع الأسف، وخاصة في الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم، فقد انبهروا بها، وحين اطلعوا عليها -وهي شيء جديد عليهم- وثقوا بها، وانبهروا، فأخذوا يعتنون بها، وأخذ بعض الأمراء والحكام من الذين لم يفقهوا حقيقة الإسلام ولم يهتموا بالأمر

وخطورته، أخذوا يعطوهم الجوائز الكبيرة من أجل ترجمة كتب هذه الأمم الأجنبية إلى المسلمين.

الأدلة النقلية على تحريم مخالفة هدي الكتاب والسنة

نحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نبه إلى خطورة ذلك وحـذر منـه، ويكفينا في الدلالة على ذلك حديث عمر رضي الله عنه حينما كتب صحائف مـن التوراة فرآها عليه الصلاة والسلام فسأله عنها، فقال: إنه كان له صديق يهـودي، وإنه نسخ منه بعض الصحائف من التوراة، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً، وقال: (أمتهوكون أنتم؟! كما تهوكت اليهود والنصـارى! والـذي نفسي بيده! لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا أن يتبعني) فهو عليه الصلاة والسلام يعلن أنه لا هدي إلا الهدي الذي جاء به عن ربه، ولا يجوز لأحد أن يكون متبعاً وأن يكون إماماً وقدوة ومرضياً للاتباع ومأخوذاً عنه الهـدي إلا رسـول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا يشير إلى أنه لا يجوز للمسلمين أن يأخذوا دينهم، ولا هدايتهم، ولا إرشادهم، ولا أخلاقهم، ولا كل شيء من الأشكال والتصورات والقيم والسلوك عن أي أمة أخرى، وما السبب في ذلك؟ السبب أن الله عز وجل أرسل إليهم الهدى كـاملاً، واختصهم بالفضل عاماً شاملاً، فليسوا بحاجة إلى هدي آخر، وليسـوا بحاجـة إلى إرشاد قوم آخرين، فقد أخبرهم الله عز وجل بأنه أكمل لهم الـدين، وأتم علـيهم النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً} [المائدة:٣] فالذي يلجأ إلى غير طريق الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنما يعتقد بطريق المفهوم أن هـدي رسـول الله

صلى الله عليه وسلم غير كافٍ، وأن هناك هدياً آخر وخيراً آخر يمكن أن يستمده لدى الأمم الأخرى، وهذا مؤداه الكفر، وأن كثيراً لا يفقهونه ولا يفهمونه.

فهذا النص وحده كافٍ في التحذير من اللجوء إلى طرائق الأمم الأخرى وهديها في أفكارها وعقائدها وأخلاقها وقيمها.

جواز أخذ العلوم الدنيوية من غير المسلمين

وبالطبع! فإن هذا لا يدخل في الأمور الدنيوية، حتى لا يقول قائل: إن الإسلام حجر على العقول، وضيق على الأفكار؛ لأن العلوم المختلفة هي عامة شاملة لدى الأمم الأخرى، ولا يمكن أن نهمل أو نطرح ما يأتي به الأجانب وغير المسلمين من تقدم علمي، أو تفوق حضاري في بعض العصور.

هذا صحيح، فإن العلم الدنيوي غير خاص بالمسلمين، والعقل الإنساني يعمل، والأمم الأخرى تعمل وتنهض، والحضارة والتقدم العلمي الدنيوي كما يقال: متداول بين الأمم، فيومٌ يكون الحكم لهذه الأمة ويوم لتلك، وهي جميعاً تسير وتعمل وتبني هذه الحضارة المادية، في ناحية العلم لم يحرج علينا ربنا سبحانه وتعالى أن نأخذ عنهم العلم الدنيوي المحض الصناعي، الذي يفيد، مثلاً: علم الزراعة، وعلم الكيمياء، وعلم الفيزياء، والفلك ولكن بشريطة ألا يخالف شيء من هذه العلوم ومن هذه المبتكرات ما جاءنا به الإسلام الحنيف.

لأن هناك من مبتكرات العلم ومن نظرياته أموراً قد نجدها تخالف الإسلام فلا يجوز أن نقبلها؛ لأن الإسلام حق لا يتطرق إليه الريب والشك، أما هذه العلوم فهي من فعل بشر، وهي من صفات أناس يحتملون الخطأ والصواب، ولا يخلون من أغراض ومن أهواء، فلذلك إذا اصطدم النص الشرعي الواضح الصريح القطعي بنظرية

علمية، أو أفكار خبيثة فيجب أن تكون ثقتنا بما جاء عن الله ورسوله لا غير، فيجب أن نقدمهم على هذه الأمور التي تأتينا من آخرين.

أقول: لا حرج من قبول هذه العلوم بهذا الشكل، وعمدتنا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور الذي هو حديث تأبير النخل، وخلاصته (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء المدينة وجد أهل المدينة يؤبرون النخل فسألهم عما يفعلون، فقالوا: شيء اعتدنا عليه، فقال: لو لم تفعلوا لكان خيراً، فتركوه، فنقصت ثمرته، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيما بعد فقال: إذا حدثتكم عن أمر من أمور دينكم فخذوا به، وإذا حدثتكم عن أمر من أمور دنياكم فأنتم أعلم بأمور دنياكم) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

إذاً: هناك أمران من الأمور: أمور دينية تتضمن العقائد، والأخلاق، والأفكار، والتصورات، والقيم، والثقافة، والأدب، فهذه يجب ألا نقبلها إلا عن طريق كتابنا، ولا نأخذها إلا من طريق الوحي الصادق الصحيح الذي جاء به عليه الصلاة والسلام.

وهناك أمور دنيوية بحتة واجتماعية وعلمية، فيجوز أن نأخذها منهم، بل يجب، لكن بالشرط السابق ألا نأخذ ما يخالف ما جاءنا به الوحي الصادق وعن طريق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

تاريخ الدعوة السلفية

نرجع إلى هذه الدعوة السلفية، فنقول: قد يقول البعض: إنها دعوة طارئة وجديدة، وإن أقدم من تنتسب إليه هو شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم ابن عبد الوهاب في العصر الحالي، وهذه فكرة خاطئة، بل هي باطلة، وإنما الدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الصحيح نفسه، دعوة الكتاب والسنة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم،

وكانت خاتمة الدعوات، وآخر الشرائع، وآخر الأجيال، وإنما لم يكن يطلق عليها ذلك؛ لأنه لم يكن هناك حاجة، فالمسلمون الأولون كانوا على الإسلام الصحيح، فلم تكن هناك حاجة أو داعٍ للقول: الإسلام السلفي، أو الدعوة السلفية.

كما يقرب ذلك إلينا مثلاً العلوم الأخرى كعلوم العربية، كان الناس يتكلمون العربية الفصحى دون لحن ودون خطأ فلم يكن هناك حاجة لوضع قواعد النحو، وإلى اصطلاحات النحو واللغة والبلاعة، لأنها كانت معروفة سليقة، وكذلك الدعوة السلفية كان الناس عليها، ولم يكن هناك شذوذ ولا انحراف، ولكنها بدأت تظهر شيئاً فشيئاً عندما بدأت الأفكار الأخرى تظهر، وعندما بدأت هذه الثقافات الأجنبية تؤثر في المسلمين، فتحرف بعضها، وتزين لبعضهم أشياء تخالف الإسلام في العقائد وغيرها.

حين ذلك بدأ أئمة المسلمين من صحابة وتابعين ومن بعدهم يوجهون إلى خطورة هذه الدخائل والمحدثات، فكانت تظهر وتشتد الدعوة شيئاً فشيئاً كلما زادت هذه المحدثات، والثقافات التي تؤثر في المسلمين، وكان من أبرز من ميز هذه الدعوة ووضحها بجلاء الإمام أحمد بن حنبل حيث ظهرت فتنة خلق القرآن في زمانه، وأُرِيْدَ حملُ الناس جميعاً على هذه الفكرة المحدثة الباطلة، فصمد ذلك الصمود المثالي، ووقف ذلك الموقف الشجاع الرائع، وكان معه جمهور المسلمين بقلوبهم وأرواحهم، وكان أولئك المعتزلة في خط آخر خارج النطاق، فتميزت الدعوتان، وظهر الخلط بين الاتجاهين: اتجاه الرأي وأصحاب الرأي، أصحاب تقديم العقل على النقل، الذين لا يعتدون بنصوص الكتاب والسنة، ولا يعتدون بهدي السلف الصالح، وبين من يجعل الأساس الكتاب والسنة، ويجعل الأساس هدي السلف الصالح.

وهكذا أخذت تتميز الدعوة السلفية شيئاً فشيئاً كلما ازداد المسلمون بعداً عن دينهم الصافي الحقيقي، وكلما أخذت الأفكار الأجنبية، والثقافات الدخيلة على الإسلام تظهر وتشتد ويعلن بها.

وفي زمن شيخ الإسلام ابن تيمية كان ذلك قد استفحل، وكانت الثقافات والتفسيرات الفكرية قد تضخمت حتى صرفت أكثر المسلمين، فلم يبق إلا قلة نادرة غريبة عن المجتمع هم الذين بقوا يحافظون على دعوة الكتاب والسنة، ويتقيدون بطريق السلف الصالح، فحينئذٍ ظهرت الحاجة الملحة إلى توضيح هذه الدعوة وإلى تمييزها، وكانت كتابات شيخ الإسلام رحمه الله الكثيرة والرائعة التي ميز بها الإسلام الصحيح الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كانت كتبه إنارة لمن يطلب الهداية، وكانت فيصلاً بين الحق والباطل، وقد أقام الحجة على المخالفين بالمناظرات، وبالرسائل، وبالكتب، وفي المجالس، ولم يبق حجة لمعاند إلا ما يكون بسبب العناد والاستكبار.

فلذلك في زمنه ميزت وظهر هذا الاسم دعوة السلف، ومنهج السلف، وطريقة السلف، وإن كانت قد استعملت هذه الكلمات قبله أيضاً، وأظن قائل هذا البيت المشهور في العقائد عن مذهب السلف:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

أظنه قبل شيخ الإسلام.

هذه اللفظة عربية فصيحة، وظهرت في كلامهم ولكن كما قلت: توضحت وتوطدت أكثر في عهد شيخ الإسلام رحمه الله.

وكما قُلتُ: الأفكار الصوفية سيطرت على الناس، وطرقها المختلفة، وأفكار علماء الكلام، والتعصب المذهبي، والبدعة في الدين، والأحاديث الضعيفة والموضوعة،

فظهرت غربة الإسلام، وظهر أنه كان بحاجة ماسة إلى أن يتبين ويتضح حتى يعرف الناس الحق من الباطل ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، فقد تابع هذه الرسالة وهذه الدعوة تلاميذ الإمام ابن تيمية، ابن القيم، وابن كثير، وغيرهما على مر العصور، لكنهم كانوا محارَبين مضطهدين، فمات منهم من مات في السجون، وقتل منهم من قتل، وعذب من عذب، وكانت الغلبة المادية في أكثر العصور للمخالفين، وإن كانت الغلبة المعنوية غلبة الحجة والبرهان لــ أهل السنة وفاقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) .

ثم جدد هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نجد، حينما كانت في ظلام دامس، وحينما كانت الوثنيات تسيطر على البلاد، فتثقف بثقافة شيخ الإسلام وأخذ عنه، وقرأ كتبه، وأخذ ينشرها ويدعو إليها، ونال من جراء ذلك الأذى الكثير، وحرب العوام، ولكن وفقه الله عز وجل مع من أيده من الأمراء السعوديين الأوائل، كان من ذلك أن ظهرت هذه الدعوة وأثرت في المسلمين، ووصلت إلى بلدان كثيرة، وما تزال منها بقية في بلاد السعودية وغيرها.

لن نخوض كثيراً في هذه التفصيلات التاريخية، فلننتقل إلى حقيقة الدعوة السلفية.

الدعوة السلفية حقيقتها وأصولها

لماذا تظهر؟ وما هي أهم أشكالها؟ وما هي أهم الأصول التي تركز عليها؟

التوحيد الذي أمر الله به في كتابه

هناك أمور هامة وأصول أساسية تركز عليها الدعوة السلفية، أول هذه الأمور مسألة التوحيد، وهذه المسألة أخطأ فيها جماهير المسلمين عامتهم وخاصتهم، فقد شاع لديهم أن التوحيد الذي أمر الله به في كتابه وسنة نبيه هو الاعتقاد فقط بأن لهذا

الكون خالقاً مدبراً ورازقاً حكيماً يتصف بصفات الكمال، وقد ملئوا كتبهم وأتعبوا أنفسهم في إثبات هذه الحقيقة، مع أن -كما سمعتم من أستاذنا أكثر من مرة- هذه الحقيقة فطرية مركوزة في النفوس والأذهان، ولا تحتاج إلى كثير إثبات ولا إلى جهد كبير، فقد قال الله تعالى: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم:١٠] {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم:٣٠] .

وإن كل من ينظر إلى تاريخ البشر على مر العصور ليجد أن كل البشر يؤمنون بإله خالق مدبر وحكيم، إلا قلة نادرة من الملحدين على مر العصور كانوا يُسمَّون دهريين قديماً، ويسمون اليوم ملاحدة أو زنادقة أو شيوعيين، هؤلاء نسبتهم قليلة جداً بالنسبة لبقية البشر، لا يقول قائل: الشيوعيون مثلاً الآن هم سكان روسيا، وسكان الصين، وسكان الدول الشيوعية الأخرى الكثيرة، لا يقول أحد هذا، فإن سكان هذه الدول أكثرهم مؤمنون بالله، أكثرهم إما نصارى أو مجوس أو وثنيون يؤمنون بإله، ولكن الملاحدة منهم والشيوعيين مثلاً هم قلة قليلة، هم الحكام فقط، والذين يسيرون الأمور العسكرية وغيرهم، يعني هم أعضاء الحزب الشيوعي لا غير، أما بقية الشعب فتعلمون أن لهم كنائسهم، ولهم عباداتهم، وكانوا يجرون إحصاءات بين الحين والحين، أذكر أن آخر الإحصاءات أن الشيوعيين في روسيا نحو سبعة ملايين فقط، فإذاً هم قلة، ما قيمة سبعة ملايين أضف إليها مثلاً البلدان الأخرى خمسة عشر مليوناً أو عشرين مليوناً أو خمسين ما قيمتهم بالنسبة لبقية البشر الذين هم الآن نحو أربعة آلاف مليون نسمة؟ إن عامة البشر وجماهير الناس على مر العصور هم مؤمنون بإله، فإذاً ماذا يحتاج هؤلاء؟ إن أحوج ما يكونون إليه هو أن يؤمنوا بالله الإيمان الصحيح الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم والرسل السابقون.

إنه الإيمان الذي يعتد به إنه الذي ينجي صاحبه من الخلود في النار إنه طريق دخول الجنة إنه هو وحده الإيمان الصحيح وما عداه كفر، وكلنا نعرف أن المشركين كانوا يؤمنون بإله خالق إلا قلة نادرة جداً أيضاً، أشار إلى ذلك القرآن حيث قال: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر:٣٨] وبين سبب ضلالهم وشركهم أنه بسبب اعتقاد الشفعاء والوسطاء بينهم وبين الله: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس:١٨] {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:٣] وفي شعر للجاهليين تجد كثيراً لفظة الإله والخالق ويسلمون به، ويعظمونه، ولكنهم يعتقدون أن هذه الأصنام هي وسائط، وهي مقربات لهذا الإله، وإن ذكرها ودعوتها هو ضمان ليستجيب لهم الله دعاءهم ويغيثهم إذا استغاثوا به.

اهتمام الدعوة السلفية بتبيين التوحيد الصحيح وتفصيل أنواعه

الدعوة السلفية تهتم بتبيين التوحيد الصحيح الذي يكون الناس أحوج ما يكونون إليه، وهو ما استخلصه العلماء المحققون من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، من أن هناك ثلاثة أنواع للتوحيد، التوحيد السابق واصطلحوا عليه أنه توحيد الربوبية وهو: الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً رازقاً متصفاً بصفات الكمال.

والنوع الثاني للتوحيد: هو توحيد الألوهية.

والنوع الثالث: هو توحيد الصفات.

صحيح أن هذه أسماء اصطلح عليها من هؤلاء الأئمة الأعلام، ولكن مدلولها وحقيقتها موجود في ثنايا الكتاب والسنة، وإنما هؤلاء وضحوها وميزوها واصطلحوا عليها لتتضح الأمور وتتبين الحقائق.

أما توحيد الربوبية فقد شرحنا المراد به، أما توحيد الألوهية فهو أيضاً بصورة إجمالية أن يخص المسلم أصناف العبادة كلها لله عز وجل، هذا الخالق المدبر الذي آمن بـــه، وهذا في الحقيقة أمر طبيعي، فإذا كان الله هو المدبر الخالق الرازق إلخ، فلماذا يدعون غيره؟ ولماذا يعبدون سواه؟ يعبدون المخلوقين والمحتاجين، يعبدون الذين لا يملكـــون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، كما يقول الشاعر:

ومن قصد البحر استقل السواقيا

هذا العبد الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا بعثاً ولا حياة ولا نشوراً، كيف تدعوه وتترك ربك الذي بيده كل شيء، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، هل هو قاسٍ عليك؟ هل هو لا يستجيب دعائك؟ هل هو بعيد؟ هل هو ظالم حتى تخاف منه وتلجأ إلى سواه؟ إنه رحيم بعباده، رءوف بهم، يجيـــب دعـــوة المضطر إذا دعاه، يقبل التوبة عن عباده، إنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، إنـــه الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرح الإنسان الذي كان في سفر وضلت راحلته ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه بعدما يئس وأيقن بالهلاك.

فإذاً: هذا الإله العظيم الحكيم الرحيم لِمَ تتركه وتلجأ إلى غيره من هـــؤلاء الآلهـــة الضعفاء العجزة الذين لا يملكون لأنفسهم حياة ولا ضراً ولا نفعاً؟! فلذلك هـــذا التوحيد أمر فطري ضروري طبيعي.

ويعد توحيد الألوهية من أخص خصائص التوحيد، وهو من أهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في الحقيقة معنى قولنا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فكلمة (لا إله إلا الله) هي التي تدخل الإنسان في الإسلام، وهي الكلمة الطيبة، وهي التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة) فإذاً: علق دخول الجنة على من يقول هذه الكلمة مؤمناً بها مخلصاً من قلبه.

ما معنى هذه الكلمة؟ هل هي ألفاظ تقال باللسان هكذا دون فقه ولا اعتقـــاد ولا تطبيق؟ ليس كذلك، إن الأمور بحقائقها، هذه الكلمة معناها: الإله المعبود، أله يأله أي: عُبِد ويُعْبَد، الإله: المعبود، فلا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله.

فإذاً: من ألصق معاني (لا إله إلا الله) توجيه وتخصيص العبادة كلها بأنواعها المختلفة لله عز وجل.

كثير من المسلمين يجهلون العبادة، فيظنون أن معنى (لا إله إلا الله) آمنا بـــالله مـــع تخصيص العبادة لله، ونحن أيضاً نؤمن بذلك فلا نخصص صلاة ولا نسجد لأحد إلا لله، وهذا قصور في الفهم، فإنهم يجهلون أن العبادة معنى أشمل وأوسع من ذلك، إن العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه، العبادة تشمل أنواع التعظيم التي يجب أن تخص بالخالق الحكيم، إنها تشمل الدعاء، والنذر، والذبح، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والخوف، والخشية، والاستغاثة، والرجاء، والمحبة، كل هذه الأنواع من العبـــادات، وهؤلاء لجهلهم يظنونها مقصورة على الصلاة والحج مثلاً.

فيدل على ذلك نصوص كثيرة أيضاً لا نحصيها وإنما نذكر بعض الأمثلـــة، مـــثلاً: الدعاء والاستعانة يقول الله عز وجل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـــتَعِينُ} [الفاتحـــة:٥] وتقديم المفعول هنا يراد به التخصيص، (إياك نعبد) أي: لا نعبد غـــيرك، (وإيـــاك نستعين) أي لا نستعين بسواك، وهذا الفرق بين قولنا: إياك نعبد، وبـــين قولنـــا: نعبدك، لم يقل: نعبدك؛ لاحتمال أن يراد بها وأن تشمل نعبدك، ولا مانع مـــن أن نعبد غيرك، فقدم المفعول لهذا التخصيص.

كذلك قوله عز وجل: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَـــنْ عِبَـــادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:٦٠] فقابل بين (ادعوني) و (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) مبيناً أن الدعاء هو عبادة، ويوضح هذا تماماً قوله صلى الله عليه وسلم

الصادق: (الدعاء هو العبادة) وهكذا الذبح في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:١٦٢] ونسكي أي: ذبحي، ونصوص كثيرة تشمل الخوف والرجاء {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة:٤٠] {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥] {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣] وما أشبه ذلك من النصوص الكريمة.

هذا النوع الثاني من أنواع التوحيد الذي يجهله المسلمون وتركز عليه الدعوة السلفية؛ لأن من أخطأ فيه؛ أو جهله؛ أو اعتقد خلافه؛ فهو مشرك ويحكم عليه بالخلود في النار، إلا إذا كان لم تبلغه هذه الدعوة فأمره إلى الله فيعذره الله، ويوضح مصيره الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه يبعث إليه يوم القيامة رسول إلى آخر الحديث المعروف.

النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي يجهله المسلمون ويخالفون مضمونه، ويشركون فيه بالله هو توحيد الصفات، وهو: اعتقاد أن أحداً يشارك الله في صفة من صفاته، الله من صفاته: يعلم الغيب، فحينما يعتقد إنسان أن بشراً من البشر يعلم الغيب كما يعتقد الصوفية أن شيوخهم يكاشفون فيعلمون ما في نفسك، ويطلعون على أحوالك ولو كنت في مشرق الأرض وهم في مغربها، فهذا لا شك أنه شك في الصفات، وكذلك حينما يعتقدون في بعض مشايخهم أنهم يقدرن على كل شيء، وأنهم يقولون للشيء: كن فيكون كما ورد في بعض كتبهم، وحينما يعتقدون صفات أخرى هي من أخص خصائص الله عز وجل في أوليائهم أو في مشايخهم أو الأنبياء والرسل، فإنما هم قد أشركوا بالله عز وجل.

ومع الأسف فقد انتشر هذا في كلام المتأخرين كثيراً فتجد الشعراء منهم الذين يسمون المداح للنبي صلى الله عليه وسلم الذين كتبوا قصائد في مدح الرسول عليه

الصلاة والسلام، ويهتم الناس بتلاوتها في الموالد والاحتفالات الدينية، هذه تكثر فيها هذه الصفات، وهذه الأمور التي لا تجوز إلا لله نسبتها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى مشايخهم وأوليائهم.

والرسول عليه الصلاة والسلام قد حذر كثيراً من هذا، وقد أمر بعدم المبالغة في مدحه عليه الصلاة والسلام خشية من الوقوع في هذا الانحراف الخطير، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) وحينما جاء بعض الناس وقالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا قال لهم عليه الصلاة والسلام: (قولوا بقولكم هذا أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان) فكلمة (سيدنا وابن سيدنا) الرسول صلى الله عليه وسلم وجد فيها شططاً؛ لأن ابن سيدنا معناه: أن عبد الله والد رسول الله هو سيد لهم، وأنه كان مشركاً كما في الأحاديث المعروفة، فهذا من الشطط وقد حذرهم منه.

وحينما سمع بعض الجواري والأولاد ينشدون:

وفينا نبي يعلم ما في غد.

نهاهم عن ذلك أيضاً وقال: لا يعلم ما في الغد إلا الله عز وجل.

فمع هذا التنبيه وهذا التحذير من النبي صلى الله عليه وسلم خالفه الناس صراحة وقال قائلهم البوصيري مثلاً:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

معنى البيت: لا تقل: إن محمداً ابن الله وقل ما شئت فيه من الأقوال، وهذا واضحٌ ضلاله وواضحٌ انحرافه وشططه لكل ذي لب.

فتوحيد الصفات من أخطر أنواع التوحيد التي جهلها المسلمون وخالفوها، ومعروف أن مسألة التوحيد هي الفيصل بين الإسلام والكفر كما قلنا، فلو كان إنسان متعبداً

أعظم درجات التعبد، يقوم الليل، ويصوم النهار، ويتصدق، ويزكي ويقوم بأنواع النوافل المختلفة، ويتقرب إلى الله بشتى القربات، ويصل الأرحام إلى آخره، لو أشرك في عمره كله مرة واحدة كأن يكون استغاث بغير الله، أو قال كلمة فيها وصف أحد المخلوقات بصفة لله، فإن كل عمله باطل، وإنه خالد مخلد في النار إذا لم يتب منه، قال الله عز وجل: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر:٦٥] .

فإذاً: المسألة خطيرة وخطيرة جداً، ولذلك يوليها السلفيون الاهتمام الكبير.

ومن العجب! أن باقي المشايخ والعلماء لا يدندنون حولها، بل يخاصموننا فيها فيقولون: ما فيها شيء، المسألة تتعلق بالنية -مثلاً- نية هذا الإنسان إنما يريد بذلك وجه الله، أو يريد التقرب والتحبب وتعظيم هذا النبي وهؤلاء الأولياء، مع أنهم يعلمون أن النية لا تشفع للعمل مهما كانت صالحة، فلابد أن يكون العمل صالحاً والنية صالحة مصداقاً لقول الله عز وجل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف:١١٠] (لا يشرك) أي: لتكن نيته صالحة، (فليعمل عملاً صالحاً) أي: موافقاً للسنة، كما فسرها بذلك الأئمة والمفسرون مثل ابن كثير وغيره.

فإذاً: يجب الاهتمام بمسألة التوحيد بأنواعه الثلاثة -وخاصة النوعين الأخيرين- اهتماماً بالغاً لإنقاذ الناس من الهاوية ومن الضلال.

الدعوة السلفية واهتمامها بمسألة الاتباع

المسألة الثانية التي يركز عليها السلفيون هي مسألة الاتباع، مسألة طريقة الأحكام وطريقة التفقه في الدين: الشائع لدى الناس خاصة في الآونة المتأخرة أن على كل إنسان إذا بلغ سن الرشد أن يأخذ مذهباً من المذاهب الأربعة هو مذهب والده -مثلاً- فيتفقه فيه ويلتزمه ولا يخالفه في مسألة من المسائل، ويقلده تقليداً ولا يسأله

عن الدليل، ولا يسعى للاجتهاد، لأن الاجتهاد قد أغلق، ولأنـــه لـــيس أمامـــه إلا التقليد.

هذه المسألة أيضاً خطيرة وهامة، ويخالف فيها السلفيون جمهور الناس، فهم يرون أن الأصل في التفقه في أحكام الشرع الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة اتباعاً لقول الله عز وجل: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُـــمْ وَلا تَتَّبِعُـــوا مِـــنْ دُونِـــهِ أَوْلِيَـــاءَ} [الأعراف:٣] .

فالأصل -إذاً- أخذ الأحكام من الكتاب والسنة، لكن مـــن المعـــروف أن النـــاس يتفاوتون في ذلك، وأنه ليس بمقدور كل إنسان أن يأخذ مـــن الكتـــاب والســـنة، وخاصة بعد ما فشا اللحن، وبَعُدَ الناس عن لغة العرب وعن السليقة العربية وعـــن الفطرة، فأصبحوا غريبين عن لغة القرآن ولغة الحديث النبوي الشريف.

ولا شك أن من المعروف من قواعد الشريعة أنه إذا لم يستطع الإنسان أمـــراً فإنـــه يكلف بما دونه، فلم يستطع هذا الإنسان الأخذ من الكتاب والسنة -أخذ أحكـــام الكتاب والسنة- مباشرة فـــ {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦] كما قال الله عز وجل، فيترل درجة في ذلك إلى الاتباع، وهو مما نختلف فيه عنهم أنهـــم يقولون: لا يوجد اتباع، إما مجتهد وإما مقلد فقط، وهذه مكابرة وعناد؛ لأنه مخالف لما هو مشاهد ومحسوس، فأنت ترى في الناس من هو عالم قد بلغ من العلم شـــوطاً بعيداً، قد تفقه في لغة العرب، ودرس علم أصول الفقه، وأخذ وسائل الاجتهاد، فهذا هو المجتهد الذي يتفق الكل على أنه يجوز له الأخذ من الكتاب والسنة، بل يجب عليه مباشرة.

وهناك بقية الناس غير هذا الإنسان نحن نرى صنفين اثنين وإن كانا يتفاوتان فيمـــا بينهما، وفيهما مراتب كثيرة، هذان الصنفان هما عامة الناس الذين لا عنايـــة لهـــم

بالعلم، ولا دراسة لهم في الدين، فهؤلاء الذين يسمون مقلدين، هؤلاء إذا تلـــوت عليهم الآية لا يفقهونها إلا ما ندر من الآيات الواضحة الصريحة، أو ذكـــرت لهـــم الحديث لا يستطيعون أن يعرفوا معناه، أو يعرفوا الطريق الذي يعرفون صحته مـــن ضعفه، فهؤلاء لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، يكلفون أن يسألوا أهل العلم، لكـــن عليهم أن يبذلوا جهدهم أيضاً في اختيار أهل العلم الموثوقين الذين لا تعصُب لديهم، والذين هم ثقات في دينهم وفي علمهم، ومع ذلك فليس عليهم أن يلتزموا واحـــداً بعينه من هؤلاء، وإنما عليهم كما قال الله تبارك وتعالى: {فَاسْأَلوا أَهْلَ الـــذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣] إن كنتم لا تعلمون فاسألوا أهل الذكر، لم يحـــدد واحداً بعينه وإنما يكون إزاء ذلك حسب ما يتيسر له فلان ممن يثق بعلمه ودينـــه، فيسأله ويسأل في مرة أخرى آخر فيسأله، ولا يضيق على نفسه ويحدد اتباعه وتقليده لعالم معين.

هناك بين هذا المقلد وذلك المجتهد أناس كثيرون لهم عناية بالعلم، دراسة للغة دراسة للعلوم الشرعية دراسة للقرآن للتفسير للحديث، فهؤلاء لا نستطيع أن نقول: إنهـــم مثل أولئك الأولين أو المقلدين، إنهم يختلفون عنهم وإننا نظلمهم حينما نسويهم بهم، لا شك أن لهم فضلاً عليهم، ولا يجوز أن نعاملهم مثلهم، فإنهم إذا ذكـــرت لهـــم الآيات والأحاديث عرفوا معانيها، أو تفقهوا في أكثرها بالجملة وقد تخفى علـــيهم طبعاً بعض المعاني، لكن إذا استعانوا ببعض العلماء يفقهونها ويفهمونهـــا، فهـــؤلاء عليهم أن يبذلوا جهدهم، وجهدهم هو أن يعرفوا الحكم الشرعي عن طريق عالم من العلماء، ويعرفوا دليله الذي وصل به إلى الرأي الذي يتبناه، هؤلاء يستطيعون هذا، فكيف نسامحهم ونتساهل معهم فنقول لهم: يكفي أن تقلدوا العالم، تسأل العالم ما هو حكم الشرع في هذا؟ فيقول لك: كذا وكذا، أنت بإمكانك إذا ذكر لك الدليل

أن تفقهه فلِمَ تتنازل عن ذلك؟ ولِمَ تتساهل؟ مع أنك في أمور الدنيا إذا كنت تاجراً -مثلاً- فلا تكتفي بسؤال المختص بذلك سؤالاً مجملاً معارضاً وإنما عليك أن تعلم وتدقق وتحاسب وتقارن، وتسأل أكثر من واحد، لماذا في أمور الدنيا تفعل ذلك، وأما في أمور الدين تتهاون وتتساهل؟ هل أمر دينك أهون عليك وأضعف عندك وأقل شأناً من أمور دنياك؟ إنك إن كنت كذلك فما أخطأك وما أضلك.

فلا شك أن مفسدةً نشَأت بين المقلد المجتهد وبين المقلد المبتدع الذي يتبع إمامه بدون حجة ولا معرفة الدليل وهذا بخلاف من يقتدي بعالم مجتهد بعد أن يفقه دليله، ويطلع على حجته ويقتنع بها ويرجح من أقوال العلماء ما يطمئن لها في نفسه، هذا موقف السلفيين في مسألة أخذ الأحكام الشرعية، ومسألة التفقه في الدين، ففي اعتقادنا أنه هو الموقف الحق العدل الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

ويفتري علينا المخالفون افتراءات باطلة، نحن دائماً نكرر براءتنا منها، يدَّعون أننا نكره الأئمة الأربعة، وأننا نطعن فيهم، وأننا نوجب الاجتهاد على كل مسلم، وأننا نأمر كل أحد أن يكون مجتهداً عالماً ولا يجوز له أن يقلد، وهذا ظلم وافتراء طالما بيّنّا بطلانه، وطالما بيّنّا براءتنا منه، ومع ذلك فلا يتقون الله، ويصرون على نسبته إلينا، ويشهد الله أننا منه برآء، كما يقال: براءة الذئب من دم ابن يعقوب، مع أن كتبنا مليئة ببيان هذه الحقيقة، فبعضهم -مثلاً- سود كتاباً ملأه وحشاه لإثبات جواز التقليد، والاستدلال على أن التقليد جائز وواجب على بعض الناس، كل ذلك يرد به على السلفيين على أنهم ينكرون التقليد.

فهذا من الظلم الشنيع، كما أنه قد جُزم له بذلك وأُثبت له أن السلفيين يقولون: إن الجاهل عليه أن يقلد، مع ذلك يصرون على هذا، وهذا يبين ما في نفوسهم من الضغينة والحقد والتحامل والظلم.

الدعوة السلفية وموقفها من مسألة التزكية النفسية والروحية

المسألة الثالثة هي: مسألة التزكية النفسية والتزكية الروحية، هذه المسألة قد شاع لدى المتأخرين فيها طريق المتصوفة، هؤلاء الذين يعتمدون لتزكية النفوس على المجاهدات الروحية، والوسائل النفسية، وما أحدثه مشايخهم من أمور ادّعوا أنها توصلهم إلى الله، وقد اعتمدوا فيها على غير ما جاءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء المتصوفة -والحق يقال-: إن أول درجات التصوف اتباع، وآخر درجاته زندقة، أول ما يدخل الإنسان في الصوفية لابد أن يقوم ببعض البدع؛ لأنه ما الذي يميز الصوفي عن غيره من أهل السنة؟ أهل السنة يلتزمون بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فبم يختلف الصوفي عنهم؟ إن قالوا: نحن على الكتاب والسنة، فلماذا -إذاً- تختصون لأنفسكم طريقاً؟ لماذا تلتزمون بأوراد؟ لماذا تلتزمون بنوع معين من الذكر، وطريقة خاصة به؟ لماذا تفرقون المسلمين؟ فهذا شاذلي، وهذا رفاعي، وهذا قادري وما أشبه ذلك؟ لا شك أن الحقيقة البينة الناصعة تدل على أنهم يخيرون في دين الله، فلا يكتفون بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهدي السلف الصالح وإنما يزيدون ما استحسنوه لأنفسهم وما أضافوه إلى الدين من أمور هو منها بريء، وأمور هي ضلالات، فلذلك طرق الصوفية السلفيون ينكرونها جملة وتفصيلاً، وليست المسألة -كما يتوهم البعض- اتباع، وأن الصوفية هي نفس ما جاء به الإسلام من درجة الإحسان أو التزكية أو تلطيف القلوب أو الجانب الروحي.

وهناك ضلال آخر وهو أنهم يعتقدون أن هناك طريقاً لمعرفة الغيب ولمعرفة حقائق الأمور عن طريق الكشف، ولا يرجعون فيه إلى ما جاءهم عن طريق الشرع، ويزهدون في التعلم، وبعضهم أحرق كتبه، وقال آخرون: أنتم تأخذون علومكم ميتاً عن ميت ونحن نأخذها عن الحي الذي لا يموت! وهذا الذي يسمى بنظرية الكشف

وهو من أبشع الباطل، ومن أضل الضلال، وهو إذا نظر فيه الإنسان نظرة شاملة صحيحة يجده إلغاء لكل ما جاءنا به الإسلام، واستبدال ما جاء عن طريق الحدس والتخمين والأهواء والنزغات الشيطانية به.

وهذا خطر عظيم ما بعده خطر، إنه الكهانة، يدعون أن الملائكة تأتيهم وتلهمهم، وأن الله هو الذي يخبرهم ويلهمهم، وما الدليل على ذلك؟ ما الذي يضمن أنه إلهام من الله وليس نزغات الشياطين؟! والأمور بنتائجها وتعلم من آثارها.

أيضاً: لا يتسع المقام للإفاضة في ذلك فحسبنا أن نكتفي بهذا، هذه أسس هامة ثلاثة للدعوة السلفية.

الدعوة السلفية وتحذيرها من البدع وما دخل على الدين مما ليس منه

وهناك أمور أخرى تتصف بها ومن مبادئها وتركز عليها ونحذر من أمور لأنها سلبية، وهي: التحذير من أمور البدع، وما دخل على الدين من المحدثات التي شوهت جماله، وكدرت صفاءه، وعكرت ما كان عليه من جمال ونقاء.

هذه المحدثات دخلت على الدين فغيرت حُكم الله وضللت الناس، فالسلفيون يهتمون بتنبيه الناس إليها، ويحذرونهم منها، والابتداع أمر ليس سهلاً؛ ليست المسألة كما يقال: فرعيات ليس فيها شيء؛ الخير خير؛ لأن حقيقة الابتداع أنه استدراك على الله عز وجل، وأنه تشريع بالرأي وبالعقل، هذا الأمر يقال لك: يتعبد به ويتقرب به إلى الله عز وجل، ما مستند ذلك؟ إنه الرأي والاستحسان ليس غير، وهو ينسف آية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ} [المائدة:٣] من أساسها، وغير ذلك من الآيات.

مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من البدع كثيراً، وقال عليه الصلاة والسلام: (إياكم ومحدثات الأمور) وجعلها في خطبة الحاجة التي كان يكررها كل

أسبوع في خطبة الجمعة، وفي غيرها من المجالس، كل ذلك توكيداً وتذكيراً لخطورة البدع، ولأهمية الالتزام بما جاءنا عن الله ورسوله، ومع ذلك فقد أصم هؤلاء الخلف آذانهم عن هذه الأحاديث البينة وعن نصوص الكتاب الواضحة، وأصروا على البدع وزادوا فيها.

الدعوة السلفية وتحذيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة

أمر آخر -أيضاً- سلبي يحذر منه السلفيون وينبهون عليه وهو تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كانت عمدة لكثير من البدع، هذه الأحاديث شاع لدى الناس إيرادها وذكرها، الخطباء والمدرسون والكتاب والمؤلفون، تجد الكتب طافحة بنسبة الأقوال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم منها براء، ولا يتحرزون، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينبه إلى ذلك كثيراً ويحذر منه، ويبين خطورته وأنه كذب عليه، (وإن كذباً عليَّ ليس ككذباً على أحدكم) فيستحل بالحديث المنسوب إلى رسول الله مما لا يصح أن يستحل به الحرام ويبنى به الأحكام، وهذا أيضاً أمر هام تقوم به الدعوة السلفية وتبين ما صح من الحديث وما لم يصح.

هذه الكلمة أصل فيها، ولقد أشرت أن التتمة لا يتسع الآن المقام لها، وهو: موقف السلفية من الدعوات الأخرى، فلعل ذلك في موقف آخر أو مجلسنا الثاني إن شاء الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة الشيخ الألباني: الفرق بين الإمامين ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب

اثنتان منهما من باب التنبيه والتذكير، والأخرى من باب التوضيح والتأكيد والبيان، لقد جاء في تضاعيف كلام الأستاذ عيد عباسي أنه ذكر الشيخ محمد بن عبد

الوهاب أنه من أولئك الدعاة السلفيين، وهو كذلك بلا شك، ولكن الواقع يشهد بأنه سلفي في العقيدة، وما دمتم سمعتم شيئاً من التفصيل في كلامه عن الدعوة السلفية، وأن منها أنها تدعو إلى اتباع الكتاب والسنة كلاً حسب استطاعته كما سمعتم، وأنها تحذر من اتخاذ التقليد مذهباً وديناً، ما دام أن الدعوة السلفية هذا من مذهبها فيجب أن نعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان سلفياً في العقيدة، وله الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله جميعاً في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي بصورة عامة، وفي البلاد النجدية والحجازية فيما بعد بصورة خاصة، يعود الفضل إليه بعد ابن تيمية.

ولذلك فلعل انكبابه واجتهاده في دعوة الناس إلى هذا التوحيد الخالص المصفى من أدران الشرك والوثنية بكل التفاصيل هو الذي صرفه عن الاشتغال بإتمام الدعوة السلفية، وذلك في محاربة الجمود على التقليد، وعلى التمذهب الذي صار فيما قبل زمانه وفي زمانه وفيما بعده صار ديناً، كل من ترك التقليد نبذ بالزيغ والانحراف ونحو ذلك مما ألمح الأستاذ المحاضر إليه في كلمته السابقة.

وهو من هذه الحيثية، أي: من حيث أنه كان يدعو إلى التوحيد دون ما سوى ذلك مما يتعلق بالإسلام المصفى على ما سمعتم؛ يختلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإن هذا الشيخ الجليل قد دعا إلى الإسلام بعموم الإسلام من كل نواحيه أن يُفهم على الوجه الصحيح، على التفصيل الصحيح الذي سمعتموه، فهو -مثلاً- يحذر من الأحاديث الضعيفة، ويحذر من بناء الأحكام الشرعية عليها، وو إلى آخر ما هنالك من تفاصيل ذكرها الأستاذ، بخلاف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلم تكن له هذه العناية، لا في الحديث ولا في الفقه السلفي، فهو من الناحية المذهبية حنبلي،

ومن الناحية الحديثية كغيره، فليس له آثار في الفقه تدلنا على أنه كـ ابـن تيمية سلفي المنهج في التفقه في الدين، لعل له في ذلك عذراً كما ألمحنا إليه آنفاً.

وكذلك في الأحاديث فهو كغيره مع الأسف الشديد، لا معرفة عنده بالحديث الصحيح والضعيف، ومن الأدلة التي تدلنا على هذا أن له رسالة مطبوعة متداولة عند أتباعه النجديين حتى اليوم، اسمها آداب المشي إلى المسجد، وقد أورد في مطلع هذه الرسالة الحديث المعروف عند السلفيين عامة إلا القليل منهم بضعفه، ألا وهو حديث أبي سعيد الخدري، الذي أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، من طريق الفضيل بن مرزوق، عن عطية السعدي - عطيه العوفي، والسعدي أيضاً، لكنه مشهور بـ العوفي أكثر- عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته إلى المسجد قال: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا ...) إلى آخر الحديث.

فهو أولاً أورده دون أن ينبه على ضعفه، مع أن فيه علتين اثنتين، لو أن واحدة منهما استقلت لنهضت بتضعيف الحديث، فكيف بالعلتين مجتمعتين معاً؟! وثانياً: أن ظاهر هذا الحديث يخالف ما كان يدعو إليه من عقيدة، ومن إخلاص التوحيد والدعوة لله عز وجل وهو التوسل بالمخلوقين، فهو كـ ابن تيمية وككل سلفي بصير في سلفيته وفي دعوته، يحارب التوسل إلى الله بعبادة غير الله عز وجل، وهذا الحديث في ظاهره التوسل إلى الله بحق السائلين، وبحق هذا العبد الذي يمشي إلى طاعة الله وإلى عبادته، أقول هذا غير ناسٍ أن الحديث لو صح لأمكن تأويله كما كنت ذكرت في بعض مؤلفاتي.

لكن موضع الشاهد من هذا أنه أورده كأدب من آداب المشي إلى المسجد، إذا خرج المسلم من بيته فعليه أن يدعو بهذا الدعاء، وهو حديث ضعيف، فهذا يدل على أن

شيخ الإسلام الثاني في التوحيد محمد بن عبد الوهاب ليس كـ شيخ الإسلام الأول من حيث أنه كان سلفياً في كل نواحي الدعوة ومجالاتها الكثيرة.

هذه الناحية الأولى أردت التنبيه عليها، وهذا -طبعاً- من باب إعطاء كل ذي حق حقه، نحن بلا شك لا يسرنا أبداً أن ينال أحد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما يفعل أعداء الدعوة، وأعداء التوحيد حيث يتهمونه بكل ما يتهم به السلفيون في كل بلاد الدنيا، ولكن هذا لا يحملنا على الغلو في إعطاء كل شخص من حملة الدعوة السلفية ما ليس فيه، فيجب أن نفرق بين ابن تيمية وبين محمد بن عبد الوهاب، ونعطي كل ذي حق حقه، من أجل هذا قلت ما قلت، وإلا فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب له مترلته في الدعوة عندنا بعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الرد على من قال: إن المشركين يعتقدون الحكمة لله تعالى

التنبيه الثاني: جاء في كلام الأستاذ: عيد عباسي في صدد تحدثه عن توحيد الربوبية، وأن هذا التوحيد يعتقده جماهير الناس والأمم حتى المشركين وهذا كلام حق، ولكن جاء في أثناء كلامه بأنهم يعتقدون في الله أنه خالق مدبر حكيم، فأنا أريد أن ألفت النظر، ولي هدف غير الهدف الظاهر من كلمتي هذه.

قوله: إن المشركين كانوا يعتقدون بأن لهذا الكون خالقاً مدبراً، لو وقف إلى هنا لكان الكلام مُسلَّماً، ولكنه أضاف إلى ذلك وصفاً وصفة أخرى وهي صفة حق لله تبارك وتعالى، ولكنه نسب إلى الكفار أنهم كانوا يعتقدون في الله هذه الصفة أيضاً وهي أنه حكيم.

من المؤسف أن أقول -وهذا هو الشيء الآخر الذي أرمي إليه في هذا الكلام-: إن اعتقاد أن الله حكيم ليس فقط مما لا يعتقده المشركون الذين كانوا يشركون في توحيد الألوهية، وفي توحيد الصفات كما سمعتم شيئاً من التفصيل في ذلك، ليس

المشركون هؤلاء وحدهم كانوا لا يعرفون الله حكيماً، يعرفونه خالقاً مربياً مدبراً، أما أنهم يعرفونه حكيماً فلا، ولكن مع الأسف الشديد هناك جماهير من المسلمين اليوم لا يعتقدون هذه الصفة لله رب العالمين، هذا ما أردت التنبيه عليه، يعني: وصف المشركين بأنهم يعتقدون بأن الله حكيم خطأ؛ لأننا نعلم أن هذه الحكمة هي في كثير من الأمور الإيمانية، ومن أجل ذلك شك في هذه الصفة بعض الطوائف الإسلامية، بعض المذاهب الإسلامية، ولا أكتم الحق، ولذلك أقول: إن كتب الأشاعرة طافحة بأن الله عز وجل لا يوصف بأنه حكيم، مع علمهم بأن هذا الاسم الكريم مذكور في القرآن الكريم، ولكنهم يتأولون هذا الاسم: حكيم بأنه من الحكم وليس من الحكمة، فهو حكيم على وزن فعيل بمعنى فاعل، أي: أنه حاكم، أما أنه حكيم بمعنى أنه يضع الشيء في محله مقروناً بالحكمة، فهذا مع الأسف الشديد لا أقول: إن الأشاعرة لا يؤمنون به، بل يصرحون بنفيه، وكتبهم طافحة بذلك، وشبهتهم معروفة؛ لأنهم يتساءلون فيقولون: ما الحكمة من تعذيب الأطفال، أين الحكمة في تعذيب الأطفال؟ أين الحكمة في تعذيب الحيوانات؟ لا شك أن المسلم المؤمن بحكمة الله عز وجل يقول: قد لا أدري ما الحكمة في تعذيب الأطفال وإن كان بعض علماء التوحيد المؤمنين بهذا الاسم (حكيم) وبمعناه الصحيح يحاولون أن يوجدوا حكمة ظاهرة في تأليم الأطفال وتعذيب الحيوانات، ولكن أنا في اعتقادي ليس كل مسلم يستطيع أن يستكشف الحكمة الإلهية في كل تصرف إلهي، ولذلك فلابد في نهاية الأمر من الإيمان الذي هو الشرط الأول في وصف المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، فالإيمان بالغيب هو الفصل الحق بين المؤمن الصادق والمؤمن الكاذب، فإذا عرفنا الله عز وجل أنه وصف نفسه بأنه حكيم، فيجب أن نؤمن سواء

ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر، على أن حكمة الحكيم العليم واضحة بينة في كثير من هذا الخلق المشهود، لا سيما المتخصصون في دراسة نظام هذا الكون.

لكن تبقى هناك أمور كثيرة أو قليلة يخفى الحكمة فيها على كل الناس، أو جُل الناس أو أقل الناس، فما الذي يمنعنا أن نقول: {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء:٦٥] ؟ عجْز الأشاعرة عن أن يقفوا على الحكمة في بعض تصرفات الله عز وجل فيما يخلق، فحملهم إلى تحريف عن هذا النص القرآني، فيقولون: قال تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود:١٠٧] {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣] لا يسأل عما يفعل؛ لأنه يفعل ما لا حكمة فيه ولا عدل فيه {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود:١٠٧] أي: كأي جبار من جبابرة الأرض يتصرف في حدود جبروته دون أن يتقيد بعدل أو بحكمة، هكذا وهم يقولون: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١] ويغالون في ذلك حتى نفوا عنه الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه في حديثه، ومع ذلك يتأولون هذه الصفات، لماذا؟ قالوا: تتريهاً لله رب العالمين، ثم ينسون هذا كله فيصفون الله عز وجل بمثل ما يصفون به الجبابرة، إنه فعال لما يريد بدون عدل وبدون حكمة.

ومن هنا توصلوا إلى التصريح بقولهم في عقيدة الجوهرة المشهورة عند الأشاعرة: لله تعذيب الطائع وإثابة العاصي، وشرح هذا عند بعضهم ممن لا يستحي ولا يخجل أن الله تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً له أن يدخل محمداً عليه الصلاة والسلام وأن يلقيه في الدرك الأسفل من النار مكان إبليس الرجيم، وأن يرفع إبليس الرجيم ويجعله في الدرجة الوحيدة التي قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (أرجو أن أكون أنا هو) في الحديث المعروف لديكم جميعاً، قالوا هذا في كتبهم: له إثابة العاصي وتعذيب الطائع، فلماذا لا يعذب الحيوان، ولماذا لا يعذب الطفل الذي لا

يعرف الطاعة من المعصية، وهم يقولون: لله أن يعذب الطائع، أن يدخل الرسول في الدرك الأسفل من النار، ويرفع إبليس في أعلى درجات الجنان، قالوا هذا صـــراحة، من أين أخذوا هذا؟ من إطلاقات الآيات الكريمات {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود:١٠٧، البروج:١٦] بلا شك أنه فعال لما يريد، هل يستطيع أحد أن يحول بينه وبـــين مـــا يريد، ولكن هل فعال لما يريد، بمعنى أنه لا عدل عنده؟! حاشا لله، هل معنى فعال لما يريد، لا حكمة عنده؟ حاشا لله! ولذلك يجب كما نقول دائماً وأبداً: كل مســألة يجب أن تضم النصوص فيها بعضها إلى بعض، وتؤخذ الخلاصة من مجمـــوع هـــذه النصوص، ففعال لما يريد إنما يريد الله عز وجل من هذا الـــنص وأمثالـــه ألا أحـــد يستطيع أن يحول بينه وبين ما يريد أن يفعله، لكن هذا ليس معناه أنه ليس بحكـــيم، وليس بعادل، كيف والله عز وجل يقول: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:٣٥-٣٦] .

الجبابرة من العبيد قد يفعلون هذا كما هو الواقع اليوم والمشاهد، يرفعون الســفلة المجرمين في وظائف وفي منازل رفيعة جداً، ويعكسون فيضعون الناس الصـــالحين في وظائف يستطيع أن يقوم بها الأطفال الصغار، هذا شأن الجبابرة، أما الله عز وجـــل الجبار بحق، والحكيم العليم فهو منزه عن كل شيء ينافي صفة الكمال فيـــه تبـــارك وتعالى.

هذا ما أردت التنبيه عليه بالمناسبة، وأنا أريد أن أرمي عصفورين بحجر واحد.

العصفور الأول: ألا نصف الكفار بأنهم كانوا يعتقدون بأن الله حكيم؛ لأن بعـــض المسلمين ما آمنوا به، مع أن الله عز وجل أنزل هذه الصفة في القرآن الكريم.

والعصفور الثاني: إلفات النظر إلى أهمية الدعوة السلفية، التي تدعو المسلمين جميعاً إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة دون انحراف إلى الأخذ بأقوال علماء الكلام، ففي علماء

الكلام ما هو إلحاد وكفر بالقرآن، وهذا مثاله قد جاءكم من باب التحــذير عــن وصف الكفار بأنهم يؤمنون بأن الله حكيم، وفي الوقت الذي يقولون: بأن الله خالق ومدبر الكون يؤمنون بأن الله حكيم، هذا إذا آمن به المسلمون فهذا هو واجبــهم؛ لأن الله ذكر لهم في القرآن أن الكفار الذين لا يؤمنون بالله ولا بــاليوم الآخــر إلى آخره، فلا يمكن أن يؤمنوا بأن الله حكيم؛ لأن حكمته تخفى في كثير من الأمور، من أجل ذلك وقعت الأشاعرة في هذا الانحراف الخطير.

الدعوة السلفية ورجوعها قديماً وحديثاً إلى الكتاب والسنة عل منــهج الســلف الصالح

المسألة الثالثة: وهي في الواقع زيادة بيان لبعض ما جــاء في كــلام الأخ، الــدعوة السلفية تلتقي مع الدعوات الأخرى كلها قديمها وحديثها مما يحوم دعاتها في دائــرة الإسلام، كلهم يلتقون في كلمة سواء وهي: أنهم يرجعون إلى الكتــاب والســنة، فالدعوة السلفية من هذه الحيثية لا مزية لها على سائر الدعوات، خاصة ما كان منها قائماً في العصر الحاضر اليوم، ولكن إنما تتميز الدعوة السلفية في هذا المجال الــذي يدندن الجميع حول الكتاب والسنة، أنهم يدعون إلى فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، لا يكتفون فقط بدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، بل يزيدون على ذلك إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة على منهج السلف الصــالح؛ لأن هذه الفرق الكثيرة التي أشار إليها الرسول عليه الصلاة والسلام إشــارة عــابرة في حديث الفرق الثلاث والسبعين، (كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي ما أنا عليه وأصحابي) وفي رواية أخرى وهي الأصح قــال: (هــي الجماعة) وفي الحديث الآخر: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشــدين) إلى آخــر الحديث.

فنجد هنا في هذين الحديثين تنبيهاً إلى هذا القيد الذي يتمسك به السلفيون من بين سائر الدعاة: كتاب وسنة وفهم على منهج السلف الصالح؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ما قال: (ما أنا عليه) فقط، وإنما قال: (وأصحاب) وما قال: (عليكم بسنتي) فقط، وإنما قال: (وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) وهذا في الواقع اقتباس من القرآن الكريم، كمثل قول رب العالمين: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [النساء:١١٥] .

فالله عز وجل قال: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:١١٥] لماذا جاء بهذه الجملة؟ هذه جملة بيانية خطيرة جداً، كان يكفي أن يقول: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى) ولكنه أضاف إلى مشاقّة الرسول قوله عز وجل: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:١١٥] بحكمة بالغة ألا وهي: أن مشاقّة الرسول إنما تظهر بمخالفة سنة المؤمنين، ومنهج السلف الصالح الذي سمعتم عنه في الكلمة السابقة.

وفي ذلك يقول ابن القيم تأكيداً وإشارة عابرة سريعة إلى هذا القيد في فهم الكتاب والسنة، يقول:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

أيضاً لم يكتف بقوله: العلم قال الله قال رسوله كما يقول جماهير المسلمين، وإنما أضاف إلى ذلك:

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذراً من التعطيل والتشبيه

أريد أن أقول باختصار: إن الدعوة السلفية تدندن في جملة ما تدندن حـــول فهـــم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، ومن هنا تأتيهم العصمة من الوقـــوع في العقائد التي تكلم عنها علماء الإسلام، وأنها انحرفت عن الجادة كـــ المعتزلة وكـــــ المرجئة وكـــ الجبرية ونحو ذلك، ومن الأفكار الحديثة اليوم التي يتكلم بها ويسطرها كثير من الكتاب الإسلاميين باسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شـــيء، ولا يمكن لأحد من أهل العلم أن يعرف ذلك إلا إذا كان متمسكاً بالكتـــاب والســـنة وعلى منهج السلف الصالح، هذه ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، وبهـــذا القـــدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

أصول الدعوة السلفية ومقاصدها

السؤال

ما هي أصول الدعوة السلفية ومقاصدها؟

هذا سؤال هام بطبيعة الحال، وسوف نجيب بقدر ما يساعد المكان والزمان.

نقول: أصول الدعوة السلفية قائمة -كما يعلم الجميع- على ثلاث دعائم:

الدعامة الأولى: القرآن الكريم.

والدعامة الثانية: السنة والسنة الصحيحة، ويركز السلفيون في كل بلاد الدنيا على هذه الناحية (السنة الصحيحة) ؛ ذلك لأن السنة -بإجماع أهل العلم- قد دخل فيها ما ليس منها منذ أكثر من عشرة قرون، هذا أمر لا خلاف فيه؛ ولذلك من المتفق عليه أيضاً أنه لا بد من تصفية السنة مما دخل فيها مما ليس منها؛ ولذلك فالسلفيون يتبنون أن هذا الأصل الثاني (السنة) لا ينبغي أن يؤخذ على واقعه؛ لأن فيه الضعيف والموضوع مما لا يجوز الأخذ به حتى ولا في

فضائل الأعمال، فهذا هو الأصل الثاني، وهذا متفق عليه تقريباً بين المسلمين سلفهم وخلفهم.

والدعامة الثالثة: وهو مما تتميز به الدعوة السلفية على كل الدعوات القائمة اليوم على وجه الأرض؛ ما كان منها من الإسلام المقبول، وما كان منها ليس من الإسلام إلا اسماً، فالدعوة السلفية تتميز بهذه الدعامة الثالثة ألا وهي: أن القرآن والسنة يجب أن يفهما على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، أي: القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية بنصوص الأحاديث الكثيرة المعروفة، وهذا مما تكلمنا عليه بمناسبات شتى، وأتينا بالأدلة الكافية التي تجعلنا نقطع بأن كل من يريد أن يفهم الإسلام من الكتاب والسنة بدون هذه الدعامة الثالثة فسيأتي بإسلام جديد، وأكبر دليل على ذلك الفرق الإسلامية التي تزداد في كل يوم؛ والسبب في ذلك هو عدم التزامهم هذا المنهج الذي هو الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

لذلك نجد الآن في العالم الإسلامي طائفة ظهرت من جديد، وطلعت علينا من مصر، ثم بثت أفكارها وسمومها في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ويدعون أنهم على الكتاب والسنة، وما أشبه دعواهم بدعوى الخوارج؛ لأنهم أيضاً كانوا يدعون التمسك بالكتاب والسنة، ولكنهم كانوا يفسرون الكتاب والسنة على أهوائهم، ولا يلتفتون إطلاقاً إلى فهم السلف الصالح وخاصة الصحابة منهم، وأنا لقيت من هؤلاء أفراداً كثيرين، وفي الفترة القريبة في الأردن جادلت رأساً من رءوسهم للمرة الثانية، وهو يصرح بأنه لا يعتد بتفسير الآية ولو جاء عن عشرات من الصحابة، أي: لو جاء هذا التفسير عن عشرات من الصحابة، فهو

لا يقبل هذا التفسير إذا كان هو لا يراه، وهذا الذي يقـــول هـــذا القـــول لا يستطيع أن يقرأ آية بدون لحن وغلط وخطأ فيها، هذا هـــو ســـبب انحـــراف الخوارج القدامى، الذين كانوا عرباً أقحاحاً، فماذا نقول عن الخوارج المحـــدثين اليوم، الذين هم إن لم يكونوا أعاجم فعلاً فهم عرب استعجموا، وليسوا عجماً استعربوا، هذا واقعهم، فهؤلاء يصرحون بأنهم لا يقبلون تفسير النص إطلاقـــاً، إلا إذا أجمع عليه السلف، هكذا يقول قائلهم تمويهاً وتضليلاً.

فقلت له: وهل تعتقد إمكان إجماع السلف على تفسير لنص من القرآن؟ قال: هذا مستحيل.

قلت: إذاً أنت تريد المستحيل، أم أنك تتستر؟ فخنس وسكت.

الشاهد: أن سبب ضلال الفرق كلها قديماً وحديثاً هو عدم التمســـك بهـــذه الدعامة الثالثة: أن نفهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح.

المعتزلة المرجئة القدرية الأشعرية الماتريدية؛ وما في هذه الطوائف كلـــها مـــن انحرافات، سببها أنهم لم يتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح؛ لـــذلك قـــال العلماء المحققون: وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف.

فهذا ليس شعراً، بل هذا الكلام مأخوذ من الكتاب والسنة: {وَمَـــنْ يُشَـــاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النســـاء:١١٥] لماذا قال: ويتبع غير سبيل المؤمنين؟ كان يستطيع ربنا أن يقول: (ومن يشـــاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصـــيراً) فلم قال: ويتبع غير سبيل المؤمنين؟ حتى لا يركب أحد رأسه، ولا يقول: أنـــا

فهمت القرآن هكذا، وفهمت السنة هكذا، فيقال له: يجب أن تفهم القرآن والسنة على طريقة السلف المؤمنين الأولين السابقين.

وقد أيد هذا النص من القرآن نصوص من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، كحديث الفرق، قال عليه الصلاة والسلام: (كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: في رواية الجماعة.

وفي أخرى: ما أنا عليه وأصحابي) لماذا وصف الفرقة الناجية بأن تكون على ما كانت عليه الجماعة، وهي جماعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ لكي يسد الطريق على المؤولين، وعلى المتلاعبين بالنصوص.

منهج المعتزلة في تأويل النصوص

يقول تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣] نص صريح في القرآن أن الله عز وجل يمتن على عباده المؤمنين يوم القيامة، فيرون وجهه الكريم، كما قال الفقيه الشاعر السلفي:

يراه المؤمنون بغير كيفٍ وتشبيهٍ وضربٍ للمثال

قالت المعتزلة: لا يمكن للعبد أن يرى ربه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

أين تذهبون بالآية؟ قالوا: معناها: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا} [القيامة:٢٢-٢٣] أي: إلى نعيم ربها ناظرة، فهذا تأويل، بمعنى: إلى نعيم ربها، ربنا قال: {إِلَى رَبِّهَا} [القيامة:٢٣] من أين جئت بهذه؟ قال: هذا مجاز الحذف، ومن هنا أنكر ابن تيمية المجاز في القرآن؛ لأنه كان معولاً من أعظم وأقوى المعاول هدماً للعقيدة الإسلامية، هذا النص يثبت لله عز وجل نعمة منه

على عباده أن يروه يوم القيامة، ويقول هؤلاء: لا يمكن! الله يقـــول: {لَـــيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] فيقولون: لا.

ليس سميعاً ولا بصيراً، لم؟ لأننا إذا قلنا: سميع بصير شبهناه بأنفسنا، إذاً ما معنى: سميع بصير؟ قالوا: عليم، سميع بصير لفظتان عربيتان تساوي عندهم عليم فقط، وهل خلصنا من المشكلة، وفلان العليم! اليوم يقال عنـــد الـــدكتور في اللغـــة العربية: عليم، تعبير لا بأس فيه، ويجوز أن نقول عن الإنسان: عليم، مبالغة في الوصف، هل يجوز أن نقول: فلان عليم؟ نعم.

إذاً: لا نقول الله عليم؛ لأنه صار فيه تشبيه لله بعبد الله، وهكذا عطلوا صـــفات الله عز وجل، ووصل بهم الأمر أن أنكروا وجـــود الله، ســـواء اعترفـــوا أو لم يعترفوا فذلك يلزمهم، ورحم الله ابن القيم حين يقول: (المجسم يعبـــد صـــنماً، والمعطل -أي: المؤول- يعبد عدماً) ، ولذلك يقول هؤلاء المؤولـــة الـــذين لم يلتزموا منهج السلف الصالح في آيات وأحاديث الصفات، يقولون: الله لا فوق.

هل تجدون في القرآن (الله لا فوق) ؟ نجد في القرآن يصف عباده: {يَخَـــافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠] هم يقولون: لا فـــوق، تجـــدون في القـــرآن: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] {تَعْرُجُ الْمَلائِكَـــةُ وَالـــرُّوحُ إِلَيْـــهِ} [المعارج:٤] {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠] إلى آخر ذلك الله لا فوق -مثلاً- إذاً هل هو تحت؟ لا تحت، إذاً هل هو يمـــين؟ لا يمين ولا يسار، لا أمام ولا خلف، لا داخل العالم ولا خارجه، إذاً ماذا بقـــي؟ العدم.

هذا هو العلم الذي تورط فيه كل علماء الكلام بدون استثناء، إلا من كان على منهج السلف الصالح، فكل علماء الكلام، لا أستثني لا أشاعرة ولا ماتريدية إلا أفراداً منهم آمنوا بما كان عليه السلف الصالح، كما قال صاحب قصيدة بـــذل الأماني:

ورب العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال

يعني: ليس كمثله شيء، الله وصف نفسه بأنه على العرش استوى.

ورب العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال

انظروا -يا إخواننا الشباب! - بصورة خاصة، نحن الآن نزعم بأننـــا نريـــد أن نحقق المجتمع الإسلامي، وأن نقف جبهة أمام الإلحاد، وأمام الشيوعية، ونحوهـــا من الأحزاب، فبم نقف أمامهم؟ أبعلم كتاب الله وحديث رســـول الله علـــى منهج السلف الصالح، أم بعلم الكلام؟ لا تشعرون في الواقع -ولعل هذا مـــن الخير لبعضكم- لو أنكم درستم علم الكلام لأقام المبطلون الحجة علـــيكم؛ لأن الملحد الشيوعي ونحوه حين يقول لك: لا يوجد في هذا الكون إله، لا تستطيع أنت أن تقيم الحجة عليه وأنت تقول: يوجد إله؛ لأنه قد يقول لك: أرني إياه، مثلما قال لي أحدهم: إن الذي صعد إلى القمر ما رأى الله عليه، يقـــول لـــك الشيوعي: أرني رب العالمين.

تقول له أنت: لا فوق ولا تحت، لا يمين ولا يسار، لا أمام ولا خلف، لا داخل العالم ولا خارجه، فهذا الكلام أتقدر أن تقيم به الحجة على الملحد؟

الجواب : لا.

لكن لو أنك تلوت آيات الله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] والله أكبر من كل شيء إلخ، نحن لا نريد أن تقنعه، حسبنا أن نقيم الحجة عليه، ولله الحجة البالغة على الناس، فإذا قلت له هذا الكلام الذي يوجد في كتب الماتريدية والأشاعرة -إلا قليلاً منهم -كما قلنا- ما استطعت أن تدعو إلى إسلامك، لكن أقول: من الخير لكم أو لبعضكم، أنه لم يقرأ علم الكلام، هذه حقيقة، ولا يعرف أنه قد يسمع هذا الكلام فيستغرب، ويقول: أيوجد من المسلمين من يعتقد هذه العقيدة؟ نعم.

اقرءوا كتب الغزالي اقرءوا إحياء علوم الدين اقرءوا بعض الرسائل الجديدة المطبوعة والمنشورة اليوم باسم العقائد؛ فستجدون فيها الجحد الذي يساوي: أنا أؤمن بالله، ولا أؤمن بالله أؤمن بالله على أساس لا كبير ولا صغير، أي: لا يوصف بأنه كبير ولا صغير، وهذا مطبوع في طبعة جديدة وعصرية، وأنه لا فوق ولا تحت، لا يمين ولا يسار.

إلخ، سيجد أنها لا توزن لا بميزان، ولا بقبّان، ولذلك رحم الله أحد أمراء دمشق حيث حضر مناقشة جرت بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأمثال هؤلاء المعطلة، لما سمع كلامهم، وسمع كلام ابن تيمية المستند إلى الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح؛ اقتنع أن هذه هي العقيدة الصحيحة، والتفت إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: هؤلاء -يشير إلى المشايخ- قوم أضاعوا ربهم.

لماذا؟ لا فوق ولا تحت، لا يمين ولا يسار إلخ.

من ضلالات الصوفية

الشاهد -والكلام طويل في هذا المجال- ما الذي أودى بعلماء المسلمين، فضلاً عن طلاب العلم، فضلاً عن عوام المسلمين، إلى هذا الحضيض وهذا الضلال المبين؟ اليوم على غير ما مبالاة أحدنا يقول: الله موجود في كل مكان الله موجود في كل الوجود، هذه هي بذاتها ولكنه إلحاد على نمط آخر، ووحدة الوجود التي يقول بها غلاة الصوفية هي على ألسنتنا في كل يوم: الله موجود في كل مكان الله موجود في كل الوجود.

وحدة الوجود تفخر بأنها موحدة، لا يوجد خالق ومخلوق، فالخالق والمخلوق شيء واحد، وهذه هي وحدة الوجود، وهذه فلسفة من علم التصوف، كما أن عامة المسلمين -والحمد لله- ما قرءوا هذا العلم، لكن هم واقعون ولا يجهرون، هم يقولون: الله موجود في كل مكان.

هذا شخص جاء إلي في رمضان منذ ثلاثين سنة، وأنا سهران بعد صلاة التراويح، فجاء إلي ليقول: أنت الذي تنكر وجود الخضر وتقول: إنه ميت؟ قلت له: نعم.

قال: أنا الخضر، فلما سمعت هذا الكلام قلت له: اتق الله يا رجل! ظناً مني أنه عاقل، فقال: أنا شرعة الله ومحمد، ماذا أعمل؟ هذا صوفي، وقد قرأ الفتوحات المكية على الشيخ ومات إلخ، ما الذي أوصل المسلمين إلى هذا الكفر باسم الإسلام؟ إنه الانصراف عن منهج السلف الصالح، فنحن ننصح كل المسلمين في عالم الدنيا كلها، إلى ضرورة التمسك بالكتاب والسنة، وهذه هي الركيزة الثالثة، وهي: على منهج السلف الصالح، وإلا فكل طائفة في الدنيا تقول: نحن على الكتاب والسنة.

القاديانية فرقة ضالة

أضل فرقة اليوم تنتمي للإسلام، وتصلي الصلوات الخمس، وتحج إلى بيت الله الحرام، وهي القاديانية، مع ذلك فهم ينكرون حقائق من الإسلام باسم التأويل، وعدم التمسك بما كان عليه المسلمون -حتى الخلف منهم- لأن المسلمين جميعاً اتفقوا على أنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف جاء هؤلاء يدعون الإسلام؟! ويقولون: جاء نبي اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني، وسيأتي من بعده أنبياء كثر، وجاء أحد تلامذته هنا، وحاول أن يبث هذه الفكرة، وقام المشايخ والحمد لله تارة بالسياط، وتارة بالصياح، وتارة بالكلام، والحمد لله كفينا شرهم، وكان لي مشاركة في المجادلة معهم كثيراً.

الشاهد: كيف ضل هؤلاء؟ يقولون: قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا نبي بعدي) أتعرفون ما معنى: لا نبي بعدي؟ أي: معي، وليس بعدي، أي: لا يوجد نبي يكون معي أنا، ولكن إذا مِتُّ سيأتي بعدي نبي.

ويؤولون النص: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب:٤٠] ما معنى: خاتم النبيين؟ يقولون: زينة النبيين، كما أن الخاتم زينة الإصبع، فالرسول زينة الأنبياء، وليس بمعنى أنه لا نبي بعده.

إذاً هؤلاء المسلمون كلهم كانوا على خطأ في فهم هذه النصوص.

تأتي الآية: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:١١٥] كيف كان المؤمنون في فهم هذه النصوص يا قاديانيون؟! كانوا يفهمونها خطأ، إذاً ما معنى قوله: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:١١٥] والبحث كثير وطويل جداً، فحسبنا الآن أصول الدعوة السلفية ثلاثة: الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح.

شبه حول السلفيين بأنهم غير منظمين

السائل: بعض الجماعات الإسلاميّة الموجودة على الساحة الآن يقولون السلفية: أنتم تقولون [...]، يعني الحقيقة نسمع أحياناً يقولون [وتكلم كلاماً غير مفهوم].

ما هو ردكم على هؤلاء من خلال قضية التنظيم أو التجمع أو هذه العبارات.

الشيخ: نحنُ غير منظمين، صحيح، ولنا الفخر -إن صح- أن نقول ذلك، وغيرُنا هم منظمون فماذا فعلوا؟ إذاً حسبنا كما قيل:

هذه آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدَنا عند الآثار.

نحنُ السلفيّون تحرك العالم الإسلامي من دعوهم، وهذه حقيقة لا يستطيع أحدٌ أن يُنكرها، حتى أولئك الذين يتهمون أو يرمون أو يصفون السلفيّة بما ذكرت

لا يستطيعون أن ينكروا أثرُ الدعوة الإسلاميّة في ذواتِ أنفسهم، لكن هم ماذا فعلوا، لقد أثاروا الفتن وأراقوا الدماء دونَ أن يستفيدوا شيئاً، ودون أن يتقدموا خطوة بل هم على النظام العسكري في بعض الأعراف العسكرية: مكانك ...

لكن الدعوة السلفية –والحمدُ لله– أيقظت العالم الإسلامي إلى الإسلام الصحيح ووجوب الرجوع فيه مع إصلاح السلوك في كل فرد من أفراد المسلمين إصلاحُ أهلِه وذويه وغيره وإلى آخره، فنحنُ غير منظمين فعلاً؛ لأن أساس كل دعـــوة تنطلق تبدأ بأهم ما فيها، تبدأ بالعقيدة وتبدأ بالتوحيد وتبدأ بإصـــلاح العبـــادة وإصلاح السلوك، أولئك المنظمون، أو المنتظمون –زعموا– ماذا فعلوا في سبيل إصلاح عقيدتهم وتوحيدهم؟!

نحنُ لنا تجارب ومناقشات ومجادلات، حينما كنا نقول لهم أو نســـألهم بعـــض الأسئلة التي كانت تعرِفُها رعاة الأغنام في عهـــد الرســـول –عليـــهِ الصـــلاةُ والسلام– فلا يحيرون جواباً، وهم أساتذة ودكاترة ومرشدون ورؤساء أحزاب، إذاً ما الفائدة التي استفادوها من هذا التنظيم وهم بعد لم يفقهوا التوحيد؟

هذا إن وجد فيهم وفعلا قد وجد، وكان جواب بعضهم: نعَم، نحـــنُ نعـــرف التوحيد والحمدُ لله، فكنا نجعلهم تحت الأمر الواقع، من أيـــن جـــاءكم هـــذا التوحيد؟ هل نبع من دعوتكم؟ أم أنكم استوردتوها من دعوة غيركـــم، هـــذه حقيقة. ولذلك نحنُ لا نأسى ولا نأسف أبداً على ما يقول هؤلاء؛ لأننا نمشـــي كما قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَـــنِ اتَّبَعَنِـــي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨].

اليوم صلينا المغرب في مسجد هناك اسمه مسجد عبد الله بن عمر، وإذ واحد مصري بينقم على الإمام أن يصلي نافلة [أبو عمّار] أنه حكاله أنه هذه مقامات والأضرحة الموجودة في مصر هذه غير مشروعة، فتخاصموا هو وإيَّاه، هو بيصلي وراه كل يوم، فماذا فعل لو قام المسلمون في مصر بالنسبة لهذه الشركيات والوثنيات القائمة على ساق وقدم في كل البلاد بطولها وعرضها، لا شيء أبداً، سوى الهتافات هذه العاطفية التي تحرك المشاعر ثم تخبو ولا شيء بعد ذلك، فاللهُ المستعان على كل حال هذا جوابنا ....

ما حكم الشرع فيما يفعله بعض من ينتسب إلى السنة من تأسيس أحزاب وتنظيمات وجبهات إسلامية للمقاومة وهل إستدلالهم بالقاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) صحيح.؟

المقدم: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فما هو حكم الشرع الحنيف بما نراه من بعض إخواننا المنتسبين إلى السنة في بعض البلاد إذا أسسوا أحزاب وجبهات وتنظيمات إسلامية لمواجهة القوى المعادية للإسلام -كما يقولون- وبخاصة أنهم يستدلون أحياناً بقاعدة فقهية تقول: [ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب] فهل هناك أدلة شرعية من كتاب ربنا سبحانه وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - تجيز لهم مثل هذا التحزب؟، أفيدونا نفع الله بكم وبارك فيكم وجزاكم خيراً.

الشيخ: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، لا يوجد -كما هو معلوم عند أهل العلم- أي دليل في كتاب الله أو في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يجيز للمسلمين أن يتفرقوا شيعاً وأحزاباً، وإنما يوجد في الكتاب والسنة خلاف ذلك تماماً، حيث قال تعالى {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٣٢} [٣١ - ٣٢:الروم] وقال - صلى الله عليه وسلم -: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي" وفي الرواية الأشهر: "هي الجماعة" وإنما تكون الجماعة جماعة حقيقية إذا كانت تتمسك بالكتاب والسنة تمسكاً فعلياً وليس تمسكاً قولياً، ولذلك هنا لابد من لفت النظر إلى حقيقة طالما أصبحت اليوم تتكرر ألفاظها وتخفى حقائقها، وهي أن من موضة العصر الحاضر اليوم أن كل حزب صار ينتمي إلى الكتاب والسنة، بعد أن لم يكن للكتاب والسنة ذكر على ألسنتهم قبل نحو ربع قرن من الزمان، ولكن بفضل الله ورحمته، لما بدأت دعوة الكتاب والسنة تعلو على كل الدعوات وأصبحت لها الهيمنة والسيطرة على كل الدعوات صار من مصلحة الدعوات الأخرى أن يتبنوا الانتسابة إلى الكتاب والسنة، ولكن شتان بين من ينتسب إلى الكتاب والسنة إسماً، وبين من ينتسب إليها إسماً وفعلاً، ولذلك فلا ينبغي لنا أن نظن أن كل من كان يدعو أو يقول نحن على الكتاب والسنة إنهم كذلك على الكتاب والسنة، وإنما علينا أن نقارن بين القول وبين الفعل، فمن كان فعله يصدق قوله فنحن نكون معه ليس حزباً، وإنما جماعةً واتباعاً للحديث السابق: قالوا من هي؟ -أي الفرقة الناجية- قال: "الجماعة" وفي الرواية الأولى أو الأخرى: "هي التي

على ما أنا عليه وأصحابي"، فمن كان فعله يطابق قوله كنّا معه وكنا جماعة واحدة، وليس فرقاً وأحزاباً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون.

هذه الملاحظة يجب أن نلاحظها لأننا نسمع اليوم دعوات كثيرة بينها إختلاف كبير جداً ومع ذلك فكل منهم يدعي أنه على الكتاب والسنة، وكما قيل قديماً:

وكلٌ يدعي وصلاً بليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك

وربنا عز وجل يقول في الكتاب الكريم كما هو معلوم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣} [٢ - ٣:الصف]، تجد مثلاً على سبيل المثال، تجد كثيرا من الناس يقولون: نحن على الكتاب والسنة، ونحن على منهج السلف الصالح، لكنك إذا نظرت إلى مظهرهم رأيت مظهرهم لا ينبي عن شيءٍ من ذلك الإتباع للمنهج، منهج السلف الصالح، فكثيرٍ منهم يتزيون بزي الأجانب، كثيرٍ منهم لا يتشبهون بنبيهم - صلى الله عليه وسلم - الذي مثلاً كان يقول: "حفوا الشارب وأعفوا اللحى وخالفوا اليهود والنصارى" فتجد الكثير من هؤلاء المدعين الانتساب إلى الكتاب والسنة أو الانتساب إلى السلفية يخالف فعلهم قولهم، يخالف مخبرهم خَبرهم، فلذلك هؤلاء ينبغي نحن أن لا نحشرهم في زمرة الجماعة التي لا تفرق فيها، ولا أحزاب فيها، وإذا عرفنا هذه الحقيقة سَهُل علينا تماماً أن نفهم أن من كان يدعي الإنتساب إلى الكتاب والسنة ومع ذلك فهم فرق وشيع وأحزاب، فليسوا على الكتاب والسنة؛ لأنه هذا التفرق وهذا التحزب، خلاف الكتاب والسنة.

ما أدري أنه إذا كان كأنه في بقية للسؤال لو ذكرتني حتى ندندن حوله.

المقدم: إذا إذا أسسوا أحزاب وجبهات وتنظيمات إسلامية لمواجهة القوى المعادية للإسلام -كما يقولون- وبخاصة أنهم يستدلون أحياناً بقاعدة تقول: [ما لم يتم

الواجب إلا به فهو واجب] الشيخ: طيب، محاربة القوى المحاربة للإسلام لا تكـــون بالتفرق، وإنما تكون بالتجمع، وهو ما أشرنا إليه آنفاً أن يكونوا جماعـــة واحـــدة ويربطهم منهج واحد، وليس هناك منهج إلا منهج الكتاب والسنة وما كان عليهم سلفنا الصالح، كما اشتهر عن الإمام ابن قيم الجوزيّة رحمه الله أنه كان يقول -ونعم ما كان يقول-:

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة   بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها   حذرا من التشبيه والتمثيل

نحن نجد هؤلاء الأحزاب أكثرهم لا يهتمون بتصحيح عقائـــدهم وأفكـــارهم، لا يهتمون بتصليح عباداتهم و صيامهم ومناسك حجهم، وإنما الحقيقة كلُّ حزبٍ منهم يتحزب للمذهب الذي عاش عليه، فعندكم مثلاً، يغلب التحزب للإمام مالك رحمه الله، في بلاد أخرى كتركيا مثلاً لا يعرفون الإسلام إلا من زاوية مذهب أبي حنيفـــة فقط، وفي بلاد أخرى كسوريا مثلاً ومصْر مثلاً وهذه بلاد يعرفون مذهبين اثـــنين وهو الشافعي والحنفي، وعلى العكس من ذلك مثل في النجد مثلاً ما يعرفون مذهباً إلا المذهب الحنبلي، في الحجاز يعرفون المذهب الشافعي وهكذا، هذا ليس هو منهج السلف الصالح، منهج السلف الصالح كما أسمعناكم آنفاً من قول ابن القيم رحمه الله: العلم قال الله قال رسوله، هؤلاء الأحزاب من كان يقول نحن على الكتاب والسنة ويصدق فعله قوله كما قلنا آنفاً فهو من الجماعة ونحن معهم أين ما كـــانوا ومـــن كانوا، أما استغلال هذه الدعوة في سبيل تجميع الناس وتكتيلهم وتحزيبهم، ولـــو في زعم محاربة القوى المحاربة للإسلام، وهي قوى إما أن تكون كافرة كفراً محضاً، وإما

أن تكون منحرفة عن الإسلام كثيراً أو قليلاً، فما يكون أبداً محاربة القوى التي تعادي الإسلام إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة في كل شؤون الحياة.

ونحن نعلم من واقع الجماعات والأحزاب المعروفة اليوم على وجه الأرض أنها فقط تهتم بالكلام، ولا تهتم بمعرفة الإسلام وفهمه فهماً صحيحاً أولاً، ثم بتطبيق هذا الإسلام على أنفسهم وعلى ذويهم و أهليهم ثانياً، هذا نادر جداً و هذا الذي نحن نهتم به من أن يكون فهمنا للإسلام فهماً صحيحاً، على منهج قال الله قال رسول الله قال سلفنا الصالح، ثم تطبيق ذلك في كل شؤون حياتنا فيما استطعنا إليه سبيلاً.

هذا هو جواب هذا السؤال، أما السؤال الثاني ما هو؟

المقدم: سيدنا لو تكلمت عن القاعدة [ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب]

الشيخ: نعم!

المقدم: لو تم الإشارة عليها بشكل ...

الشيخ [مقاطعاً]: هيه، صحيح ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، هذه قاعدة معترف فيها بين أهل العلم، لكنهم يتغافلون عن الحقيقة التي سبقت الإشارة إليها، وهي أن التجمع والتكتل لمحاربة القوى المحاربة للإسلام والمعادية له يجب أن يكون على أساس الكتاب والسنة، فيجب قبل كل شيء أن نتدارس الكتاب والسنة، وأن يظهر فقهه في ذوات أنفسنا، وهذا هو الذي يجمعنا بعضنا إلى بعض، وهذه القوة هي التي تستطيع من قريب إن شاء الله أن تحارب القوى المعادية للإسلام وليس بمجرد التحزب والتكتل، والدليل على ذلك أن بعض الجماعات الإسلامية المعروفة اليوم مر عليها قرن من الزمان وهي تدعو إلى الإسلام إسماً، ولكنها لم تستطيع أن تزرع الإسلام في صدور المنتسبين إليها فضلاً أن يتمكنوا من محاربة أعداءهم، لأن فاقد

الشيء لا يعطيه، الذي يفقد السلاح لمحاربة الأعداء لا يستطيع أن يحاربهم، والسلاح هنا في محاربتهم ليس إلا فهم الإسلام فهماً صحيحاً، وتطبيقه تطبيقاً صحيحاً.

دعوى الشدة عند السلفيين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

السؤال

فضيلة الشيخ! هناك سؤال في مجال الدعوة، يقول: الرفق والسماحة ولين الجانب من السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهل توفر الرفق واستعماله واجب في الدعوة أم مستحب؟

الجواب

واجب.

السائل: السؤال له مغزى وله هدف.

الشيخ: طبعاً؛ وراء الأكمة ما وراءها.

السائل: السلفيون بشتى أصنافهم مشهورٌ عنهم -وقد يكون صحيحاً- الشدة في نشر الدعوة وقلة الرفق، فهل ترى أن هذا صحيحٌ -وهذا ما أراه أنا- وما هو تعليقك على ذلك؟
الشيخ: أولاً في كلامك ملاحظة، وهي قولك: وقد يكون صحيحاً.

السائل: قلت: فهل تراه صحيحاً.

الشيخ: أولاً: قلتَ: وقد يكون صحيحاً، أي: ما يقال عنهم من الشدة؟ السائل: معذرة.

الشيخ: قلت هذا؟ السائل: نعم، وأرجو المعذرة.

الشيخ: فهنا الملاحظة، نحن نلفت نظر إخواننا حينما يتكلمون بمثل هذا الكلام، نقول: هذا الكلام للسياسيين، وقد لا يعنونه، لكنه:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فحينما يقول المتكلم في أمر ما: قد يكون كذا، فيقابله: قد لا يكون كذا، فهنا يَرِدُ على سؤالك أمران اثنان، وبعد ذلك نتابع الجواب: هل أنت متأكد من هذا الذي يقال: إن السلفيين لا لين عندهم وإنما الشدة هي نبراسهم أو هي منهجهم؟ وأنت فتحت لي باب هذا السؤال؛ لأنك قلت: وقد يكون صحيحاً! السائل: يا شيخ! أنا قلت: معذرة من قولي: قد يكون.

الشيخ: هكذا؟ السائل: نعم.

الشيخ: إذاً نسمع الكلام الصحيح، ما هو؟ السائل: هل أعيده؟ الشيخ: لا تُعده لأنه خطأ، وإلا من ماذا تعتذر، تعيد على الوجه الصحيح بدون (قدقدة) ، هل كلامي واضح؟ السائل: نعم.

الشيخ: تفضل.

السائل: السؤال من أوله.

الشيخ: لا بأس، وهذا لك الخيار فيه.

السائل: نحن قلنا -وأنت أجبت وهذا حاصل- أن الرفق، والسماحة، ولين الجانب، واجب في الدعوة، وأنا سؤالي عن الدعوة ليس عن الأمور الشخصية أو الحياتية، كما ذكرت أنه يجب توفر اللين والرفق في الدعوة والرفق بالناس المدعوين، فالسلفيون مشهور عنهم -فيما أراه أنا- الشدة وقلة الرفق في الدعوة، فهذا رأيي أنا، فما هو رأيك؟ الشيخ: أنت منهم؟ السائل: أرجو ذلك.

الشيخ: أنت منهم، هل أنت سلفي؟ السائل: نعم.

الشيخ: إذاً: هل أنت من هؤلاء السلفيين المتشددين؟ السائل: لا أزكي نفسي، أنا أقصد سمة بارزة لهم.

الشيخ: القضية الآن ليست قضية تزكية، بل قضية بيان واقع، وقلنا: إنك الآن تثير هذا السؤال من أجل التناصح، فأنا عندما أسألك: هل أنت من هؤلاء المتشددين؟ ما يرد هنا موضوع (أنا لا أزكي نفسي) ، لأنك تريد أن تبين الواقع، بمعنى أنك لو سألتني هذا السؤال

لقلت لك: أنا فيما أظن لست متشدداً، وأنا لا أعني أنني أزكي نفسي؛ لأني أخبر عن واقعي، ففكر في السؤال.

السائل: نعم -يا شيخ- وجوابي مثل جوابك.

الشيخ: إذاً: لا يصح أن نطلق أن السلفيين متشددون، والصواب أن نقول: بعضهم متشددون، فإذاً نقول: إن بعض السلفيين عنده أسلوب في الشدة، لكن تُرى هل هذه الصفة اختص بها السلفيون؟ السائل: لا.

الشيخ: إذاً: ما الفائدة وما المغزى من مثل هذا السؤال؟ ثانياً: هل اللين الذي قلنا أنــه واجب، هل هو واجب دائماً وأبداً؟ السائل: لا.

وجود بعض صور الشدة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ: فإذاً أولاً: لا يجوز لك ولا لغيرك أن تصف طائفة من الناس بصفة تعممها على جميعهم.

ثانياً: لا يجوز لك أن تطلق هذه الصفة على فرد من أفراد المسلمين، سواءً كان سلفياً أو خلفياً في حدود تعبيرنا، إلا في جزئية معينة، ما دمنا اتفقنا أن اللين ليس هو المشروع دائماً وأبداً، فنحن نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمل الشدة التي لو فعلها سلفي اليوم لكان الناس ينكرون عليه أشد الإنكار.

مثلاً: لعلك تعرف قصة أبي السنابل بن بعكك.

السائل: لا.

الشيخ: امرأة مات عنها زوجها وهي حامل فوضعت، وكان قد بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي عدتها بوضعها للحمل، يقول في الحديث -وهو في صحيح البخاري - أنها بعد أن وضعت تشوفت للخطاب وتجملت وتكحلت، فرآها أبو السنابل -وكان قد خطبها لنفسه فأبت عليه- فقال لها: لا يحل لك إلا بعد أن تنقضي عدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام -وهي فيما يبدو أنها امرأة تهتم بدينها- فما كان منها إلا أن سارعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ما قال لها أبو السنابل، فقال عليه السلام: (كذب أبو السنابل) هذه شدة أم لين؟ السائل: شدة.

الشيخ: شدة ممن؟ من أبي اللين: {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:١٥٩] ، إذاً ليس مبدأ اللين بقاعدة مطردة كما ذكرنا آنفاً، وإنما ينبغي على المسلم أن يضع اللين في محله والشدة في محلها.

وكذلك -مثلاً- ما جاء في مسند الإمام أحمد: (لما خطب عليه الصلاة والسلام خطبة قام رجل من الصحابة وقال له: ما شاء الله وشئت يا رسول الله! قال: أجعلتني لله نداً؟! قل: ما شاء الله وحده) هذه شدة أم لين؟ السائل: أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم.

الشيخ: هذه أنا أسميها حيدة؛ لأنك لم تجبني كما أجبتني من قبل، عندما قلت لك: إن أبا السنابل قال عليه الصلاة والسلام في حقه: (كذب أبو السنابل) ، شدة أم لين؟ السائل: هذه شدة.

الشيخ: وهذه الثانية؟ السائل: بيّن له فقط وقال: (أجعلتني لله نداً؟!) .

الشيخ: هذه حيدة بارك الله فيك، أنا ما أسألك: بيّن أم لم يُبيّن؟ أنا أسألك: شدة أم لين؟ لماذا الآن اختلف منهجك في الجواب؟ من قبل ما قلتَ: بيّن له، لما قال له: كذب أبو

السنابل، هو بين، ولكن هذا البيان كان بأسلوب هين لين -كما اتفقنا أنه القاعدة- أم كان فيه شدة؟ قلتها بكل صراحة: كان فيه شدة.

فماذا تجيب به عن السؤال الثاني؟ السائل: السؤال الثاني لم يقل له: (كذب) ، وإنما قال له: (أجعلتني لله نداً) .

الشيخ: الله أكبر! هذا أبلغ في الإنكار، بارك الله فيك، وهناك حديث آخر: (قام خطيب فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس الخطيب أنت) شدة أم لين؟ السائل: شدة.

الشيخ: المهم بارك الله فيك، هناك أسلوب لين، وأسلوب شدة، فالآن بعد أن اتفقنا أنه ليس هناك قاعدة مطردة باستمرار: لين دائماً أو شدة دائماً، إذاً تارة هكذا وهكذا.

أسباب وصف السلفيين بالشدة

الآن: حينما يتهم السلفيون بعامة أنهم متشددون، ألا ترى أن السلفيين بالنسبة لبقية الطوائف والجماعات والأحزاب هم يهتمون بمعرفة الأحكام الشرعية وبدعوة الناس إليها أكثر من الآخرين؟ السائل: لا شك في ذلك.

الشيخ: بارك الله فيك! إذاً بسبب هذا الاهتمام الذي فاق اهتمام الآخرين من هذه الحيثية، فإن الآخرين يعتبرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -ولو كان مقروناً باللين- شدة، بل بعضهم يقول: هذا ليس زمانه اليوم، بل بعضهم غلا وطغى وقال: البحث في التوحيد يفرق الصفوف اليوم.

فإذاً: بارك الله فيك! الذي أريد أن أصل معك إليه هو: أن القضية نسبية، فهناك إنسان ليس متحمساً للدعوة -وخاصة للدخول في الفروع التي يسمونها القشور أو أموراً ثانوية- فهو يعتبر البحث ولو كان مقروناً بالأسلوب الحسن؛ يعتبره شدة في غير محلها.

ولا ينبغي وأنت سلفي -مثلنا- أن تشيع بين الناس -ولو بين هؤلاء الناس القليلين الآن- وتذكر أن السلفيين متشددون؛ لأننا اتفقنا أن بعضهم متشدد، وهذا لا يخلو حتى من الصحابة، ففيهم اللين وفيهم المتشدد، ولعلك تعرف قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فهمَّ الصحابة بضربه، هذا لين أم شدة؟ السائل: شدة.

الشيخ: لكن قال لهم الرسول: دعوه، فإذاً قد لا يستطيع أن ينجو من الشدة إلا القليل من الناس، لكن الحق هو أن الأصل في الدعوة أن تكون على الحكمة والموعظة الحسنة، ومن الحكمة أن تضع اللين في محله والشدة في محلها.

أما أن نصف خير الطوائف الإسلامية، التي امتازت على كل الطوائف بحرصها على اتباع الكتاب والسنة، وعلى ما كان عليه السلف الصالح بالشدة، هكذا على الإطلاق؟ ما أظن هذا من الإنصاف في شيء، بل هو من السرف.

أما أن يقال: فيهم من هو متشدد؛ فمن الذي يستطيع أن ينكر؟ ما دام أن من الصحابة من كان متشدداً في غير محل شدة، فأولى وأولى في الخلف من أمثالنا -خلف بالمعنى اللغوي- بأن يوجد فينا متشدد، ثم الآن نتكلم عن شخص بعينه، هب أنه هين لين، هل ينجو من استعمال الشدة في غير محلها؟ السائل: لا، أبداً.

الشيخ: فإذاً: بارك الله فيك! القضية مفروغ منها، فإذا كان الأمر كذلك فما علينا إلا أن نتناصح، فإذا رأينا إنساناً وعظ ونصح وذكّر بالشدة في غير محلها ذكرناه، فقد يكون لـــه وجهة نظر، فإن تذكر فجزاه الله خيراً، وإن كان له وجهة نظر سمعناها منه وينتهي الأمر.

الحكمة في الدعوة بين اللين والشدة

السؤال

كثير من السلفيين يستخدمون الشدة ولا يستخدمون اللين، فيستخدمون الشدة في غير موضعها، ولا يستخدمون الرفق في موضعه، وليسوا قليلاً، أنا أقول: كل الطوائف تفعل هذا، وأنا لا أقيس السلفيين على غيرهم من الطوائف الأخرى، فأنا لا يهمني أمر الطوائف الأخرى، بل يهمني أمر السلفيين، فكثير من السلفيين يصدون عن المنهج السلفي بأسلوب دعوتهم للناس، فأنا قصدت من السؤال أن توجه نصيحة لمن ابتلوا بالشدة وبضيق الصدر.

الجواب

بارك الله فيك، ويحتاج إلى واحد مثلي لكي يوجه النصيحة، والسلفيون وغير السلفيين يعلمون الآية التي ذكرناها آنفاً: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:١٢٥] ، ويقرأ السلفيون أكثر من غيرهم حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: (حينما جاء ذلك اليهودي مسلِّماً على النبي صلى الله عليه وسلم لاوياً لسانه قائلاً: السام عليكم، فسمعت السيدة عائشة هذا السلام الملوي فانتفضت وراء

الحجاب حتى تكاد تنفلق فلقتين -كما جاء في الحديث غضباً- فكان جوابها: وعليك السام واللعنة والغضب، يا إخوة القردة والخنازير! أما الرسول فما زاد على قوله له: وعليك، ولما خرج اليهودي من عند الرسول عليه الصلاة والسلام أنكر صلى الله عليه وسلم عليها وقال لها: يا عائشة! ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه، قالت: يا رسول الله ألم تسمع ما قال؟ قال لها: ألم تسمعي ما قلته) .

فإذاً السيدة عائشة التي ربيت منذ نعومة أظفارها في بيت النبوة والرسالة، ما وسعها إلا أن تستعمل الشدة مكان اللين، فماذا نقول في غيرها؟ السلفيون لم يربوا في بيت النبوة والرسالة، بل أنا أقول الآن كلمة ربما طرقت سمعك يوماً ما من بعض الأشرطة المسجلة من لساني: إن آفة العالم الإسلامي اليوم مقابل ما يقال في الصحوة الإسلامية، هو أن هذه الصحوة لم تقترن بالتربية الإسلامية، لا يوجد تربية إسلامية اليوم، ولذلك فأنا أعتقد أن أثر هذه الصحوة العلمية سيمضي زمناً طويلاً حتى تظهر آثارها التربوية في الجيل الناشئ الآن في حدود الصحوة الإسلامية، ففيها تصرفات وعثرات، لكن هؤلاء الأفراد يعيشون تحت رحمة الله عز وجل، ومنهم القريب ومنهم البعيد، ولذلك فمن الناحية الفكرية والعلمية، سوف لا تجد من يخاصمك ويخالفك في أن الأصل في الدعوة أن تكون باللين والموعظة الحسنة، لكن المهم التطبيق، والتطبيق هذا يحتاج إلى مرشد وإلى مربي يربي تحته عشرات من طلاب العلم، وهؤلاء يتخرجون على يد هذا المربي مربين لغيرهم، وهكذا تنتشر التربية الإسلامية رويداً رويداً، بتربية هؤلاء المرشدين لمن حولهم من التلامذة، وبلا شك أن الأمر كما قال تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:٣٥] .

ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الأمة الوسط لا إفراط ولا تفريط.

السائل: جزاك الله خيراً يا شيخ.

السؤال: أحياناً يلاقي السني ممن يقابله من أهل البدع عتواً واستكباراً، والأمر كما أمر الله عز وجل موسى باللين مع فرعون قال له: {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً} [الإسراء:١٠٢] يوجد دكاترة في الكلية يستهزئون بنا عندما نقول لهم: قال الرسول، ويمثلون صلاة السلفيين وبعض التصرفات، فيخرج الإنسان عن طوره ويستعمل معهم الشدة، وأعجبني المثل الذي سمعته منك يا شيخ الذي يقول: (قال الحائط للوتد: لِمَ تشقني؟ قال: سل من يدقني) .

وكذلك في إحدى المرات كنا نناقش بعض أفراد حزب التحرير -وكما لا يخفى عليكم هدفهم هو مسألة الخلافة، ونحن -بحمد لله- هدفنا أولاً العقيدة والتوحيد- فلما بدأنا معهم في البحث العلمي من الأساس -كما تعلمنا منكم- فجاءت مسألة الأسماء والصفات، فكان أحدهم ومن كبارهم يقول: نحن ننتظر طول الليل بإصبعه ورجله! يستهزئ بصفات الله عز وجل.

فماذا نقول لهذا؟ الشيخ: على كل حال، نسأل الله أن يؤتينا الحكمة وهي أن نضع كل شيء في محله.

السائل: عمر لما قال له رجل: [استغفر لأخيك، قال: لا غفر الله له] .

الشيخ: عندي أمثلة كثيرة جداً، يذكرنا الأخ أبو عبد الله بأثر عن عمر أن رجلاً قال له: [استغفر لأخيك، فقال: لا غفر الله له] ما رأيك في هذا؟ لا شك أنك لو رأيتني أقول هذه الكلمة لقلت: الشيخ متشدد، لكن هنا يكون في نفس المُنكِر الغيرة على الشريعة فتحمله أن يقسو في العبارة، بينما ذلك المتفرج لا توجد لديه هذه الغيرة التي ثارت في نفس هذا الإنسان فيخرج منه هذا الكلام.

وهنا عندنا في سوريا يقولون: (شوها الشدة يا رسول الله؟) هذه لهجة سورية خاطئة، يخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم، وكأن الشدة صادرة منه صلى الله عليه وسلم، وهم يعنون هذا الإنسان.

وجوب العدل والإنصاف في تقييم الآخرين

سبحان الله! المسألة ينبغي أن تراعى جوانبها من كل النواحي، حتى الإنسان يكون حكمه عدلاً، ثم أيضاً مما يبدو لي الآن أن من أسباب إشاعة هذه التهمة -إذا صح أنها تهمة- عن السلفيين، تعرف أنت أن من كثر كلامه كثر خطؤه.

فالذين يتكلمون في المسائل الشرعية هم السلفيون، فلذلك لا بد أن يخطئوا لكثرة ما يتكلمون، فيتجلى خطؤهم، ومن هذا الخطأ الشدة عند الآخرين الذين هم لا يجولون ولا يخوضون في هذه القضايا، بينما لو نظرت هذه الشدة في عموم ما يصدر منهم من نصح على العدل وعلى الإنصاف واللين؛ لوجدنا من مثل بعض الأمثلة التي ذكرناها عن بعض السلف وأمام الرسول عليه السلام فيها شدة، ولكن هذه الشدة لا تسوغ لنا أن ننسب هؤلاء الصحابة الذين وقعوا في الشدة في جزئية معينة أنهم كانوا متشددين، وإنما قد نقع -كما قلنا- أنا وأنت وغيرك في شيء من الشدة.

السائل: كانت السمة البارزة عليه اللين والرفق، حتى وإن قال: كذب فلان، أو أجعلتني لله نداً وما شابهه.

الشيخ: نعم.

ما هي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

سائل: أحد الناس يسأل فيقول: نسمع كثيرا عن الوهَّابية ونسمع أنهم يكرهون الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وسلم ولا يزورون قبر النبي صلَّى الله عليه وسلم، ويقول بعض المشايخ أن الرسول تنبأ عنهم حينما قال صلَّى الله عليه وسلم: "نجد قرن الشيطان" فما هو جوابكم على هذا الكلام؟

الشيخ: الحقيقة أن هذا السؤال مع الأسف الشديد راسخ أثره في كثير من المسلمين والوازع عليه قديما هى السياسة، لكن هذه السياسة قد مضى زمنها وانقضى لأنها كانت سياسة من دولة الأتراك – ولا أطيل في هذا إنما هى لفتة نظر فقط – يوم خرج رجل من أهل العلم والإصلاح وهو المسمى بمحمد بن عبد الوهاب في بعض البلاد النجدية يدعو من حوله إلى الإخلاص الذى أشرنا إليه آنفاً في عبادة الله وحده ولا يشرك معه غيره، ومن ذلك مثلا مما لا يزال مع الأسف الشديد آثاره لا تزال قائمةً في بعض البلاد الإسلامية خلافا لذلك الإقليم الذى خرج فيه ذلك المصلح محمد بن عبد الوهاب – هذا الإقليم إلى الآن والحمد لله لا يوجد فيه نوع من الشرك بينما ذلك يوجد في الكثير من البلاد الإسلامية المصرية الأردنية السورية فضلا عن البلاد الأعجمية فضلا عن إيران وما خبر الخميني ووفاته والإعلان عن اتخاذ قبره كعبة يحج إليها الإيرانيون، ما ذلك الخبر عنكم ببعيد، هذا الرجل لما خرج ودعى إلى عبادة الله عز وجل وحده اتفق لحكمة يريدها الله عز وجل أنه كان هناك أمير من أمراء نجد وهو سعود جد العاهل القائم الآن فتعاون الشيخ مع الأمير تعاون العلم مع السيف وأخذوا ينشرون دعوة التوحيد في بلاد نجد يدعون الناس تارة – وهذا هو الأصل – تارة بالكلام، وتارة بالسنان، من أجاب بالكلام فهذا هو المطلوب، وإلا لم يأت إلا بالقوة، فانتشرت هذه الدعوة حتى وصلت إلى بعض البلاد الأخرى علماً إنه البلاد النجدية وسائر البلاد الإسلامية التى حولها من العراق للأردن من من إلى آخره كانت كلها محكومة بحكم الأتراك بالخلافة المتوارثة.

فلما بدأ اسم هذا الرجل بعلمه وذلك الأمير بإدارته ينتشر وينتشر، خشى الأتراك أن تظهر في العالم الإسلامى دولة تناهض دولة الأتراك، فأرادوا أن يقضوا عليها وهى لا تزال في عقر دارها بإشاعة الإشاعات الباطلة عنهم والكاذبة والمفتراه مما جاء في السؤال أو مما جاء غير ذلك مما هو نسمعه كثيرا وكثيرا، فأنا قلت آنفا أن السبب الأساسى سياسى وهذا هو.

لكن السياسة هذه قضى عليها، ولسنا الآن في بحث تاريخى، لكن السبب الآخر هـــو جهل الناس بحقيقة هذه الدعوة، وهذا الجهل يذكرني بقصة كنت قرأها في بعض المجلات أن رجلين وهما يتناقشان في الطريق حول دعوة محمد بن عبد الوهاب التي يسموها بالوهابية.

لو كان الناس يفكرون فيما كانوا به يتكلمون لكانت هذه النسبة وحدها مذكرة لهم بخطئهم فيما يقولون، لأن لفظة الوهابية إذا أردنا أن ننظر إلى اشتقاقها وإلى أى شئ كانت نسبتها الوهابية نسبة للوهاب ومن هو الوهاب هو الله تبارك وتعالى، إذن النسبة للوهابية هذا أمر يشرف ولا يسقط ولكن قام مثل ما يقولون عندنا في سوريا في أذاهم شئ رهيب مثل البعبع شئ مخيف جدا الوهابيين ما بيعتقدوا في الرسول ما بيآمنوا غير بالله ذكرني هذا البحث بأولئك الإثنين وهما يتناقشان ويدعى الجاهل أن دول ما بيعتقدوا إلا بالله بس أما محمد رسول الله ما بيعتقدوا وما بيقولوا إلا لا إله إلا الله، وعندنا بالشام باعتبار هذه القصة شامية لازم اقولكم اياها باللهجة الشامية أهم إذا مر القنصل أو السفير السعودى في ذلك البلد يرفرف علم بلاده على السيارة بصورة واضحة لا إله إلا الله محمد رسول الله، يا جماعة اتقوا الله، كيف بتقولوا في هؤلاء الناس ما بيآمنوا غير بالله وعلمهم هو العلم الوحيد في الدنيا اللـــى مكتوب عليه إشارة التوحيد الذى قال عليه السلام فيها: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحساهم على الله " كيف بتقولوا على هذه الجماعة وتفترون عليهم وهذا علمهم المرفوع ينبى عما في صدورهم من الإيمان.

هذا شئ، الشئ الاكبر والاهم هذا علم ممكن أن يقال علم مزور ودعاية مغرضـــة إلى آخره لكن ما بالهم أنه حتى اليوم يحجون بأمان وإطمئنان لم يكن ذلك يحظون به في زمـــن الأتراك الذين أشاعوا عنهم تلك الفرية الكاذبة أنتم تعلمون أنه في كثير من السنين بالنسبة لآبائنا فضلا عن أجدادنا كان لابد أن يصاحب كل قافلة حجاج من أى بلد جماعة مقاتلة

مستعدون للمحافظة على هذه القافلة من الحجاج من قطاع الطرق، يا سبحان الله! هـــذا الشئ مضى وانقضى، بأى سياسة؟؟ بالسياسة التى يسموها بالسياسة الوهابية حتى هـــذه الساعة. فإذا فرضنا أن هذا العلم الذى يلوح بالإيمان الصحيح والتوحيد الصحيح المقـــرون بالإيمان بأن محمدا رسول الله زور وبهتان ألا تروهم في المساجد هناك يعبدون الله ويـــؤذن المؤذن كما يؤذن في كل البلاد اللهم إلا الزيادة التى تذكر في البلاد الأخرى في مقدمة الأذان أو مؤخرة الأذان فلا يقال هناك إتباع منهم للسنة لا إنكارا لقول الرسول عليـــه الصـــلاة والسلام هو رسول الإسلام ورسول الأنام جميعا في كل زمان وفى كل مكان وإنما اتباعـــا للسلف وكما قيل:

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

فإلى الآن يحج الناس ويسمعون هذا الأذان بالشهادة لله بالوحدانية وللنبى بالرســـالة ثم يصلون صلاتنا ويذكرون الرسول صلّى الله عليه وسلم كلما ذكر يصلون عليه وربما أكثر من أولئك الناس الذين يقولون عنهم دول وهابية ما بيحبوا الرسول وما بيصلوا على الرسول. يا جماعة اتقوا الله هذه فرية يبطلها واقع هؤلاء الجماعة، بحيث لا يمكن أن يقـــال هـــؤلاء في بلادهم يداهنون الساكنين خارج بلادهم، إنما هذا نابع من قلوبهم، الإيمان بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والسير على منهاج رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا أقول دون نقص لأن هذا النقص طبيعى في الإنسان، ما يستطيع الإنسان أن (يمنعه) – ولكن من حيث العقيدة دون زيادة ودون نقصان وأما من حيث العبادة دون زيادة ولكن قد يكون هناك نقصان، فمثلا بعضهم قد لا يقوم يصلى ليلا والناس نيام، فهذا نقص، لكن هذا نقص لا يخدش في عقيدته لا يخدش في إسلامه. فهذه الكلمة حتى اليوم فيها اتهام للجماعة بما هم بريئين منه كما يقال براءة الذئب من دم ابن يعقوب. وحسبنا يا أبى يحيى.

حكم الشرع في تعدد الجماعات والأحزاب والتنظيمات الإسلامية

السؤال

ما هو حكم الشرع في تعدد الجماعات والأحزاب والتنظيمات الإسلامية، مع أنها مختلفة فيما بينها، في مناهجها، وأساليبها، ودعواتها، وعقائدها، والأسس التي قامت عليها، وخاصة أن جماعة الحق واحدة كما دل الحديث على ذلك؟

الجواب

لنا كلمات كثيرة وعديدة حول الجواب عن هذا السؤال، ولذلك نوجز الكلام فيه ونقول: لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، أن التحزب والتكتل في جماعات مختلفة الأفكار أولاً، والمناهج والأساليب ثانياً، ليس من الإسلام في شيء، بل ذلك مما نهى عنه ربنا عز وجل في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها قوله عز وجل: {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:٣١-٣٢] وربنا عز وجل يقول: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٨-١١٩]

فاستثنى الله تبارك وتعالى من هذا الاقتباس -الذي لا بد منه كونياً وليس شرعياً- الطائفة المرحومة حين قال: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٩] .

ولا شك ولا ريب أن أي جماعة تريد بحرص وإخلاص لله عز وجل أن تكون من الأمة المرحومة المستثناة من هذا الخلاف الكوني، فلا سبيل للوصول إلى ذلك وتحقيقه عملياً في المجتمع الإسلامي إلا بالرجوع إلى كتاب الله عز وجل، وإلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

سلوك الطريق المستقيم طريق الفرقة الناجية

ولقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنهج والطريق السليم في غير ما حديث صحيح، فقد جاء في حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم (أنه خط ذات يوم على الأرض خطاً مستقيماً، وخط حوله خطوطاً قصيرة عن جانبي الخط المستقيم، ثم قرأ قوله تبارك وتعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام:١٥٣] ومر بإصبعه على الخط المستقيم وقال: هذا صراط الله، وهذه طرق عن جوانب الخط المستقيم، وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه) ولا شك أن هذه الطرق القصيرة هي التي تمثل الأحزاب والجماعات العديدة.

ولذلك فالواجب على كل مسلم حريص على أن يكون حقاً من الفرقة الناجية أن ينطلق سالكاً الطريق المستقيم، وألا يأخذ يميناً ويساراً، وليس هناك حزبٌ ناجح إلا حزب الله تبارك وتعالى، الذي حدثنا عنه القرآن الكريم: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:٢٢] فإذاً كل حزب ليس هو حزب الله فإنما هو من حزب الشيطان وليس من حزب الرحمن.

ولا شك ولا ريب أن السلوك على الصراط المستقيم يتطلب معرفة هذا الصراط المستقيم معرفةً صحيحة، ولا يكون ذلك بمجرد التكتل والتحزب الأعمى على كلمة هي كلمة الإسلام الحق؛ لكنهم لا يفقهون من الإسلام إلا شيئاً قليلاً، فلا يكون التحزب الصحيح الفالح إلا بمعرفة هذا الإسلام كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلب محمد عليه الصلاة والسلام.

اتباع الصحابة من علامات الفرقة الناجية

لهذا كان من علامة الفرقة الناجية التي صرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها حينما سُئل عنها فقال: (هي ما أنا عليه وأصحابي) فإذاً هذا الحديث يشعر الباحث الحريص على

معرفة صراط الله المستقيم، أنه يجب أن يكون على علم بأمرين اثنين هامين جداً جداً: الأول: ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والآخر: ما كان عليه أصحابه عليه الصلاة والسلام؛ ذلك لأن الصحابة الكرام هم الذين نقلوا إلينا -أولاً- هديه صلى الله عليه وآله وسلم وسنته، وثانياً: هم الذين أحسنوا تطبيق هذه السنة تطبيقاً عملياً، فلا يمكننا أن نعرف معرفة صحيحة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بطريق أصحابه.

ومعلوم لدى أهل العلم أن السنة تنقسم إلى: سنة قولية، وفعلية، وتقريرية، فالسنة القولية تعريفها هو: ما نقله الصحابي من قوله عليه السلام، والسنة الفعلية: ما نقلوه عنه صلى الله عليه وآله وسلم فعلاً، أما السنة التقريرية فهي: ما نقلوه عن بعضهم وليس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكن رسول الله رأى ذلك الفعل وسكت عنه، هذا السكوت ليس من قوله عليه السلام وليس من فعله وإنما من إقراره.

لا سبيل إلى فهم الإسلام إلا بمعرفة سير الصحابة

ومن هنا ينبعث في نفسي أن أُلفت النظر إلى أهمية هذه الضميمة التي نحن ندندن حولها في مثل هذه المناسبة وهي أنه لا يكفي لأي جماعة إسلامية تنتمي بحق إلى العمل بالكتاب والسنة، أن يقتصروا على فهم الإسلام بناءً على الكتاب والسنة فقط، بل لا بد -أيضاً- من معرفة تطبيق أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهذه السنة.

وهناك أمثلة كثيرة وكثيرة جداً يمكن بها تقريب أهمية هذه الضميمة، وقد ذكرت في بعض المحاضرات أو الأجوبة نماذج منها، والآن يحضرني مثال آخر، وهو ما جاء في صحيح البخاري وسنن أبي داود وغيرهما من أكثر من طريق واحد (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أمر أصحابه أن يسووا الصفوف إذا قاموا إلى الصلاة، قال النعمان بن بشير: كان أحدنا يلصق قدمه بقدم صاحبه ومنكبه بمنكب صاحبه) .

هذا فعل وقع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، تطبيقاً منهم لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتسوية الصفوف، ومما لا شك ولا ريب فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يخفى عليه ما فعله أصحابه من خلفه وهم يصلون مقتدين به وتنفيذاً لأمره بتسوية الصفوف وتراص الصفوف؛ ذلك لأن من خصوصياته عليه السلام ومعجزاته أنه كان وهو في صلاته يرى من خلفه كما يرى من أمامه، فلو أن هذه التسوية لهذا التراص -رص الأقدام ورص المناكب- لم يكن مشروعاً لكان تكلفاً، ولو كان تكلفاً لنهاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنه؛ لأن هناك حديثاً صحيحاً (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف) .

وإن قيل: إنه من الممكن أن يخفى ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنقول: باب الإمكان واسع جداً، لكن ما نحن فيه ليس من هذا الباب لسببين اثنين ذكرت أحدهما آنفاً، وهو: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

السبب الثاني وهو الأهم: أنه إن فرض أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يشهد هذا الأمر الذي فعله أصحابه خلفه في الصلاة، فرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فما قلناه آنفاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - وليس له من الوظيفة إلا التبليغ عن الله عز وجل- فبالأولى والأحرى أن يقال ذلك عن رب الرسول تبارك وتعالى، فيقال: إذا كان ربنا عز وجل -كما أشرنا إليه آنفاً اقتباساً من القرآن- لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وكان الله عز وجل لا يريد أن يشرع لعباده المؤمنين هذا التراص في الصفوف لأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينهاهم عن هذا التكلف، إذاً لا ينبغي أن يتصور المسلم سكوته عليه السلام عن شيء إلا وربنا عز وجل مطلع عليه، وبالتالي إقرار الله لنبيه على هذا هو تشريع.

من هنا نتوصل إلى الإشارة إلى بعض المسائل التي جرى الخلاف فيها قديماً في بعض الأحكام الفقهية بين الحنفية والشافعية، حيث إن أحد الفريقين يحتج بما وقع في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيرد الآخر بأن هذا الذي وقع ليس فيه بيان أن النبي عليه الصلاة والسلام اطلع عليه حتى يقال: إنه اطلع فأقره.

بما سبق من الكلام يرد على هذا الرد من بعض المذهبيين: أضرب لكم مثلاً أو أكثر، جاء في صحيح البخاري: (أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كان يصلي صلاة العشاء الآخرة خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده، ثم ينطلق إلى قبيلته فيصلي بهم الصلاة نفسها، يقول راوي الحديث وهو جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه: هي له نافلة ولهم فريضة) .

استدل بعض الأئمة المتقدمين بهذا الحديث على جواز صلاة المفترض وراء المتنفل، فرد ذلك بعض المذهبيين بأن هذا لا حجة فيه؛ لأنه ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أن معاذاً بعد أن يصلي خلفه يعود إلى قبيلته فيصلي بهم نفس الصلاة، فتكون له نافلة ولهم فريضة.

والجواب عليهم أن نقول: إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم حقيقة أن معاذاً كان يعيد هذه الصلاة تنفلاً، فربنا عز وجل يعلم السر وأخفى، فلو كان فعل معاذ غير مشروع لجاء الحكم من السماء لبيان عدم شرعيته.

ومثال آخر ونكتفي به –وأعدد الأمثلة لأهمية هذه الملاحظة التي قلما نجدها فصيحة مبينة في كتب العلماء–: جاء في مسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم، وسنن البيهقي، وغيرها من كتب السنة، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: (غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة، أصبنا فيها امرأة من المشركين) أي: قتلناها، ولا يخالف هذا الحديث الحديث

الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان؛ لأن النهي محله في مكان وهذا القتل الذي ذكر في حديث جابر له محل آخر، فالنهي ينصب على قتل النساء اللاتي لم يشتركن في قتال المسلمين، والقرينة على ذلك قوله: (والصبيان) فإن الصبيان ليسوا من المقاتلة، فعلى هذا فقول جابر رضي الله تعالى عنه: أصبنا في تلك الغزوة امـــرأة مـــن المشركين، يعني: أنها كانت من المقاتلة قال: (وكان زوجها غائباً، فلما رجع وأخبر الخبر، حلف ألا يدخل القرية إلا بعد أن يثأر لها ثأراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتتبع آثار الصحابة) .

ومعلوم أن العرب كانت تستعمل هذه المعرفة، فبتتبع الآثار وصلوا إلى اكتشاف مأوى الرسول في الغار يوم عزم على الهجرة من مكة إلى المدينة، فالأثر دلهم على أن الرسول عليه السلام وصل إلى هذا المكان؛ لأن الأثر انقطع هناك، لكن أعمى الله بصرهم فلم يروا الرسول عليه السلام وصاحبه في الغار، بينما صاحبه رأى أقدام المشركين، فخشي ليس على نفسه بل على نبيه، فقال: (لا تحزن إن الله معنا) .

وهنا لا بد من التذكير بأن ما يذكر في بعض كتب الحديث وفي كتب السير، أن الذي صرف كفار قريش بعد أن هداهم تتبعهم للأثر إلى أن المطلوبين هما في الغار، زعموا بأنهم رأوا الحمامة قد عششت وباضت، وأن العنكبوت -أيضاً- نسج خيوطه، وقالوا: لا يمكن أن يكون في الغار أحد، فانصرفوا، هذا لم يصح على طريقة أهل الحديث، ثم هناك رواية قوية بأن الله عز وجل أمر ملكاً بأن يغطي بجناحه فم الغار ولذلك لم يروه.

فالشاهد أن ذلك المشرك تتبع آثار الجيش الغازي لتلك القرية، حتى وصل إلى مكـــان كان قد أدركهم فيه المساء، فنزلوا في وادٍ، وحسب النظام العسكري النبوي، قـــال عليـــه الصلاة والسلام لأصحابه: (من يكلؤنا الليلة؟ فقام رجلان من الأنصار، أحدهما من الأوس

والآخر من الخزرج، فقالا: نحن يا رسول الله! فقال لهما: كونا على فم الشعب، فانطلقا، والمشرك يراقبهما يريد أن يستغل الفرصة للوفاء بنذره ويأخذ بثأر زوجه، ولما وصلا إلى المكان الذي هو موضع حراسة الجيش النائم اتفقا على أن يتناوبا الحراسة، فأحدهما يحرس نصف الليل بينما الآخر ينام، ثم يتبادلان، ثم بدا للحارس الذي قام منتصباً أن يجمع بين عبادتين في وقت واحد: عبادة الحراسة، وعبادة الصلاة في الليل الهادئ، فقام يصلي، وهنا اغتنم المشرك الفرصة، حيث كان مختبئاً وراء صخرة، فرماه بحربة فوضعها في ساقه، فما كان منه إلا أن رماها أرضاً والدماء تسيل منه، ولما رأى المشرك أن هدفه ما زال منتصباً رماه بالحربة الثانية فوضعها في ساقه، وهكذا ثلاث حراب ويصيب الهدف، ومن دقة تعبيره يقول: وضعها، والوضع عادة يكون باليد، لكن هذا من دقة الإصابة للهدف فكأنه يضع الحربة وضعاً بيده، ومع ذلك كان الصحابي الجليل مستمراً في صلاته لا يقطعها والدماء تسيل منه، حتى صلى ركعتين، ثم إما أنه أيقض صاحبه وإما أنه استيقظ، فلما رأى ما في صاحبه من الدماء هاله الأمر، وسأله عن السبب فقال: والذي نفسي بيده لقد كنت في سورة أقرؤها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً وضعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حراسته لكانت نفسي فيها) .

أي: تذكر وهو يصلي بأنه في وظيفة أمره الرسول أن يقوم بها، وهي حراسة الجيش النائم، وقد راق له الاستمرار في هذه الصلاة؛ لحلاوة المناجاة بين يدي الله عز وجل، ولولا أنه خشي أنه إن استمر في الصلاة، واستمر المشرك في رميه أن يكون هلاكه في هذه الصلاة فربما يهاجم العدو المسلمين، ولذلك هو قنع من الصلاة بركعتين، و لم يقنع بذلك خوفاً من الهلاك، وإنما خوفاً من هلاك الصحابة، فيما إذا هو مات وغدر بهم العدو.

إلى هنا تنتهي القصة، والشاهد منها: أن بعض الأئمة يحتجون بأن الدم لا ينقض الوضوء؛ لأنه لو كان ناقضاً لما استمر هذا الرجل في الصلاة، فيرد المخالف ويقول: هذا

تصرف شخصي منه، فيقول المردود عليهم: نعم، لكن هذا هو من أصحاب الرسول عليه السلام، فيجيب المخالف ويقول: ليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اطلع على ذلك.

نحن نجيب بجوابين اثنين، ولكن هنا شيء أقوى في أحد الجوابين مما سبق، وذلك أن هذا موظف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيصاب بهذه الجراحات وهو في حالة من العبادة والصفاء النفسي، فهل يمكن أن يخفى هذا على قائد الجيش لو كان قائداً عادياً؟ فكيف وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! مستبعد جداً جداً جداً أن يخفى وضع هـذا الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً: الراجح أنه عليه السلام اطلع على واقع هذا الحدث، وبناءً على ذلك لو كان خروج الدم ناقضاً لبين ذلك، لما هو معلوم من أصول الفقه أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإن استمر المخالف في المكابرة وقال: إنه لا يوجد نص أن الرسول صلى الله عليه وسلم اطلع، نقول له: حسبك أن رب الرسول اطلع، وهذا لا يمكن إنكاره، فإذا لم يترل شرع يبين أن خروج الدم ناقض الوضوء، كانت القصة حجة لمن يحتج بها على أن خروج الدم لا ينقض الوضوء.

الرد على من يعتبر كلمة سلفي تزكية

السؤال

يدعي بعض الإخوة غير التابعين للمنهج السلفي فيقولون: إن الإنسان المسلم الذي يتبع المنهج السلفي لا يجوز له أن يقول عن نفسه أنه سلفي؛ وذلك لأنه يزكي نفسه، ولا تجوز التزكية؟

الجواب

سامحه الله، نسأله السؤال التالي: – هل أنت مسلم؟ – سيقول: نعم.

فنقول: هذه تزكية، و لم أسأله: هل أنت مؤمن؟ لأن هذا يحتاج إلى بحث طويل؛ ولأن الإيمان فيه تفصيل، هل هو الإخلاص، أم هو الاعتقاد بالجنان والإخبار باللسان والعمل بالأركان؟ – لكن إذا سألته: هل أنت مؤمن؟ يمكن أن يقول لي: أنا مؤمن.

فأقول: هل أنت من الذين وصفهم الله {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون:١-٤] .

إلى آخره؟ سيقول: نعم.

لكن إذا سألته: هل أنت من الذين هم في صلاتهم خاشعون؟ فسيقول: أنا في شك من هذا.

فنقول له: إذاً أنت تشك في إيمانك؟ فيقول: أنا لا أشك في عقيدتي.

هذه تزكية أكثر من الأولى، هذا رجل لا يفقه ما هي السلفية حتى يقول: إن هذه تزكية، السلفية: هي الإسلام الصحيح، فمن يقول عن نفسه: أنا مسلم، وأنا ديني الإسلام، كالذي يقول اليوم: أنا سلفي، وهذا أمر ضروري جداً بالنسبة للشباب المسلم اليوم، يجب أن يعرف الجو الإسلامي الذي يعيشه ويحياه، وليس الجاهلي؛ لأن الله عز وجل قد بين وفصل في القرآن فقال: {وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ * مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:٣١-٣٢] .

فالله عز وجل حذر عباده المؤمنين أن يكونوا من المشركين، الذين من أوصافهم كما قال: {مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:٣٢] .

أنتم اليوم تعلمون أن هناك طائفة من المسلمين اسمهم الشيعة فهم فعلاً وقولاً تفرقوا عن المسلمين، فإذا تركنا هؤلاء جانباً ونظرنا إلى من يسمون بـ أهل السنة والجماعة، هؤلاء -أيضاً- تفرقوا شيعاً وأحزاباً، فلا يوجد مسلم اليوم إلا ويعلم أن المذاهب الفقهية من أهل السنة والجماعة هي أربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، ولا شك أن هؤلاء الأئمة الأربعة هم من أئمة السلف، ولكن الذين اتبعوهم منهم من اتبعهم بإحسان، ومنهم من اتبعوهم بإساءة.

فالأئمة رحمهم الله أحسنوا إلى المسلمين في بيان الفقه الذي سلطوه من الكتاب والسنة، لكن الأتباع منهم ومنهم؛ لأنهم قد تفرقوا شيعاً وأحزاباً الحنفي لا يصلي وراء الشافعي، والشافعي لا يصلي وراء الحنفي.

إلخ، لا نخوض في هذا الآن كثيراً، والحُر تكفيه الإشارة، لكن هناك مذاهب في العقيدة منها مذهبان بل ثلاثة، وقلت: مذهبان؛ لأن المذهبين لا يؤثرا على المذهب الثالث وهو المذهب الحق، في العقيدة ستة مذاهب: أهل الحديث، والماتريدية، والأشاعرة، وهذان المذهبان: الماتريدية والأشاعرة، هم الذين يقصدون بكلمة أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً، لكن بعض إخواننا السلفيين الدعاة منهم يحاولون الآن أن يطلقوا هذا الاسم (أهل السنة والجماعة) على أتباع السلف الصالح، والأزهر -مثلاً- حينما يقولون: أهل السنة والجماعة لا يقصدون إلا الماتريدية والأشاعرة، وهؤلاء يختلفون عن مذهب أهل الحديث ومذهب الفرقة الناجية، يختلفون كل الاختلاف، غير الخوارج والإباضية الموجودة اليوم في عُمان وفي الجزائر وفي المغرب.

إلخ.

هذه الأحزاب كلها لا يمكن الانتماء إلى شيء منها إلا إلى مذهب واحد، وهي التي تمثل الفرقة الناجية، التي وصفها الرسول عليه السلام بأنها التي تكون على ما كان عليه وأصحابه، فهذا الإنسان الذي أنت تشير إليه، يجب أن يعرف هذه الحقيقة الغيبية التي أخبر الرسول عنها من الاختلاف الذي أشارت إليه الآية الكريمة المذكورة آنفاً، وفصلها الرسول عليه السلام في أحاديثه تفصيلاً، خاصة في حديث الفرق، وهو قوله: (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة) هذا مسكين لا يعرف الفرقة الناجية، ولذلك يقول: لا يجوز أن تقول عن نفسك: أنا سلفي؛ لأنك تزكي نفسك! إن لم يقل هو عن نفسه سلفي فهو يقول: أنا مسلم، وقد يقول: أنا مؤمن، وكلاهما تزكية ولا شك، يقول ربنا عز وجل: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ} [القلم:٣٥-٣٧] ، المسلم يميز نفسه عن الكافر فيقول: ديني الإسلام، فإذا قال: ديني الإسلام، كلمتان مختصرهما: مسلم، فإذا قال: ديني الإسلام، كأنه قال: أنا مسلم، وهل أنت مسلم جغرافي أم أنك حقيقة مسلم؟ لأنه كان في عهد الرسول عليه السلام مسلمون منافقون، يقولون: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ويصلون مع المسلمين ويصومون؛ لكنهم لم يؤمنوا بقلوبهم، فإذاً الإسلام إذا لم يقترن مع الإيمان في القلب فلا ينفعه إسلامه إطلاقاً، وهذا معروف في القرآن الكريم، لذلك مثل هذا المسلم الذي ينصح بتلك النصيحة الباطلة، يجب أن يعرف أين يضع قدمه من هذه الفرق الهالكة، التي ليس فيها فرقة ناجية إلا التي تكون على ما كان عليه الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام، لذلك حتى نكون مع هؤلاء نقول: الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح، ونسأل الله عز وجل أن يحيينا على ذلك وأن يميتنا عليه.

الرد على من يرفض أن يقول: أنا سلفي خشية التفرقة

السؤال

بعض إخواننا الدعاة يقول: أنا أرفض أن أقول: أنا سلفي، خشية أن الناس تنظـــر إلي نظرة حزبية، فهل هذا الكلام صحيح أم أن عليَّ أن أبين للناس السلفية؟

الجواب

جرت مناقشة بيني وبين أحد الكُتّاب الإسلاميين الذين هم معنا على الكتاب والسنة، أرجو من إخواننا طلاب العلم أن يحفظوا هذه المناقشة؛ لأن ثمرتها مهمة جداً.

قلت له: إذا سألك سائل: ما مذهبك؟ ما هو جوابك؟ قال: مسلم.

قلت: هذا الجواب خطأ.

قال: لم؟ قلت: لو سألك سائل: ما دينك؟ قال: مسلم.

فقلت: أنا ما سألتك أولاً ما دينك؟ أنا سألتك ما مذهبك؟ وأنت تعلم أن في الأرض الإسلامية اليوم مذاهب كثيرة وكثيرة جداً، أنت معنا في الحكم على بعضها بأنها ليست من الإسلام في شيء إطلاقاً، كـ الدروز مثلاً: والإسماعيلية، والعلوية ونحوهم، مع ذلك فهم يقولون: نحن مسلمون، وهناك طوائف أخرى قد لا نقول: إنها خرجت من الإسلام، وإنما لا شك أنها تكون من الطوائف الضالة التي خرجت في مسائل كثيرة عن الكتاب والسنة، كالمعتزلة، والخوارج والمرجئة والجبرية ونحو ذلك، ما رأيك أهذا موجود عندك اليوم أم لا؟ قال: نعم.

قلت: فإذا سألنا شخصاً من هؤلاء الأشخاص: ما مذهبك؟ سيقول قولك متحفظاً: مسلم، فأنت مسلم وهو مسلم، إذاً نحن نريد أن توضح في جوابك عن مذهبك بعد إسلامك ودينك؟ قال: إذاً أنا مذهبي الكتاب والسنة.

قلت: أيضاً هذا الجواب لا يكفي.

قال: لم؟ قلت: لأن من ذكرناهم يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون، ولا أحد منهم يقول: أنا لست على الكتاب والسنة، فمثلاً: هل الشيعة يقولون: نحن ضد الكتاب والسنة؟

بل يقولون: نحن على الكتاب والسنة، وأنتم منحرفون عن الكتاب والسنة، فلا يكفي يا أستاذ أن تقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة، فلا بد من ضميمة أخرى، فما رأيك: هل يجوز أن نفهم الكتاب والسنة فهماً جديداً، أم لابد أن نلتزم في فهم الكتاب والسنة ما كان عليه السلف الصالح؟ قال: لا بد من ذلك.

قلت: هل أنت تعتقد أن أصحاب المذاهب الأخرى -من كان خارجاً عن الإسلام، ويدعي الإسلام ومن كان لا يزال في دائرة الإسلام لكنه ظل عن بعض أحكامه- هل تعتقد أنهم يقولون معك ومعي: نحن على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؟ قال: لا.

لا يشتركون معنا.

قلت: إذاً أنت لا يكفي أن تقول: أنا على الكتاب وعلى السنة، لابد من ضميمة أخرى.

قال: نعم.

قلت: إذاً ستقول: على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

والآن نأتي إلى بيت القصيد، قلت له وهو رجل أديب وكاتب: هل توجد كلمة واحدة في اللغة العربية تجمع لنا إشارة إلى هذه الكلمات كلها: مسلم، على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، مثلاً: أنا سلفي؟ قال: هو كذلك.

وأسقط في يده، هذا هو الجواب، فإذا أحد أنكر عليك فقل له هذا الكلام الذي ذكرناه: وأنت ماذا؟ سيقول لك: مسلم، وأكمل بقية المناقشة معه.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تأملات عميقة في الدعوة السلفية

السؤال

ما رأي فضيلتكم في أوضاع الدعوة السلفية عموماً، في الكويت ومصر والسعودية خصوصاً؟

الجواب

أنا أقول: إن الدعوة السلفية الآن -مع الأسف- في اضطراب، وأعزو السبب في ذلك إلى تسرع كثير من الشباب المسلم في ادعاء العلم، فهو يتجرأ على الإفتاء والتحريم والتحليل قبل أن يُعرف، بعضهم -كما سمعنا كثيراً- لا يحسن أن يقرأ آية من القرآن، ولو أنها أمامه

في المصحف الكريم، فضلاً عن أنه كثيراً ما يلحن في قراءة حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فيصدق فيه المثل المعروف في بعض البلاد: "تزبب قبل أن يتحصرم" أي: العنب حينما يبدأ يصير حباً أخضر، وهذا هو الحصرم، ويكون حامضاً جداً، فهــو قبــل أن يتحصرم جعل نفسه كالزبيب، أي: كالعنب الذي نضج وصُيِّرَ زبيباً، ولذلك فركــوب كثير من هؤلاء الناس رءوسهم وتسرعهم في ادعاء العلم والكتابة، وهم لَمْ يمشوا بعد إلى منتصف طريق العلم، هو الذي جعل الذين ينتمون للدعوة السلفية الآن -مع الأســف- شيعاً وأحزاباً.

ولذلك علاجه الوحيد بأن يتقي هؤلاء المسلمون رهم عز وجل، وأن يعرفوا أنه ليس لكل من بدأ في طلب العلم أن يتصدر في الإفتاء في التحريم والتحليل، وفي تصحيح الحــديث وتضعيفه، إلا بعد عمر طويل، يتمرس في هذا العمر على معرفة كيف يكــون الإفتــاء، وكيف يكون الاستنباط من الكتاب ومن السنة.

وفي هذا الصدد لا بد أن يتقيد هؤلاء الدعاة السلفيون بالقيد الثالث، الذي سبق أن ذكرته في أثناء الكلام عن العلم النافع والعمل الصالح، فقد قلنا: إن العلم النافع يجب أن يكــون على منهج السلف الصالح، فحينما يحيد كثير من الدعاة الإسلاميين اليوم عن التقيد بهذا القيد الثابت، الذي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله في شعره السابق حين قال:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

فعدم الالتفات إلى ما كان عليه السلف الصالح يعود بالناس بعد أن اتفقوا إلى الفُرقة التي تُبَاعِدُ بينهم، كما باعدت من قبل بين كثير من المسلمين، فجعلتهم شيعاً وأحزاباً: (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون:٥٣] .

هذا رأيي في هذا الواقع، فعليهم إذا كانوا مخلصين -كما نرجو- أن يتمسكوا بالمبـــادئ العلمية الصحيحة، وألا يتجرأ من لم يكن قد وصل إلى مرتبة العلم وصولاً صـــحيحاً أن يتورع عن ذلك، وأن يكل العلم إلى عالميه.

ويعجبني في هذا الصدد بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث -وأنا أظن أنها عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله، وهو من كبار علماء السلف الصالح - قال: [لقــد أدركت في هذا المسجد -ولعله يشير إلى مسجد المدينة المنورة - سبعين من الصـــحابة، كان أحدهم إذا سُئل عن مسألة أو استفتي عن فتوى، يتمنى أن يتولى ذلك غيره من علماء الصحابة الحاضرين] .

والسبب في ذلك هو أنهم يخشون أن يقعوا في خطأ، فيوقعون غيرهم في الخطأ، فيــتمنى أحدهم ألا يتحمل هذه المسئولية ويتحملها غيره.

أما الآن فالظاهرة معاكسة تماماً مع الأسف الشديد، وذلك يعود إلى سبب واضح، وأنا أذكره دائماً وأبداً، وهو أن التفتح الذي نشعر به الآن للكتاب والسنة والدعوة السلفية هو أمر حادث، و لم يمض على هذا التفتح الذي يسمونه بالصحوة، لم يمض زمن طويل حتى يجني هؤلاء الناس ثمرة هذه الدعوة والصحوة والتفتح في أنفسهم، أي: أن يتربوا علـــى أساس الكتاب السنة، ثم هم بالتالي يفيضون بهذه التربية الصحيحة القائمة على الكتـــاب والسنة على غيرهم ممن حولهم الأدنى فالأدنى، فالسبب أن هذه الدعوة لم يظهر أثرهـــا؛ لأنها حديثة العهد بهذا العصر الذي نحن نعيش فيه؛ ولذلك نجد الظاهرة المعاكسة لما ذكرناه آنفاً، مما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أولئك الصحابة الذين كانوا يتورعون عن أن يسألوا، ويتمنون أن يُسأل غيرهم، وما كانوا يجيبون عن السؤال إلا لعلمهم بأنه لا يجوز لهم أن يكتموا العلم، لكن في قرارة قلوبهم كانوا يتمنون أن يتولى ذلك غيرهم.

أما الآن فتجد في كثير من المجتمعات السلفية -فضلاً عن غيرها- يُسأل أحد ممن يظن فيه أنه أكثر من الحاضرين علماً، وإذا بك تجد فلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسئول، وفلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسئول، ما الذي يدفع هؤلاء؟ إنه حب الظهور، والأنانية، ولسان حاله يقول: أنا هنا، أي: أنا عندي علم، وما شاء الله عليه! هذا على ماذا يدل؟ يدل على أننا لم نترب التربية السلفية، نحن نشأنا على العلم السلفي، وكل بحسب اجتهاده وسعيه إلى هذا العلم، أما التربية فما حصلناها بعدُ كمجتمع إسلامي سلفي، ولذلك هذه الجماعات والتكتلات والأحزاب، في كل حزب نجد مثل هذا التفرق وما سببه إلا عدم التربية الإسلامية الصحيحة.

أقول: علاج هذه الأمة ليعود إليها مجدها، ولتتحقق لها دولتها، ليس لذلك سبيلٌ إلا البدء بما ألخصه بكلمتين اثنتين: بالتصفية والتربية، خلافاً لجماعات كثيرة يسعون إلى إقامة الدولة المسلمة -بزعمهم- بوضع أيديهم على الحكم؛ سواءً كان ذلك بطريق سلمي كما يقولون: بالانتخابات، أو كان ذلك بطريق دموي، كانقلابات عسكرية وثورات دموية، ونحو ذلك، نقول: هذا ليس هو السبيل لإقامة دولة الإسلام على أرض الإسلام، وإنما السبيل هو سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي دعا في مكة -كما تعلمون- ثلاث عشرة سنة، ثم أتم الدعوة في المدينة، وهناك بدأ بعد أن استصفى له ممن اتبعه وآمن به رجالاً لا تأخذهم في الله لومة لائم، فبدأ بوضع أسس الدولة المسلمة.

والتاريخ -كما يقولون- يعيد نفسه، فلا سبيل أبداً، وأنا على يقين مما أقول، والتجربة الواقعية منذ نحو قرن من الزمان تدل على أنه لا مجال إطلاقاً، لتحقيق نهضة إسلامية صحيحة، ومن ورائها إقامة الدولة المسلمة إلا بتحقيق هذين الهدفين: التصفية: وهو كناية عن العلم الصحيح، والتربية: وهو أن يكون الإنسان مربىً على هذا العلم الصحيح على الكتاب والسنة.

نحن الآن في صحوة علمية ولسنا في صحوة تربوية، ولذلك نجد كثيراً من الأفراد من بعض الدعاة يستفاد منه العلم، لكن لا يستفاد منه الخُلُق، لماذا؟ لأنه هو نشَّأ نفسه على العلم، ولكنه لم يكن في بيئة صالحة رُبِّيَ فيها منذ نعومة أظفاره؛ فلذلك فهو يحيا ويعيش وهو يحمل الأخلاق التي ورثها من ذاك المجتمع الذي عاش فيه وولد فيه، وهو مجتمع بلا شك ليس مجتمعاً إسلامياً، لكنه استطاع بشخصه أو بدلالة بعض أهل العلم أن ينحو منحىً علمياً صحيحاً، لكن هذا العلم ما ظهر أثره في خلقه وسلوكه وأعماله، فهذه الظاهرة التي نحن الآن في صدد الكلام عنها سببها هو: أولاً: أننا لم ننضج علمياً إلا أفراداً قليلين.

وثانياً: الأفراد أكثر من ذلك لم يربوا تربية إسلامية صحيحة، ولذلك فتجد كثيراً من المبتدئين في طلب العلم ينصب نفسه رئيساً رئيساً لجماعة أو لحزبٍ، وهنا تأتي حكمة قديمة لتعبر عن أثر هذا الظهور، وهي التي تقول: (حب الظهور يقطع الظهور) .

فهذا أسبابه يعود إلى عدم التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح.

سلفية سيد قطب

السؤال

ظهرت في بعض الدول العربية جماعة يدعون أنهم أتباع سيد قطب، وأنهم هم السلفيون حقاً، فما رأيكم؟

الجواب

رأيي أن المشكلة هي هي، وجوابي عليها:

والدعاوى ما لم تقيموا عليــــها بينات أصحابها أدعياءُ

نحن نعتقد أن سيد قطب رحمه الله لم يكن سلفي المنهج في عامة حياته، ولكن ظهر لــه اتجاهٌ قوي إلى المنهج السلفي في آخر حياته وهو يعيش في سجنه، فالسلفية ليست مجــرد دعوة، السلفية تتطلب معرفة بالكتاب والسنة الصحيحة والآثار السلفية، نحن نعلم مــن هؤلاء وأمثالهم الذين يدعون أن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنة؛ أنهم لا يعرفون أصول فهم الكتاب أولاً، وهذه الأصول معروفة من كلام ابن تيمية في رسالته في أصول الفقه، وكلمات أئمة التفسير كــ ابن جرير وابن كثير وغيرهم؛ أن القرآن يفسر بالقرآن، وإلا فبالحديث، وإلا فبأقوال الصحابة، ومن دونهم من السلف الصالح، فالذين يدعون السلفية لا يسلكون في سبيل تفسير القرآن هذا السبيل العلمي المتفق عليه بين علماء المسلمين.

السائل: هل هذا موجود عند القطبية؟ الشيخ: نعم.

هو موجود؛ ولذلك تجد في تفسير سيد قطب بعض التفاسير التي تنحو منحى الخلفــيين الذين يخالفون السلف الصالح.

ثم أريد أن أقول: إن هؤلاء لا يُعْنَوْنَ بتمييز السنة الصحيحة من الضعيفة؛ فضلاً عن أنهم لا يعنون بتتبع الآثار عن الصحابة والسلف الصالح؛ لأن هذه الآثار هي التي تعين العالم على فهم الكتاب والسنة كما أشرنا إليه آنفاً.

من أين تأتيهم السلفية إذا كانوا هم بعيدين عن فهم الأصل الأول للإسلام وهو القرآن على الأصول العلمية الصحيحة، وبعيدين عن تمييز الصحيح من الضعيف من الحــديث، وأبعد من ذلك عن أن يتتبعوا آثار السلف الصالح حتى يهتدوا بهديها ويستنيروا بنورها؟ إذاً: القضية ليست مجرد ادعاء، ولماذا هؤلاء يدعون أنهم سلفيون؟ للأمر الذي ذكرته في بعض أجوبتي السابقة؛ أن الدعوة السلفية الآن -والفضل لله عز وجل- غطت الســاحة الإسلامية تقريباً، وظهر لأكثر من كان يعاديها -ولو في الجملة- أن هذه الدعوة هــي دعوة الحق؛ ولذلك فهم ينتمون إليها ولو كانوا في عملهم بعيدين كل البعد عنها.

رأي الشيخ في الجماعات التي تسعى لإقامة دولة إسلامية دون الأخذ بالأسباب

هناك الآن ظاهرة في العالم الإسلامي يجب أن نأخذ حذرنا منها، فالعالم الإسلامي الآن في اضطراب شديد، وذلك بسبب المصائب التي تنزل على المسلمين بأنواع وأشكال شتى، فنتج عن ذلك طائفة من الناس يريدون أن يقيموا دولة الإسلام بالقوة والبطش، بدون أي اتخاذ للوسائل الشرعية والوسائل الكونية التي يأذن بها الله تبارك وتعالى.

ولعلكم سمعتم بالطائفة التي يصفهم أعداؤهم ويسمونهم بـ جماعة التكفير والهجرة، ونحن لا ندري بماذا يسمون أنفسهم، لكنهم ينتسبون إلى الكتاب والسنة، وقد التقيت بأفراد وجماعات منهم، وتناقشت معهم كثيراً، فوجدت في قلوبهم إيماناً، وفي نفوسهم حرارة

الإسلام، ينظرون إلى واقع المسلمين فلا يعجبهم ولا يرضيهم؛ فيندفعون بطريقة غير واعية وغير حكيمة.

وقد نقلت بعض الإذاعات منذ يومين خبراً أن هذه الطائفة في مصر قبضت على أحد المشايخ الأزهريين بطريقة أشبه بالطريقة البوليسية، فأخذوه وأودعوه في السيارة ثم نقلوه إلى مكان، ثم قيل أنهم قتلوه، ومن قبل حبسوه وطلبوا فداءه كذا وكذا من المال.

إلخ، فهذه الظاهرة إنما هي تنفيس لهذا الضيق الذي يجده المسلمون في بلادهم، ولكنهم لا يحسنون الطريق.

كذلك هناك رجل اسمه الدكتور أحمد عيد، زعم أنه قد ألهم بأن المهدي سيخرج قريباً، وأن عليه أن يهيئ له المجلس الاستشاري، فأخذ يستقطب بعض الأفراد من كل الجماعات والأحزاب، حتى وصل إلى بعض إخواننا السلفيين فأخذ اثنين منهم، فوظفهم عنده في المجلس الاستشاري، لكنهم ما خرجوا عن الدعوة السلفية؛ لا سيما بعدما اتصلوا بي وأخبروني خبره.

حتى إنه استقطب بعض الأفراد من الناصريين، وهذا يدل للبصير في دينه أنه رجل ليس على هدى من ربه؛ لأنه يجمع بين الصالح وبين الطالح، فقد جمع بعض السلفيين، وبعض الإخوان المسلمين، وبعض الناصريين، وبعض النقشبنديين، ثم صور للناس بأن لديه غلاماً لم يبلغ بعد سن التكليف، وأن هذا الغلام يتصل بالرسول عليه السلام مباشرةً؛ فكلما أراد شيئاً من وراء الغيب سأل ذلك الغلام، مثلاً: زيد من الناس يصلح للمجلس الاستشاري أم لا؟ فهو يعرض هذا الطلب على ذاك الغلام الذي عنده، فما يكون من الغلام إلا أن يضع يده على جبهته ويفكر، وإذا به يرى الرسول عليه السلام يقظة فيكلمه ويسأله، ويقول له: يا رسول الله! فلان بن فلان ماذا تقول فيه؟ أيصلح للمجلس الاستشاري أو لعمل ثان أو غيره؟ فإذا قال له: يصلح.

أدخله في جماعته، وإذا قال له: لا يصلح.

لم يدخله في جماعته.

ثم أرسلنا إليه أحد إخواننا واسمه عيد عباسي -صاحب كتاب بدعة التعصب المذهبي، وهذا من أحسن ما ألف في العصر الحاضر في هذا الموضوع- فناظره وجادله وسجلت مناظرة بينهما.

الخلاصة: الرجل أخيراً فضح أمره فولى هارباً من دمشق، لكنه بذر بذوره في عمَّان، وأسمع ما بين آونة وأخرى بأن فلاناً صار من جماعته وفلاناً صار من جماعته.

فما الذي يجعل الناس يتقبلون مثل هذه الضلالات؟ لأنهم يريدون أن ينفسوا عن هذا الضيق الذي أصاب المسلمين بسبب ضغط الكفار والمستعمرين من هؤلاء الكفار، فيريدون مخرجاً، ولكنهم لا يحسنون الطريق.

ويتمسك هؤلاء بالأحاديث التي وردت في حق المهدي محمد بن عبد الله.

ويجب أن نعلم أن الأحاديث الواردة في المهدي فيها قسم كبير صحيح، وفيها قسم حسن، وفيها قسم كثير ضعيف، بعضه مما يأخذ بعضد بعض، وبعضه منكر لا يحتج به، فعقيدة خروج المهدي عقيدة صحيحة، ولكن هذه العقيدة فيها شيء من البيانات التي تجعل المسلم لا يميل يميناً ولا يساراً، ولا يكون ذيلاً لكل من يدعي المهدوية، كما وقع ذلك كثيراً في التاريخ الإسلامي.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم المهدي بعلامات، فمنها قوله: (المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) فأول شرط في المهدي: أن يكون من أهل البيت، لا يكون أعجمياً، ولا يكون عربياً ليس من أهل البيت، ولا يكون من قبيلة كذا وليس له صلة ببيت النبوة والرسالة، إذاً هو من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

العلامة الثانية: أن اسمه محمد بن عبد الله؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قـــال: (لا تنقضي الدنيا -وفي رواية: لا تذهب الدنيا- حتى يبعث الله رجلاً يوافق اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً) فإذاً هو محمد بن عبد الله، ويجب أن يكون هذا اسمه منذ ولد، لا أن يكون مخترعاً من جديد، فالدجالون يعلمون هذا الحديث، ويعلمون أن المسلمين يؤمنون به؛ لذلك فهم يتسمون من جديد بهذا الاسم.
القادياني الذي ادعى النبوة اسمه: ميرزا غلام أحمد القادياني، هذا الرجل من كبار الدجاجلة في هذا القرن الأخير، سمي على طريقة الهنود: ميرزا غلام أحمد، ميرزا: لقب بمعنى السيد أو الباشا أو البيه.

إلخ، لكن اسمه غلام أحمد، ومعنى غلام أحمد: خادم أحمد، فهو ليس اسمه أحمد، إنما اسمه مضاف ومضاف إليه، مثل عبد الله، فهو عبد الله وليس الله، فالعبـــد مضـــاف إلى الله، كذلك هنا غلام أحمد، يعني هو: خادم محمد، يتشرف الهنود أن ينسب أحدهم بأنه خادم الرسول عليه السلام، وبعضهم يسمى بنور أحمد، فحذف النور يخرج أنه أحمد وهو ليس اسمه أحمد.

هذا الدجال لما بدأ ينشر كتبه باللغة العربية حذف كلمة غلام ووضع اسمه أحمد، لكـــي يحمل آية: {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦] يعني: هو، هـــو ليس اسمه أحمد بل هو غلام أحمد، لكن من باب التضليل على الناس حذف هذا الاسم الأول الذي أضيف إلى أحمد؛ لكي يسلك استدلاله على جماهير الناس.
الآن عندنا صفتان واضحتان للمهدي: الأولى: أنه من أهل بيت النبوة والرسالة، الثانية: أن اسمه محمد بن عبد الله، وأنه يجب أن يعرف منذ ولادته بهذا الاسم حتى يبلغ سن التكليف والرشد، وسن تولي هداية الأمة إلى سعادتها في الدنيا قبل الآخرة.

العلامة الثالثة: نأخذها من الحديث الأول: (يصلحه الله في ليلة) وهذا يمكن أن يفسر في الواقع على وجه من وجهين: الوجه الأول: أنه لا يكون صالحاً لقيادة الأمة، يكون منطلقاً في دينه وفي استقامته، لكن لا يخطر في بال أحد أنه يصلح أن يكون قائداً للأمة، فيصلحه الله في ليلة، أي: يلهمه أن يقوم لقيادة المسلمين الذين يلتقون حوله إلى تحقيق الحلم الذي ينشده المسلمون اليوم، وهو الحكم بما أنزل الله.

الوجه الآخر: يكون الرجل غير صالح في نفسه، يعيش ما شاء الله من سنين وهو مفرط على نفسه، مضيع في شيء من دينه، فالله عز وجل يلهمه في ليلة واحدة أن يعود إلى الله تائباً مهتدياً فيصلحه الله في ليلة.

العلامة الرابعة -وهي هامة جداً-: أنه يخرج في دمشق، وهي عاصمة بلاد الشام قديماً وسوريا حديثاً، وهذا مصرح به في الحديث الصحيح.

العلامة الخامسة: أنه يلتقي مع عيسى عليه الصلاة والسلام في دمشق، حيث يترل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في وقت صلاة الفجر، وقد أقيمت الصلاة للمهدي، فلما يرى عيسى قد جاء يقدمه ليصلي بالناس، فيأبى ويقول له: لا.

تقدم أنت؛ تكرمة الله لهذه الأمة فعيسى حينما يترل لا يترل بصفة كونه نبياً؛ لأنه كان نبياً إلى بني إسرائيل ورسولاً، وإنما يأتي تابعاً لمحمد عليه الصلاة والسلام.

هذه علامات يجب أن تبقى في أذهاننا؛ حتى لا نغتر بدعوى بعض الناس أنه المهدي.

ومن جهة أخرى يجب ألا نتظنن وألا نرجم بالغيب فنقول: هذا زمن خروج المهدي؛ لأن هذا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله، في كل عصر يوجد أناس يقولون: اشتد الفساد في الأرض، ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، إذاً هذا زمان خروج المهدي، وتمضي السنون والسنون والسنون ولا يخرج المهدي؛ لأن المهدي خروجه وزمانه ما أعطي علمه لأحد إطلاقاً، وكذلك نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

فعلينا أمران اثنان: أولاً من ناحية العقيدة: يجب أن نؤمن بكل ما صح في المهدي، وقد ذكرت لكم بعض النتف من هذه العقيدة، ثانياً: ألا نربط أنفسنا بوقت نزعمه وندعي أنه وقت خروج المهدي؛ لأن ذلك لا يعلمه إلا الله، وعلينا أن نعمل بما أمرنا الله عز وجل، وما أمرنا به رسوله عليه الصلاة والسلام.

وكما أقول دائماً وأبداً بمثل هذه المناسبة: يجب أن نعمل سواء خرج المهدي في زماننا أو لا؛ لأنه إن خرج فسيجد الناس الذين هم بحاجة إلى قائد يقودهم، وإن لم يخرج فنكون قد قمنا بالواجب الذي فرضه الله علينا، وبهذا نرد على طائفتين متباينتين ونحن وسط بينهما: طائفة تنكر أحاديث المهدي وأحاديث نزول عيسى، وطائفة تثبت هذه الأحاديث ولا تعمل؛ بدعوى أنه لا توجد فائدة من العمل حتى يخرج المهدي وينزل عيسى عليه السلام. نحن نقول كما قال الله عز وجل: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة:١٠٥] ولا ننتظر خروج المهدي؛ لأن هذا ليس من شأننا، إن خرج وجدنا على الخط، وإن لم يخرج فما يضرنا، وإنما علينا أن نعمل بما أمرنا الله تبارك وتعالى.

السائل: أنت قلت: يخرج المهدي من دمشق؟ الشيخ: نعم.

السائل: نحن نعرف أنه يلجأ رجل للحرم فيبايع مكرهاً.

الشيخ: هل تعلم أن الحديث صحيح؟ أنا لا أعلم صحته .

رأي الشيخ فيمن يعتقد العقيدة السلفية ومع ذلك يدعو إلى جماعة أخرى

السؤال

هناك شخص يقول: أنا عقيدتي سلفية، وهو يدعو إلى طائفة فيها بعض الشبهات والإهمال للسنة، فما رأيكم في هذا الشخص؟

الجواب

في الواقع أنني أستغربته جداً؛ لأنني لم أتصور وجوده في واقع حياتنا اليوم، أن تتصور رجلاً سلفياً عقيدةً ومذهباً، ثم هو يدعو إلى مذهب آخر، كيف تتصور ذلك؟ السائل:

هذا الرجل يرى أن الجماعة التي يدعو إليها تنتمي إلى الإسلام ظاهراً، ولكن فيها شيء من إهمال السنة، وفيها بعض التشويش، وهو إنما يدعو مع هذه الجماعة؛ لأن لها مكانة في الدولة، فيستطيع من خلال انضمامه إلى هذه الجماعة أن يدعو إلى الله بقوة دون أي خوف، وعقيدته كما هي سلفية، وإنما ينتمي ظاهراً إلى هذه الدعوة.

الشيخ: الآن ظهرت المسألة، بينما من قبل كان فيها شيء من الغموض، الآن نورد سؤالاً توضيحياً: هل هذا السلفي حينما يدعو إلى تلك الجماعة في تلك الجماعة ما يخالف السلفية في اعتقادهم؟ السائل: الجماعة فيها بعض الشبهات.

الشيخ: أنا لا أتكلم في الشبهات، أنا قلت: في تلك الجماعة التي يدعو هذا السلفي إليها، أيعتقد أن في تلك الدعوة ما يخالف دعوته؟ أي: الدعوة السلفية.

السائل: نعم.

الشيخ: إن كان الأمر كذلك فهذا ليس سلفياً؛ لأن السلفية مثل الإيمان قابلة للزيادة والنقصان؛ لأنه كما شرحنا آنفاً أن السلفية فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً على منهج السلف الصالح، لكن لا نفهم هل هو شيء محدود لا يقبل الزيادة والنقصان؟ لا.

ثم بعد أن يفهم المسلم الدعوة الصحيحة للدعوة السلفية فهماً صحيحاً بقدر الإمكان، هل يطبقه كل سلفي مائة في المائة أم بنسبة متفاوتة؟ بنسبة متفاوتة، فإذا كان هناك رجل سلفي ثم هو يدعو إلى جماعة أخرى، في أفكارها وفي دعوتها ما يخالف الدعوة السلفية، فهو كالذي يجمع بين نقيضين في أمرٍ واحد، لكن هذا ينكر عليه؛ لأني أعتقد أن هذا السلفي لا يعلم أن في تلك الجماعة ما يخالف الدعوة السلفية، فإذا علم وبين له، ففي اعتقادي أنه بعد ذلك لا يستطيع أن يتبنى تلك الدعوة إطلاقاً، كل ما يمكن أن يفعله أن يخالفهم، وأن يعاشرهم ويبث الدعوة السلفية بينهم، لا أن يتبنى هو دعوتهم، ويلتزمها كما يلتزم الدعوة السلفية.

خلاصة القول: لا يمكن الجمع بين الدعوة السلفية وغيرها من الدعوات بالكلية؛ لأن في تلك الدعوات أشياء تخالف الدعوة السلفية قطعاً.

قول الشيخ في بعض أصحاب الجمعيات

السؤال

فضيلة الشيخ! جاء إليك عدد من الإخوة اليمنيين يسألونك عن الجمعية، وفي سؤالهم تلبيس، وقالوا: إنهم أصحاب الجمعية الفلانية، وأنهم من طلبة الشيخ مقبل وكذا وكذا رغم أن الشيخ مقبل قد حذر منهم كثيراً، وبح صوته في التحذير منهم، بل وتبرأ منهم، وهم يطعنون في الشيخ مقبل كثيراً جداً، بل إن بعضهم -وهو تلميذ للشيخ- يقول في شريط اسمه: (حوار هادئ مع مقبل بن هادي) قال له: أنت والغزالي عندي سواء، الغزالي طعن في السنة، وأنت تطعن في السنة باسم الدفاع عن السنة، وأحدهم -وهو أيضاً من تلاميذه لكنه تلميذ عاق- قال لي: أهل الحديث فيهم قسوة وقلة تعبد، أما ترى الشيخ مقبلاً؟! وأيضاً في الوقت نفسه يثنون على المبتدعة، لا أقول المبتدعة الذين يشك في

ابتداعهم، بل المبتدعة القبوريين، رجل صوفي عندنا في حضرموت فيه كل بلية، قبوري، مفوض كل شيء فيه، فيذهبون عنده ويدرسون عنده، بل بعضهم قال: رحبة صدر فلان -الصوفي هذا- خير من ضيق صدر مقبل، والصوفي هذا يرسل أبناء الذين يسمون بالسادة، يرسلهم إلى السقاف هنا، وأخبرني أبو الحارث علي حسن أن عددهم بلغ أربعين شخصاً، والله نزل علي هذا الخبر كالصاعقة! هو لما رأى الشباب أقبلوا على السنة أخذ أبناء السادة وأرسلهم إلى هنا.

فهؤلاء الحزبيون أصحاب الجمعيات، أو الحزبيون عامة سمعناهم يزهدون الشباب في أن يذهبوا إلى الشيخ مقبل، في الوقت الذي يثنون فيه على هؤلاء المبتدعة الذين يرسلون أبناءهم إلى السقاف وغيره، فما تعليقكم يا شيخ؟ وقد تعبنا منهم، والله أتعبونا وأشغلونا.

الجواب

أنا أقول: هداك الله، لماذا تهتم بهؤلاء، لا نملك شيئاً -يا أخي- هؤلاء كُثُر غلبوا الدنيا كلها، الباطل هكذا.

السائل: يتبعهم كثير.

الشيخ: من المناسب هنا من الآيات: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} [الكهف:٦] ، خذ -يا أخي- موعظة وعبرة من مواساة رب العالمين لنبيه بمثل هذا الكلام، مع أن أولئك كفرة وضلال ومشركون، وهؤلاء وإن كانوا ضلالاً ولكن على كل حال لا يخرجون عن

دائرة الإسلام والمسلمين، ولذلك فأنا أتعجب -والله- كلما رأى أحدكم شخصاً أو أشخاصاً كانوا يزعمون أنهم من السلفيين ثم انحرفوا، يقولون فيه كذا وكذا وكذا، هذا القول ناشئ عن شيئين: إما عن جهل، وإما عن تجاهل، وقد يجتمعان.

يقولون عندنا في الشام عن الصوفية: (فلان مثل الصوفي، لا ينكر ولا يوفي) ، فعنده لسان عذب؛ لأنه ليس عنده أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ليس عنده حب في الله ليس عنده بغض في الله، بينما من كان على طريقة السلف الصالح فهو يحب في الله ويبغض في الله، يتكلم تارة باللين، وتارة بالشدة؛ لأن هذه سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن الصوفي لا يعرف الشدة؛ لأنه لا تهمه الأحكام الشرعية، يهمه جذب قلوب الناس فقط، يهمه أن الناس تقبّل يده أو يديه كلتيهما معاً.

ولذلك هؤلاء عندما يقولون: مقبل متشدد، أما ذاك الصوفي فهو هين لين؛ ما أوتوا إلا بسبب جهلهم، أو بسبب تجاهلهم وركضهم وراء مصالحهم الشخصية.

ثم أنت تقول: جاءني أناس من هؤلاء اليمنيين، ثم ماذا وراء ذلك؟ السائل: هم أرادوا أن يلبسوا.

الشيخ: ماذا نفعل لهم؟ السائل: الله المستعان، أنا سألت عن هذا؛ لأن كثيراً من الشباب هنا يسمعون كلام الشيخ، فإذا سمعوا هذا -إن شاء الله- يتبين لهم الأمر.

مداخلة: أنا أذكر أن الشيخ ما أجاز لهم وضع أموالهم في البنوك، وأن جمعيتهم لا تجوز إلا بشروط: عدم التحزب و.

أما تذكر يا شيخ؟ الشيخ: كيف لا؟! السائل: يا شيخ! أنتم أجبتم إجابة صحيحة، إن كانت حسب الشروط وكذا، إنما هم هكذا، والله المستعان!

الشيخ: يا أخي! ماذا نفعل لهم؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.

ما الفرق بين منهج التبليغ ومنهج السلفيين؟

الشيخ: شتان ما بينهما، وقد قيل قديمًا:

فأين الثريا من الثَّرى ... .. وأين معاوية من علي

جماعة التبليغ لا يدعون إلى اتباع الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؛ بل قد يحاربون هذه الدعوة كما يحاربها كثير من الجماعات الأخرى بزعم أنها تُفرِّق ولا تجمع؛ وإنما هم يدعون إلى التَّخلُّق ببعض الأخلاق الإسلامية، وهذا بلا شك من محاسنهم، فكثيرون منهم نعرفهم بأشخاصهم في بعض البلاد الإسلامية مخلصون؛ ولكنهم ما عرفوا الطريق التي توصلهم إلى الله -تبارك وتعالى-؛ ألا وهو طريق الكتاب والسنة، وعلى ما كان عليه السلف الصالح.

إنهم يشرحون لأتباعهم معنى الكلمة الطيبة على نحو ولو موجز -كما ذكـرت آنفًا-؛ لأن ذلك ينافي واقع كثير من جماعة التبليغ في بعض البلاد الإسلامية.

وهنا أريد أن أذكر شيئًا من تجربتي: جماعة التبليغ كجماعة الإخوان المسـلمين من جهة واحدة؛ وهي أن دعوة جماعة التبليغ هي كدعوة الإخوان المسـلمين وكل دعوة تنتمي إلى الإسلام، لا يمكن لأي جماعة على وجـه الأرض مـن المسلمين الذين يصلون صلاتنا، ويستقبلون قبلتنا، لا يمكن لأحد منهم أن ينكر أن يكون على الكتاب والسنة؛ فكلهم يدَّعون أنهم على الكتاب والسنة؛ لكـن الفرق أن بعضهم يدَّعي ويجتهد -كل جهده- في فهم الكتاب والسـنة، ثم في تطبيق هذا الفهم على نفسه وعلى ذويه ومن حوله؛ ثم على إشاعته في العـالم الإسلامي كله، وهذا الوصف لا يصدق إلا على جماعة واحدة ينتمون فعلاً إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، ويعرفون بأسماء متعددة كلها تؤدي إلى حقيقة واحدة؛ هي الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة.

في بعض البلاد يسمون دعوتهم بالدعوة السلفية، في بلاد أخرى يسمون المنتمون إليها بأهل الحديث، أو يسمون بأنصار السنة، هؤلاء فقط هم الذين يحققـون هذا الانتماء إلى الكتاب والسنة، والعمل في بما جاء فيهما على منهج السـلف الصالح، في حدود استطاعتهم. أما الجماعات الأخرى فليس لهم من هذه الدعوة إلا الاسم؛ فكلهم يقول نحن على الكتاب والسنة، ولا يستطيع أحد أن يتبرأ من الكتاب والسنة؛ وإلا خرج من دائرة المسلمين.

فالإخوان المسلمون مثلاً يختلفون من إقليم إلى آخر؛ فتجد بعضهم مـذهبيين أو صوفيين، وتجد -أحيانًا- منهم سلفيين في العقيدة، كذلك جماعة التبليغ تمامًـا،

وهذا شيء أعرفه في كل من الجماعتين معرفة شخصية، من كان فيهم مُوحِّـــدًا أو سلفيَّ العقيدة لم تأته هذه العقيدة من الجماعة التي هو ينتمي إليها؛ فالإخوان المسلمون ليس لديهم عقيدة موحدة يوجبونها على كل فرد من أفراد الجماعـــة، وكذلك جماعة التبليغ ليس عندهم شيء من هذا إطلاقًا، ولهذا تجد كـــلاً مـــن الجماعتين خليط من الناس من مختلف المذاهب؛ فتجد في الإخوان المســـلمين: الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، والأشعري، والماتُريدي، والصوفي.

وقد أدركنا زمنًا حينما كانت قائمة الإخوان المسلمين قائمة وقوية في مصـــر، كان في مكتبهم الخاص في الإدارة بعض الشـــيعة؛ فهـــم -إذن- يجمعـــون في دائرتهم كل مسلم دون تفريق بين من كان إسلامه صحيحًا، وبين مـــن كـــان إسلامه منحرفًا.

كذلك جماعة التبليغ هم يهتمون -فقط- بوعظ الناس، وتأديبهم على الصدق والبعد عن الكذب، وأداء الأمانة، والمحافظة على الصلاة في المساجد، هذه أشياء حسنة بلا شك، لا أحد يخالفهم فيها؛ لكن تجد فيهم -كما ذكرنا عن الإخوان المسلمين- الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، والماتُريدي والأشعري والصوفي المتوسط المعتدل، والصوفي الغالي الذي وقع في القول بوحدة الوجـــود ونحـــو ذلك، لماذا؟ لأن هاتين الجماعتين ليس لهم منهج علمي يدعون الناس إلى اتباعه، كما هو شأن الجماعات التي قلنا عنهم إنهم يعرفون بأسماء؛ لكن دعوتهم؛ كما قال ابن القيم -رحمه الله- في بعض أشعاره اللطيفة:

العلم قال الله قال رسوله ... . قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... . بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها ... . حذرًا من التعطيل والتشبيه

فكل من يخالف هذا المنهج السلفي من الجماعات الأخرى، فإن وجد في بعض أفرادها شيء من هذا المنهج الصحيح فقد جائتهم من غيرهم ولم تنبع من دعوتهم، هذا الذي نعرفه، وهذا يختلف باختلاف قرب البلاد التي يخرج فيها هؤلاء الجماعات للدعوة، فإن كانت البلاد بلاد اشتهر فيها التوحيد؛ فجماعة التبليغ والإخوان المسلمين يكونون على شيء من الفهم للعقيدة الصحيحة.

أما ما يتعلق بالجمود على المذهب، فكل منهم راضٍ وقانع بما عليه من المذهب، دون أن يتمكن من معرفة ما كان عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى عبادته ومعاملاته، هذا ما يمكنني الآن أن أقوله بالنسبة لذاك السؤال.

ظهرت على الساحة جماعة تحاول الجمع بين السلفيين وجماعة الإخوان، وحجتهم أن السلفيين غير منظمين وغير واقعيين؛ فهل هذه الجماعة شرعية؟

سائل: شيخ! هناك على السَّاحة مما يُرَى، جماعة ظهرت جديدة تجمع بين الجماعة السلفية وجماعة الإخوان المسلمين؛ وذلك أنهم يرون أن الجماعة السلفية غير منظَّمين وغير واقعيين، فيأتون إلى الجماعة السلفية بالتنظيم أو بالواقعية - كما يزعمون- هل هذه الجماعة شرعية؟

الشيخ: هذا الجواب عليه يتفرع من معرفة ماذا يعنون بالتنظيم؛ لأنه كما قلنا - أكثر من مرة- أن تنظيم الدروس واللقاءات فهو أشبه ما يكون بالمدارس النظاميَّة، فهذا لا أحد يجادل في جواز ذلك؛ فإن فَتح المدارس لم يكن معهودًا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وإنما حدث ذلك فيما بعد، ولا شك أن

هذا نوع من التنظيم، ولا إنكار في ذلك. أما إذا كانوا يقصدون من التنظيم -كما هو واقع كثير من الجماعات- هو العمل السري والاستعداد للخروج على الحاكم المسلم؛ فهذا -طبعًا- لا يجوز أولاً.

وثانيًا: سيكون مصير الجماعة السلفية التي تحاول أن تجمع بين الدَّعوة للسلف، وبين أسلوب التنظيم عند بعض الخلف أنهم سوف لا يكونون لا سلفيين ولا إخوانيين -كما يُقال عن بعض الطيور أنه نسي مشيته-؛ لأن الدعوة لا تنجح أبدًا إلا إذا تفرَّغ لها، كشأن أي عمل علمي لابدَّ له من التخصص، فإذا ما خلط الإنسان بين نوع من العمل ونوع آخر لم يتقن لا هذا ولا هذا.

على أننا نقول -نحن -دائمًا وأبدًا-: أن قيام كل جماعة بواجب من الواجبات الكفائية هذا أمر لابد منه؛ لكن بشرط أن يكونوا تحت دائرة تجمعهم هي دائرة الإسلام على الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح.

فالتخصص في العمل هذا أمر لا يُنكَر؛ لكن الخلط بين هذا وبين هذا لا يجوز؛ فمثلاً المدير الإداري -مدير المدرسة- لا يمكن أن يكون معلمًا، لا يمكن أن يكون مدرسًا للحديث، للتفسير إلى آخره، عمله إداري؛ كذلك المحدث أو المفسر لا يمكن أن يكون مديرًا؛ لأن عمله تعليمي وهكذا، وما يقال في الأفراد يقال في الجماعات تمامًا.

فإذا أرادت جماعة من السلفيين أن يجمعوا بين تعليم الدعوة وبين التنظيم، خاصة إذا كان من النوع الذي لا يُشرَع؛ فقد خسروا ولم يربحوا شيئًا.

وضع الدعوة السلفية عموماً وفي الكويت ومصر والسعودية خصوصاً

السائل: بسم الله الرحمن الرحيم ما رأي فضيلتكم في أوضاع الدعوة السلفية عموماً، وفي الكويت و مصر و السعودية خصوصاً؟.

الشيخ: أنا أقول: إن الدعوة السلفية الآن -مع الأسف- في اضطراب، وأعزو السبب في ذلك إلى تسرع كثير من الشباب المسلم في ادعاء العلم، فهو يتجرأ على الإفتاء وعلى التحريم والتحليل قبل أن يعرف بعضهم -كما سمعنا كثيراً- لا يحسن أن يقرأ آية من القرآن، ولو أنها أمامه في المصحف الكريم، فضلاً عن أنه كثيراً ما يلحن في قراءة حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فيصدق فيه المثل المعروف في بعض البلاد: "إنه تزبب قبل أن يتحصرم" يعني الحصرم تعرفون ما أدري مستعملة

هذه الكلمة عندكم؟، أي: والحصرم يكون حامضاً جداً، فهو قبل أن يتحصرم جعل نفسه كالزبيب، أي: كالعنب الذي نضج وصُيِّرَ زبيباً، ولذلك فركوب كثير من هؤلاء الناس رءوسهم وتسرعهم في ادعاء العلم والكتابة، وهم بعد ما مشوا إلى منتصف طريق العلم، هو الذي جعل الآن الذين ينتمون للدعوة السلفية الآن -مع الأسف- شيعاً وأحزاباً.

ولذلك فالعلاج أيضا ليس له علاج إلا بأن يتقي هؤلاء المسلمون ربهم عز وجل، وأن يعرفوا أنه ليس لكل من بدأ في طلب العلم أن يتصدر في الإفتاء في التحريم والتحليل، وفي تصحيح الحديث وتضعيفه، إلا بعد عمر طويل، يتمرس في هذا العمر على معرفة كيف يكون الإفتاء، وكيف يكون الاستنباط من الكتاب ومن السنة.

وفي هذا الصدد لا بد من أن يتقيد هؤلاء الدعاة أو السلفيون بالقيد الثابت، الذي سبق أن ذكرته في أثناء الكلام عن العلم النافع والعمل الصالح، فقد قلنا: بإن العلم النافع يجب أن يكون على منهج السلف الصالح، فحينما يحيد كثير من الدعاة الإسلاميين اليوم عن التقيد بهذا القيد الثابت، الذي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله في شعره السابق حين قال:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة.

فعدم الالتفات إلى ما كان عليه السلف الصالح يعود بالناس بعد أن اتفقوا إلى الفُرقة التي تُبَاعِدُ بينهم، كما باعدت من قبل بين كثير من المسلمين، فجعلتهم شيعاً وأحزاباً: {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون:٥٣].

هذا رأيي في هذا الواقع، وعليهم إذا كانوا مخلصين -كما نرجو- أن يتمسكوا بالمبادئ العلمية الصحيحة، وألا يتجرأ من لم يكن قد وصل إلى مرتبة العلم وصولاً صحيحاً أن يتورع عن ذلك، وأن يكل العلم إلى عالميه.

ويعجبني في هذا الصدد بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث -وأنا أظن أنها عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله، وهو من كبار علماء السلف الصالح - قال: [لقد أدركت في هذا المسجد -ولعله يشير إلى مسجد المدينة المنورة - سبعين من الصحابة، كان أحدهم إذا سُئل عن مسألة أو استفتي عن فتوى، يتمنى أن يتولى ذلك غيره من علماء الصحابة الحاضرين].

والسبب في ذلك هو أنهم يخشون أن يقعوا في خطأ، فيُوقعون غيرهم في الخطأ، فيتمنى أحدهم ألا يتحمل هذه المسئولية ويتحملها غيره.

أما الآن فالظاهرة معاكسة تماماً مع الأسف الشديد، وذلك يعود إلى سبب واضح، وأنا أذكره دائماً وأبداً، وهو أن التفتح الذي نشعر به الآن للكتاب والسنة والدعوة السلفية هو أمر حادث، ولم يمض على هذا التفتح الذي يسمونه بالصحوة، لم يمض زمن طويل حتى يجني هؤلاء الناس ثمرة هذه الدعوة وهذه الصحوة وهذا التفتح في أنفسهم، أي: أن يتربوا على أساس الكتاب والسنة، ثم هم بالتالي يفيضون بهذه التربية الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة يفيضون بها على غيرهم ممن حولهم الأدنى فالأدنى، فالسبب أن هذه الدعوة لم يظهر أثرها؛ لأنها حديثة العهد بهذا العصر الذي نحن نعيش فيه؛ ولذلك نجد الظاهرة المعاكسة لما ذكرناه آنفاً، مما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أولئك الصحابة الذين كانوا يتورعون عن أن يُسألوا،

ويتمنون أن يُسأل غيرهم، وما كانوا يجيبون عن السؤال إلا لعلمهم بأنه لا يجوز لهم أن يكتموا العلم، لكن في قرارة قلوبهم كانوا يتمنون أن يتولى ذلك غيرهم.

أما الآن فتجد في كثير من المجتمعات السلفية -فضلاً عن غيرها- يُسأل أحد من يظن فيه أنه أكثر من الحاضرين علماً، وإذا بك تجد فلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسئول، وفلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسئول، ما الذي يدفع هؤلاء؟ هو حب الظهور، والأنانية، ولسان حاله يقول: أنا هنا، أي: أنا عندي علم، وما شاء الله عليه! هذا على ماذا يدل؟ يدل على أننا لم نترب التربية السلفية، نحن نشأنا على العلم السلفي، وكل بحسب اجتهاده وسعيه إلى هذا العلم، أما التربية فما حصلناها بعدُ كمجتمع إسلامي سلفي، ولذلك هذه الجماعات وهذه التكتلات وهذه الأحزاب، في كل حزب نجد مثل هذا التفرق وما سببه إلا عدم التربية الإسلامية الصحيحة.

أقول: علاج هذه الأمة ليعود إليها مجدها، ولتتحقق لها دولتها، فليس لذلك سبيلٌ إلا البدء بما ألخصه بكلمتين اثنتين: بالتصفية والتربية، خلافاً لجماعات كثيرة يسعون إلى إقامة الدولة المسلمة -بزعمهم- بوضع أيديهم على الحكم؛ سواءً كان ذلك بطريق سلمي كما يقولون: بالانتخابات، أو كان ذلك بطريق دموي، كانقلابات عسكرية وثورات دموية، ونحو ذلك، نقول: هذا ليس هو السبيل لإقامة دولة الإسلام على أرض الإسلام، وإنما السبيل هو سبيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، الذي دعا في مكة -كما تعلمون- ثلاث عشرة سنة، ثم أتم الدعوة في المدينة، وهناك بدأ بعد أن استصفى له ممن اتبعه وآمن به رجالاً لا تأخذهم في الله لومة لائم، فبدأ بوضع أسس الدولة المسلمة.

والتاريخ -كما يقولون- يعيد نفسه، فلا سبيل أبداً، وأنا على يقين مما أقول، والتجربة الواقعية منذ نحو قريب من قرن من الزمان تدل على أنه لا مجال إطلاقاً، لتحقيق نهضة إسلامية صحيحة، ومن ورائها إقامة الدولة المسلمة إلا بتحقيق هذين الهدفين: التصفية: وهو كناية عن العلم الصحيح، والتربية: وهو أن يكون الإنسان مربىً على هذا العلم الصحيح على الكتاب والسنة.

نحن الآن في صحوة علمية ولكننا لسنا في صحوة تربوية، ولذلك نجد كثيراً من الأفراد من بعض الدعاة يستفاد منه العلم، لكن لا يستفاد منه الخُلُق، لماذا؟ لأنه هو نشَّأ نفسه على العلم، ولكنه لم يكن في بيئة صالحة رُبِّيَ فيها منذ نعومة أظفاره؛ فلذلك فهو يحيا ويعيش وهو يحمل الأخلاق التي ورثها من ذاك المجتمع الذي عاش فيه وولد فيه، وهو مجتمع بلا شك ما هو مجتمعاً إسلامياً، لكنه استطاع بشخصه أو بدلالة بعض أهل العلم أن ينحو منحىً علمياً صحيحاً، لكن هذا العلم ما ظهر أثره في خلقه في سلوكه في أعماله، فهذه الظاهرة التي نحن الآن في صدد الكلام عنها سببها هو: أننا لم ننضج علمياً إلا أفراداً قليلين.

وثانياً: الأفراد أكثر من ذلك لم يربوا تربية إسلامية صحيحة، ولذلك فتجد كثيراً من المبتدئين في طلب العلم يَنْصِب نفسه رئيساً رئيس جماعة أو رئيس حزبٍ، وهنا تأتي حكمة قديمة لتعبر عن أثر هذا الظهور، وهي التي تقول: (حب الظهور يقطع الظهور).

فهذا أسبابه يعود إذن إلى عدم التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح.

هذه دعوتنا

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد :

فإن خيرالهُدى هُدى محمد صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم ، وشر الأمور محـدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار

وبعد أيضا:

فإنه ليس عندى ما أقدمه إليكم سوى ان أحمد الله تَبَارَك وتعَـالَيْ أن جمعنـا بإخوانا لنا يعيشون بأجسادهم بعيدين عنا ولكنهم بقلوبهم هم قريبون منا لأن دعوة الحق التى هدانا الله تَبَارَك وتعَالَيْ إليها وجمع كلمتنا حولها وهى دعوة إتباع الكتاب والسنة ، فهذه بعد أن هدانا الله عَزَّ وجَلَّ إلى الإسلام بعامة هى أعظم النعم أن هدانا الله تَبَارَك وتعَالَيْ إلى أن نفهم الإسلام على أساس القرآن والسنة ، هذا الأساس هو الضمان لكى لا ينحرف المسلمون يمينا ويسارا وأن يكونوا على هدى فى كل زمان وفى كل مكان مادام انهم تمسكوا بهدى الكتاب والسنة .

إثباتا لقول النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَاإن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ »

* لا أريد أن أطيل الكلام فى هذه القضية ، لأننى أعتقد أنكم لستم بحاجـة إلى مثل هذا الكلام ، ولكنى أريد أن أن أدير كلامى أو أدندن حول قضية قد تخفى على

كثير ممن يشتركون معنا فى هذه الدعوة – دعوة الحق– ألا وهى الكتاب والسـنة ، قد تخفى على كثير من الذين يشتركون معنا فى هذه الدعوة حقيقة جـاء الكتـاب والسنة يؤكدانها ويلفتان النظر إلى ضرورة التمسك بها ، ألا وهى : " ضرورة فهـم الكتاب والسنة على منهج سلفنا الصالح رَضى الله عنهم "، هذه الغنيمة وهـى أن يكون فهمنا لكتاب ربنا وسنة نبينا صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم على ما كـان عليـه لاسلف الصالح ، ذلك لأننا فى زمان قد صحا فيه كثير من الجماعات الإسلامية التى كانت من قبل فى ثُبات عميق وفى غفلة شديدة ، عن ضرورة الإعتماد فى المسـائل الخلافية على الكتاب والسنة .

لما تجلت لهم هذه الحقيقة وهذه القضية لم يسعهم أن يظلوا مصرين على مخالفتهم لنا بدعوتنا القائمة على الكتاب والسنة ، لكنهم لا يزالون بعيدين عنا فى منـهجنا الذى نلتزمه فى فهمنا لكتاب ربنا وسنة نبينا ، وذلك أن يكون الفهم لهذين ال على ما كان عليه السلف ذلك أن كل الجماعات الإسلامية الموجودة اليوم على وجـة الأرض لا يمكن أن يعلن عدم إعتماد دعوته على الكتاب والسنة ولكنهم مع هـذا الإعتماد يفسرون النصوص من الكتاب والسنة حسب ما تقتضيه تكتلاتهم وحزبياتهم ولا يرجعون فى ذلك إلى فهم النصوص على ما كان فهمها سلفنا الصالح .

* أكرر على مسامعكم ثم أؤيد ما اقول لكم ، لاينبغى أن تقتصردعوتنا علـى الكتاب والسنة فقط ، بل يجب أن نضم إلى ذلك ما أشار الله تَبَارَك وتعَالَىْ إليـه فى كتابه الكريم ، ثم تولى نبينا الكريم صلوات الله وَسَلّامه عَلَيْه بيان ذلـك فى سـنته الصحيحة ، إنطلاقا منه وتجاوبا مع قوله حين خاطبه بقوله : ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) مما بينه عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَّام من كلام رب الأنام قوله فى

القرآن : ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا))، الشاهد من هذه الآية قوله عَزَّ وجَلَّ فيها ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فإن هذه الآية تلفت النظر أن على المسلمين فى كل زمان وكل مكان ألا يخرجوا عن سبيل المؤمنين ، حيث قال رب العالمين ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) فما حكمه هذه الجملة المعطوفة على ما قبلها وهى :((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) ؟؟ كان من المفيد أن تكون الآية دون هذه الجملة ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) لو

كانت الآية هكذا بهذا الإختصار لكان معنى سليما مستقيما لا غبار عليه إطلاقا ، لكن الله عَزَّ وجَلَّ حينما عطف على قوله: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى)) فقال ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) أراد بذلك أن يلفت نظر المؤمنين الذين يحذرون من أن يشاققوا الرسول من بعد ما تبين له الهدى أيضا يجب عليهم أن يحذروا أن يخالفوا سبيل المؤمنين .

* وكيف يمكن مخالفة سبيل المؤمنين مع اتباع سنة سيد المرسلين ؟ الامر عند اهل العلم معروف جيدا بأن نصوص الكتاب والسنة يمكن– فى بعض الأحيان– أن تفسر تفسيرا ويقدم هذا التفسير للمؤمنين بالكتاب والسنة على ان هذا هو المعنى المراد منهما ، ويكون هذا التفسير خطأ لآنه خالف سنة المؤمنين وسبيل المؤمنين ، تأكيدا لهذا المعنى المتضمن فى هذه الجملة المعطوفة ألا وهى قوله تعَالىَ ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) نجد نبينا صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم قد ضم هذه الضميمة تفسيرا منه لهذه الآية الكريمة .

* أنتم مثلا قراتم او سمعتم حديث الفرق التى قال فيها رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحـــدة قالوا: من هي يا رسول الله؟- هنا الشاهد من هى يارسول الله هذه الفرقة الناجيـــة من بين ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة واحدة منها هى الناجية- قال: "ما أنـــا عليـــه وأصحابي" من هى ؟ قال عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلّام هى التى على ما أنا عليه أنا وأصحابى ، هنا تجدون ان النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم لم يقتصر على قوله على ما أنا عليه ، وإنما عطف على ذلك قوله وأصحابى ، مالسر فى ذلك ؟

هذا الحديث يعتبر تفسيرا للآية التى ذكرناها أنفا وكررناها على مسامعكم مرارا لترسخ فى أذهانكم أن المعنى المقصود من قوله عَزَّ وجَلَّ فيها ((وَيَتَّبِعْ غَيْـــرَ سَـــبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) ، فقد جاء النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم فى حديث الفرق وفى بيـــان الفرقة الناجية فوصفها بوصفين اثنين وليس بوصف واحد وهو أنها تكـــون علـــى ماكان عليه الرسول هذا هو الوصف الأول ، ولكنه جاء بوصف ثانى وأخير وهـــو قوله عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلّام : وأصحابى ، هذا الحديث بهذا اللفظ تفســـير للروايـــة الأخرى وهى الأشهر و الأقوى سندا، وهى التى تقول جوابا عن سؤال السائلين عن الفرقة الناجية ، قال عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلّام هى الجماعة ، فقوله هذا تفســـير للآيـــة السابقة ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) فسبيل المؤمنين هى الجماعة ، والجماعة هـــى سبيل المؤمنين .

* ومعنى هذا أنه يجب على علماء المسلمين - خاصة فى هذه الأزمة المتـــأخرة- ألا يعنوا فقط بدراسة السنة ومعرفة ماكان عليه الرسول صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم

وهذا أمر لابد منه ، لأن تفسير القرآن لا يستقيم ولا سبيل إليه ألا بطريق السنة التى هى بيان القرآن كما ذكرنا أنفا .

لا يكفى العالم أن يكفى على دراسة القرآن والسنة فى العصر الحاضر ، بل لابد أن يضم إلى ذلك دراسة ثالثة، وهى أن يعرف ماكان عليه أصحاب النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم من الهدى والنور ، لأنهم قد تلقوا البيان من النبى عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَاّم بالقرآن وبيان الرسول صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم فى السنة القولية- فى كثير من الأحيان- بفعله أو بتقريره ، هذه الأمور لا يمكن الوصول إليها إلا بمعرفة آثار السلف الصالح .

*ولذلك الحديث هذا ايضا يلتقى مع حديث أخر _ طالما سمعتموه أو قرأتموه فى كتب الحديث _ الا وهو حديث العرباض بن سارية رضى اللّه عَنه الذى قال : "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة "هنا الشاهد لم يقتصر عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَاّم على كلمته هذه فعليكم بسنتي، بل عطف عليها أيضا كما فعل فى حديث الفرق وسنة الخلفاء الراشدين المهدين

الشاهد فى هذا الحديث ان النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم جعل النجاة و الخلاص من الإختلاف الذى سيقع بعد الرسول عَلَيْهِ آلَسَلَاّم إنما هو التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعده .

ذلك لأن طريقة هؤلاء الخلفاء كطريقة عامة الصحابة الذين أطلق علـــيهم فى الحديث السابق لفظة الجماعة هم الذين فهموا من النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَـــلّم المعانى الصحيحة للآيات والآحاديث القولية فنقلوها إلى الأمة بيضاء نقيـــة ليلـــها كنهارها ، إذا لم يهتم العلماء بخاصة بهذا الجانب الثالث مما سبقت الأشارة اليـــه فى هذه النصوص ، صار الكتاب والسنة هوى متبعا ، ونحن نجد اليوم إختلافات كثيرة ، وكل هؤلاء المختلفين يدعون بأنهم على الكتاب والسنة ، مهما كانـــت تكـــتلاتهم وكانت تجمعاتهم ، يدندنون حول الكتاب والسنة ، لكنكم لا تجدون على وجـــة الأرض اليوم وعلى الساحة الإسلامية فى هذه الجماعات من ارتضت لنفسها منهجا لها فى فهم كتاب ربها وفهم سنة نبيها منهج السلف الصالح ، إلا جماعة واحدة على وجة الأرض لهم اسماء مختلفة والمسمى واحد ، ففى بعض البلاد يسمى هؤلاء إنتماءً إلى الجماعة المشار إليها ، وهم جماعة السلف ، فيقولون دعوتنا دعوة السلف الصالح ونحن ننتسب إليهم ونقول أننا سلفيون ، أو يقولون نحن من أهـــل الحـــديث ، أو يقولون نحن أنصار السنة ، وكلهم ....

* ولابد لى من التنبية معتذرا لإطالة الكلام فى هذه المسألة الهامة لأننى أتصور أن بيننا لقاءات كثيرة يمكن أن يصدق فيها ما يقال اليوم، لأننا سنتمكن هناك من وضع النقاط على الحروف كما يقول ، لكن لابد لى فى ختام هذه الكلمة من لفت النظر الى ان كثيرا من الجماعات الاسلامية الاخرى التى تنتسب إلى أسماء – إمـــا أسمـــاء لجماعة معينة من الخلف ، أو اسماء إلى حزب معين من الخلف ، أو إلى أشـــخاص معروفين أو نحو ذلك – أن هؤلاء كلهم يكادون يجمعون على إنكار استعمال كلمة السلف أو الإنتساب إليهم ، كأن يقال نحن أتباع السلف ، أو الفرد واحد منا يقول أنا سلفى إنهم ينكرون هذه النسبة ، وفى إعتقادى أنهم لم يتنبهوا لمعنى هذه النسبة ،

لما إستطاعوا أن يبادروا إلى إنكار هذه النسبة لأن معناها الإنتساب إلى السلف الصالح الذين شهد لهم رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم بالخيرية فى الحديث المتواتر الذى قال فيه رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم هؤلاء هم السلف وعلى رأسهم محمد المصطفى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم ، فمَن مِن المسلمين يستطيع إذا تنبه لمعنى هذه الكلمة السلف أو السلفى المنسوب للسلف الصالح .

مَن مِن المسلمين بعد هذا يستطيع أن يتبرأ من أن يكون تابعا للسلف وبالتالى من أن يكون بشخصه سلفيا ؟؟ إن من بادروا لإنكار هذه النسبة أولئك الذين لا يعرفون قدر ، وقيمة السلف ، والسبيل التى ذكرها الله ربنا فى الآية ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)).

لذلك نحن دعوتنا ليست محصورة بالكتاب والسنة – وهذا لا بد منه لكل مسلم – لكننا نضيف إلى ذلك صيانة لنا من أن ننحرف يمينا أو يسارا ، وان نكون فرقة من الفرق الأثنين والسبعين ، وكل هؤلاء لا يوجد فيهم لو ضربنا مثلا من أخطر الفرق الإسلامية الموجودة اليوم الحديثة على وجة الأرض كالطائفة القديانية مثلا والذين ينتسبون إلى الاحمدية تضليلا لجماهير المسلمين ، هؤلاء لو قلت لهم ما مذهبكم ؟ لقالوا الكتاب والسنة ، ولكنهم يتلاعبون ويفسرون الكتاب والسنة على خلاف ما كان عليه السلف الصالح. والآمثلة فى هذا المجال كثيرة وكثيرة جدا ، ولعل لبيان هذا مجال أخر ، وفى هذا القدر الكفاية والحمد لله رب العالمين .

إما سلفي أو خلفي

س: يقول بعض الاخوة لا يوجد فى المسلمين إلا سلفيا أو خلفيا، فإما أن تكون سلفيا وغير ذلك فأنت خلفى، لك يعنى مسلم عادى لا يجوز. فأفيدونا؟

الشيخ: وضح لان ها الكلمة هاى أخشى أن تعطى معنى ربما أكثر مما أنت تريده، تقصد يعنى هذا القائل ان من كان سلفيا فهو المسلم، ومن ليس سلفيا فهو كافر؟

السائل: ليس بمسلم خلفيا

الشيخ: معلش إذن اجب انت عن سؤالى، هل يعنى -وهذا الى خشيته فتحفظت-، هل يعنى ان من كان سلفيا فهو مسلم ومن ليس بسلفيا فهو كافر؟

السائل: الله أعلم

الشيخ: كيف الله أعلم أنت السائل وأنا من يجاوبك، شوف يا أخى، المسلم كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فى الحديث الصحيح – وارجو أن لا يصرفنا نحن السلفيين تحمسنا– نحن السلفيين – للدعوة الاسلامية الحق الى الوقوع فيما وقعت فيه الخوارج قديما وحديثا من القول " ان من كان سلفيا فهو مسلم ومن ليس كذلك فهو كافر "

**أرجو ألا نقع فى هذه المصيبة التى وقع فيها الخوارج قديما وحديثا– لأنها تنافى الشريعة التى قالت بلسان نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)) فكل من قال لا إله إلا الله فهو مسلم ولا يجوز تكفيره إلا بشىء صريح مما هو داخل فى باب إنكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة هذا أولا.

وثانيا: بعد تبليغه الحجة، وليس هكذا التكفير على عماها، فنحن نعلم اليوم وجود طوائف كثيرة جدا، وكلهم يشهدون معنا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون صلاتنا ويستقبلون قبلتنا، ويصومون صيامنا ويحجون بيت ربنا .... الخ.

ومع ذلك فهم يختلفون عنا فى قليل أو كثير ليس فقط من الأحكام التى تسمى بالأحكام الفرعية، بل وفى كثير من العقائد الفكرية، ومع ذلك لا يجوز لنا أن نكفرهم، وإنما أولا كخطوة أولى وإنما نكتفى بأن نقول أنهم فى ضلال مبين، لكن الضلال درجات.

ثانيا: من اقيمت الحجة عليه من طرف رجل عالم الكتاب والسنة، ثم اصر هـو بينه وبين ربه على المكابرة، وعلى جحد الحقيقة التى تبينت له، فهذا هو الكافر، لان الكافر يتضمن معناه لغة وشرعا يتضمن معنى: ستر الحق بعد ظهوره، ولهذا جاء فى القرآن آية ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)) فمن تبينت له حقيقة من حقائق الشريعة ثم كابر وأنكر فهذا هو الكافر، ونحن كأفراد لا نستطيع أن نحكـم بأن زيد من الناس هذا كافر، إلا إذا أعلن بلسانه صراحة، كأن يقول هـذا الـذى تقول حق لكن أنا لاأؤمن به، هذا يكون كافرا، نأخذ مثلا بعض المسائل الخلافيـة المعروفة قديما وحديثا، بعض الأشاعرة الذين ينكرون علو الله على خلقه – تعـرف لابد هذه المسألة– هؤلاء بلا شك هم ضالون فى قولهم هذا، وإنكارهم لعلو الله على خلقه، لكن لو اتيتهم بالآيات والأحاديث هم يسلمون، ولكن يقولون أنتم تفهمونها على وجه ونحن نفهمها على وجه، وهكذا قل على الذين ينكـرون رؤيـة الله فى الأخرة، والمعتزلة الذين ينكرون هذه الرؤية وينكرون أن كل شىء بقدر، كل هؤلاء لا ينكرون نصوصا مقطوع ثبوتها، ليس فقط عند غيرهم وإنما عندهم ليست مقطوع بثبوتها، فهؤلاء لم يكن من عقيدة السلف الصالح تكفيرهم، وانما كانوا يضـللونهم ويكفرون من تبين لهم عناده وإصراره على إنكار الحق.

** فإذا عرفنا هذه الحقيقة فنحن لا نستطيع أن نقول من كان سلفى فهو المسلم أما الخلفى فليس بمسلم، لا، لكننا نقول:

أولا: هؤلاء الخلف منهم من لايعرف إيش السلف وايش الخلف يعـنى ذهنـه خالى، والدعوة لم تبلغه كما بلغتنا نحن السلفيين، وأنا يبـدو لى فى بعـض الـبلاد الإسلامية حماس عاطفى غير علمى للدعوة السلفية، ولذلك فينبغى أن نكبح جمـاح

نفوسنا ولا نتوسع فى إطلاق كلمة الكفر على غيرنا، وإنما نحن فى قراره نفوسنا نحمد اللَّهُ عَز وجلأن هدانا لهذا الحق الذى إختلف فيه الناس، ثم يكون موقفنا بالنسبة للأخرين، موقف المشفقين كالطبيب العارف بمرض المريض، فهو يشفق عليه لمرضه، ويحاول أن ينقذه منه بكل وسيلة يستطيعها، مش نجعلها مسألة حرب وقتال، لأن هؤلاء مسلمون أخوان لنا وهم مرضى فعلينا أن نعينهم على مرضهم ونقدم لهم ما به يشفون من أمراضهم.

ت ِ جتملاِعُ ُم ّ تي عظى ِ لالة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} .

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلاَمُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وسَلَّم، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعْدُ:

فإنِّي مفتتحٌ كلمتي -هذه- بما أُثِرَ وصحَّ عن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- أنَّه قال: "نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام؛ فمهما نبتغي العزَّ بغيره؛ نُذلُّ أو نَذِلُّ".

وأنتم تعلمون أنَّ الإسلام الذي يعنِيهُ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في هذه الكلمة الطيبة إنَّما هو الإسلام الذي أنزله الله على قلبِ محمد عليه الصلاة والسلام.

هذا الإسلام الذي قال عنه ربُّنا -عزَّ وجلَّ- في القرآن: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

هذه حقيقة لا ريب ولا شك فيها عند أحدٍ من المسلمين؛ ولذلك فلا نقف عندها كثيرًا؛ وإنما أودُّ أنْ أُلفِت النَّظر إلى ما كُنَّا -ولا نزال- نُدندِنُ حوله دائمًا وأبدًا، وهذا واجبنا نحن الدُّعاة إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح أنَّ هذا الإسلام الذي لا يقبل الله -تبارك وتعالى- سواه من أيِّ إنسان، الذي ينبغي أن نعرفه جيدًا أنه ليس هذا هو الإسلام المعروف اليوم عند كثير من المسلمين فضلاً عن غيرهم؛ ذلك لأنَّ هذا الإسلام المنزَّل على قلب الرَّسول عليه الصَّلاة والسلام قد دخل فيه ما ليس منه عقيدةً وفقهًا وسلوكًا؛ ولذلك فنحن دائمًا نُدندِن حول التمسك بهذا الإسلام الصَّافي المصفَّى الذي جاء به عليه الصلاة والسلام وشَرَحهُ

للصحابة الكرام، ثمَّ نقله إلينا الخلف عن السلف بالأسانيد الصحيحة المعروفة عند أهل الحديث والسنة.

من أجل ذلك فنحن ننصح الشباب المسلم في كل زمان، وفي كل مكان، وبخاصة في هذا الزمن الذي كَثُرتْ فيه مختلِفُ الفتن من كل نوعٍ، من كل أسباب الاختلاف التي تحقق الفُرقَة التي نهى عنها ربنا -عزَّ وجلَّ- في غير ما آيةٍ، وبيَّن ذلك نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أحاديث كثيرة، تعرفون منها الشيء الطيب - إن شاء الله تبارك وتعالى-؛ ولكني أريد أن أُذكِّر بحديثٍ واحد؛ ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: ((تَرَكْتُكُم عَلى بيْضَاءَ نَقِيِّة، لَيلُهَا كَنَهَارِهَا -ليلها كنهارها- لا يَضِلُّ عَنْهَا إلاَّ هَالِكٌ)) وفي لفظٍ: ((إلاَّ زَائِغٌ)).

ولذلك فالعصمة حينما تحيط بالمسلمين الفتن؛ إنما هو المرجع إلى الله، إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، فأنتم تعلمون قول الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: ((تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَخْتَلِفُ أُمَّتِى عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلّهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَة؛ قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُول اللّه؟ قَالَ: هِيَ الْجَمَاعَة)).

الْجَمَاعَة؛ أي: جماعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الذين يتوجه إليهم أول ما يتوجه معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المعروف: ((لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ))، ((لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ)) أول من يُقصد بهذا الحديث؛ هي أمَّة أصحاب الرَّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فهي التي لم تجتمع على ضلالة، أمَّا من جاء بعدهم؛ ففيهم من انحرف عن الخط المستقيم الذي

خطَّه الرسول عليه السلام تصويرًا وتطبيقًا عمليًا كما هو مستفادٌ من حيث التَّصوير مِن الحديث الذي يرويه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود –رضي الله تعالى عنه– أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطَّ يومًا على الأرض خطًا مستقيمًا، ثم خطَّ حول هذا الخط المستقيم خطوطًا قصيرة؛ ثمَّ قرأ عليه الصَّلاة والسَّلام على ذلك الخط المستقيم {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} وقال عليه الصلاة والسلام –مشيرًا إلى الخط المستقيم–: ((هَذَا صِرَاطُ اللهِ))، ومشيرًا إلى الخطوط التي من حوله القصيرة، قال عليه السلام: ((وَهَذِهِ طُرُق، وَعَلَى رَأسِ كُلِّ طَرِيقٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا)).

هذه الطُّرق كانت –ولا تزال– وفي ازياد مستمر، وخاصَّة في آخر الزمان؛ ولذلك فما هو المنجاة من هذه الطرق التي هي سبب كل فتنة تحيط بالمسلمين في كل زمان وفي كل مكان؟

هو اللجْئُ، وهو الرُّجوع إلى ما تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيضاء نقيَّة لا يزيغ عنها إلا هالك.

لكن –هاهنا– من هم الذين؛ بل من هو الذي يعرِفُ هذه الطريقة البيضاء التي تركها الرَّسول عليه الصلاة والسلام لنا نقية، وأوعد من حاد عنها بأنه زائغٌ هالك؟

لا شك أنَّ الذي أو الذين يعرفون هذا المنهج النَّقي الأبيض إنَّما هي الطائفة المنصورة التي تحدَّث النَّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنها في حديثٍ متواترٍ ثابتٍ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من طرق قطعيَّة الثُّبوت؛ ألا وهي قوله عليه

الصلاة والسلام: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)).

((لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُم))، هل هم الكثرة الكاثرة من المسلمين أم هي الطائفة القليلة المنصورة؟

الحديث صريحٌ في ذلك؛ ولذلك فلا يكن همُّ أحدكم أن يكون مع الأكثـــرين؛ لأنَّ الله رب العالمين يذمُّ الأكثرين في غالب آيات القرآن الكريم؛ بمثل قوله: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}.

ولذلك فينبغي أن يكون همُّ أحدنا أن يكون من عباده القليل، مِـــن الطَّائفـــة المنصورة، ما صفة هذه الطائفة المنصورة؟

هنا بيت القصيد في هذه الكلمة.

هي ما جاء ذكره في أحاديث الغربة، أحاديث الغربة التي جاء فيها ثلاثة روايات صحيحة.

الرواية الأولى:

في صحيح مسلمٍ، من رواية سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنه- قـــال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَـــيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)) هذا حديث مسلم.

الحديث الثاني:

في مسند الإمام أحمد -رحمه الله-. ذكر هذا الحديث، وزاد زيادة طيبة، وهي: أن سائلاً سأل؛ فقال: (مَنْ هُمُ الغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ!؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلام: ((هُمْ نَاسٌ قَلِيلُونَ صَالِحُونَ، بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرِينَ؛ مِنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُم)).

انظرو هنا يمدح القلة لا يمدح الكثرة؛ بل هو يذمها؛ قال: ((هُمْ نَاسٌ قَلِيلُونَ صَالِحُونَ، بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرِينَ؛ مِنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُم)).

فإذن من صفة هؤلاء الغرباء، الذين بشَّرَّهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطوبى، وهي شجرة في الجنَّة، يمشي الراكب الْمُسرِع تحتها مائة عامٍ لا يقطعها. هؤلاء هم الغرباء الذين بشَّرَّهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذه البِشَارة العُظمى؛ فقال: ((هُمْ نَاسٌ قَلِيلُونَ صَالِحُونَ، بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرِينَ، مِنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُم)) وهذه الصفة ينبغي أن تكون صفة عامة في الغرباء.

أما الصفة التالية؛ وهي في الحديث الثالث:

فهي صفةٌ من خاصَّة الغرباء، هي صفةٌ من خاصة الغرباء؛ أي: هي صفة في علماء الغرباء؛ ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجاب مرةً عن ذاك السؤال: "من هم الغرباء" فقال عليه الصلاة والسلام في المرة الأخرى: ((هُمُ الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي مِنْ بَعْدِي)).

فإذن كلمة الغرباء تعني: "المتمسكين بالكتاب والسنة، وعلى منهج السلف"؛ أي: هم الفرقة النَّاجية.

ولكن ليس من الضَّروري أن يكون كل فردٌ ممن يكون حقًّا من الفرقة الناجية، أن يكون عالِمًا، هذا أمر ضروري جدًا، ثمَّ ليس من الضروري أن يكون كل من كان من الفرقة الناجية وعالِمًا أيضًا، أن يكون عالِمًا بالكتاب والسنة، فقد يكون عالِمًا من العلماء الذين يتبعون مذهبًا من مذاهب الأئمة المهتدين المتَّبعين؛ ولكنه لا يستطيع أن يُميِّز الصَّواب من الخطأ مما اختلف فيه الناس، لا يستطيع أن يُميِّز السنة من البدعة حينما اختلطت السنن بالبدع، وما أكثر هذا الاختلاط في هذا الزمان؛ ولذلك فقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جوابه الآخر عن الغرباء: ((هُمُ الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي مِنْ بَعْدِي))؛ فهذا بلا شك وصفٌ في خاصَّة الغرباء، وخاصَّة الفرقة النَّاجية.

لذلك فمن عاش ومن أردك منكم في هذا الزمن المضطرب بالمختلِفَةِ مِن الفتن فعليه أولاً وقبل كل شيء: أن يكون مِن الفرقة النَّاجية، وهذا ليس من الضَّروري أن يكون عالِمًا؛ لأنَّه ليس من الفرض العيني على كل مسلم أن يكون عالِمًا؛ ولكن من الفرض العيني على كل مسلمٍ أن يعرف ما يجب عليه فيما يتعلَّق بعقيدته، وفيما يتعلَّقُ بعبادته، وفيما يتعلَّق بسلوكه العيني، الواجب العيني عليه.

فإذا لم يكن عالِمًا كما شأن عامة الناس، يأتي هنا قول الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن الكريم: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} فهنا نحن نوجه الكلام إلى عامة المسلمين، الذين قد يتساءلون اليوم عن الخلافات التي يسمعونها من هنا وهناك وفي مسائل كثيرة وكثيرة جدًا، فعليهم أن يطبقوا في أنفسهم هذه الآية الكريمة: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

لا شكَّ أنَّ هذه الآية يجب قبل أن يطبقها عامة النَّاس هؤلاء أن يعرفوا بداهةً من هم أهل الذكر؛ فأهل الذِّكر هم أهل قرآن، وأهل القرآن ليسوا هم الذين يقرؤون القرآن، ويُحسنون تقويمه وقراءاته جيدًا، ثمَّ لا يكادون يفقهون منه شيئًا، ولو قليلاً.

هؤلاء ليسوا هم أهل القرآن، أهل القرآن الذين أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديثٍ خاص؛ ألا وهو قوله: ((أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَتُهُ))، ((أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَتُهُ)).

هم الذين يفهمون القرآن ويفسِّرونه على ما كان عليه زمن نزوله على قلب النَّبي عليه الصلاة والسلام؛ أي: على ما كان عليه سلفنا الصالح؛ هؤلاء هم أهل الذكر الذين يجب على عامة المسلمين أن يسألوهم؛ ومن المؤسف جدًا أن يكون هؤلاء هم القليلون الذين أشار إليهم الرَّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جوابه الأول والثاني بخاصة.

جوابه الأول؛ قال: ((هُمْ نَاسٌ قَلِيلُونَ صَالِحُونَ، بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرِينَ، مِنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُم)).

والجواب الثاني:

((هُمُ الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي مِنْ بَعْدِي))؛ فهؤلاء هم الذين يجب على عامة المسلمين أن يلجؤوا إليهم حينما تشتد عليهم الفتن، وتتكاثر وتتناوع؛ فيحارون ولا يدرون إلى أي قولٍ يذهبون؛ فاسألوا -إذن- أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

وأنا أعتقد أن مشكلة الفتن هي: تعود إلى الجهل بالإسلام، والإسلام الصحيح.

فإذن علينا جميعًا -كلٌّ بحسبه- أن يسعي حثيثًا إلى معرفة ما يجب عليه معرفته من الإسلام -وبخاصةً- حينما تحيط بهم الفتن في كل زمان ومكان، فأعيد التوصية إلى عامة المسلمين إلى أن لا يعيشوا هملاً؛ وإنما عليهم أن يتفقَّهوا في دينهم كلٌّ بحسبه -كما ذكرتُ آنفًا-.

وأختم هذه الكلمة، بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المتَّفق على صحته: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُ فِي الْدِّينِ)).

هل صحيح أن السلفيين مشهورون بالشدة في الدعوة.؟

السائل: السلفيون بشتى أصنافهم مشهور عنهم - وقد يكون صحيح - الشدة وقلة الرفق في نشر الدعوة، فإن كنت ترى هذا صحيحا وهذا ما أراه، فما هو تعليقك على مثل ذلك؟

الشيخ: أولا في كلامك ملاحظة، وهي قولك:- وقد يكون صحيحاً -، كذلك؟

السائل: إن كنت تراه صحيحاً

الشيخ: أولا قلت:- وقد يكون صحيحاً - أي ما يقال عنهم من الشدة قد يكون صحيحاً

أنت منهم؟

السائل: نعم معذرةً قُلت هذا، نعم.

الشيخ: فهنا الملاحظة، نحن نلفت نظر اخواننا، حينما يتكلمون بمثل هذا الكلام، نقول هذا كلام السياسيين، قد لا يعنونه، ولكن

إنما الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فحينما يقول المتكلم في أمر ما: قد يكون كذا، فيقابله في: قد لا يكون كـــذا. أكذالك؟

السائل: نعم

الشيخ: الآن، هنا يرد على سؤالك أمران اثنان وبعد ذلك نتابع الجواب.

هل أنت متأكد من هذا الذي يُقال أن السلفيين لا لين عندهم وإنما الشدة هي نبراسهم، وهي منهاجهم، هل أنت متأكد من هذا؟ وأنت فتحت لي بـــاب هـــذا السؤال لأنك قلت – وقد يكون صحيحاً –

السائل: أنا قلت معذرة من قولي

الشيخ: إذن نسمع الكلام الصحيح، ما هو؟

السائل: أعيده؟

الشيخ: لا مش تعيده، لأنه خطأ، وإلا من ماذا تعتذر؟ تعيد رأيك على الوجـــه الصحيح، بدون قد قدة. واضح؟

السائل: نعم

الشيخ: طيب، تفضل.

السائل: [هنا كرر السائل كلامه ورد الشيخ السابق] ... السلفيين مشهور عنهم – فيما أراه أنا – الشدة وقلة الرفق في الدعوة، هذا رأيي أنا.

الشيخ: أنت منهم؟

السائل: أرجو ذلك.

الشيخ: ترجو ذلك، أنت منهم يعني أنت سلفي.

السائل: نعم.

الشيخ: طيّب أنت من هؤلاء السلفيين المتشددين؟

السائل: لا أُزكي نفسي .. أقصد سمة بارزة

الشيخ: القضية الآن ليست قضية تزكية، قضية بيان واقع، وقضية كما قلنا أنت الآن تثير السؤال هذا من أجل التناصح، فأنا لّما أسألك أنت من هؤلاء المتشددين؟، ما يرد هنا موضوع أنا لا أزكي نفسي؛ لأنك تريد أن تبيّن الواقع. بمعنى لو سألتني هذا السؤال أقول لك: أنا فيما أظن لست متشددا، لكن هذا لا يعني أني أزكي نفسي لأني أخبر عن واقعي ففكر في السؤال.

السائل: نعم جوابي يا شيخ مثل جوابك.

الشيخ: إذن لا يصح أن نطلق أن السلفيين متشددون، والصواب أن نقول: بعضهم متشددون واضح إلى هنا.

السائل: نعم.

الشيخ: طيب، فإذن نقول أن بعض السلفيين عندهم أسلوب في الشدة، لكن تُرى هل هذه الصفة صفة اختص بها

السلفيون؟

السائل: لا.

الشيخ: فإذن ما الفائدة وما المغزى من مثل هذا السؤال؟! هذا أولا.

وثانيا هل اللين الذي قلنا هو الواجب هل هو واجب دائما وأبدا؟

السائل: أبدا لا.

الشيخ: فإذن لا يصح لك ولا لغيرك أن تصف أولا نخرج بالنتيجة التالية:

لا يجوز لك ولا لغيرك أن تصف طائفة من الناس بصفة تعممها على كلهم جميعا.

وثانيا: لا يجوز لك أن تطلق هذه الصفة على فرد من أفراد المسلمين سواء كان سلفيا أو خلفيا في حدود تعبيرنا إلا في جزئية معيّنة مادام اتفقنا أن اللين ليس هو المشروع دائما وأبدا. فنحن نجد الرسول عليه السلام قد استعمل الشدة التي لو فعلها سلفيّ اليوم لكان الناس ينكرون عليه أشد الإنكار.

مثلا: لعلك تعرف قصة أبي السنابل، تذكر هذه القصة؟

السائل: لا لا.

الشيخ: امرأة مات زوجها وهي حامل فوضعت فكان بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي عدتها بوضعها لولدها فيقول الحديث وهو في صحيح البخاري: أنها بعد أن وضعت تشوّفت للخطاب وتجمّلت وتكحّلت فرآها أبو السنابل وكان خطبها لنفسه فأبت عليه فقال لها: لا يحل لكِ إلا بعد أن تنقضي عدة الوفاة - كقاعدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام - وهي فيما يبدو أنها امرأة تهتم بدينها فما كان منها إلا أنها تجلببت وسارعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ما قال لها أبو السنابل فقال عليه السلام:" كذب أبو السنابل ".

هذه شدة أم لين؟

السائل: نعم شدة.

الشيخ: ممن؟ من أبو اللين {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}.

إذن ليس مبدأ اللين بقاعدة مطردة كما اتفقنا آنفا وإنما ينبغي على المسلم أن يضع اللين في محله والشدة في محلها.

كذلك مثلا: كما جاء في مسند الإمام أحمد لمّا خطب عليه الصلاة والسلام خطبة قام رجل من الصحابة وقال له: ما شاء الله وشئت يا رسول الله قال:" أجعلتني لله ندا؟! قل ما شاء الله وحده ".

شدة أم لين؟

السائل: أسلوب قول النبي صلى الله عليه وسلم.

الشيخ: يعني هذه أنا أُسمّيها حيدة، لأنك ما أجبتني كما أجبتني من قبل، لّما قلتُ لك أبو السنابل قال في حقه:" كذب أبو السنابل " شدة أم لين؟ هذه شدة.

السائل: هذه شدة، نعم.

الشيخ: وهذه الثانية؟

السائل: فقط بيّنَ له قال:" أجعلتني لله ندا ".

الشيخ: هذه حيدة – بارك الله فيك – أنا ما أسألك بيّنَ أم لم يُبيّن، أنا أسألك شدة أم لين؟

لماذا الآن اختلف منهجك في الجواب؟ من قبل ما قلتَ بيّن له قال له:" كذب أبو السنابل " هو بيّن لكن هذا البيان كان بأسلوب هيّن ليّن كما اتفقنا أنه القاعدة أم كان فيه شدة؟ قلتَ بكل صراحة كان فيه شدة، والآن ما عدى عمّا بدى في السؤال الثاني؟

السائل: السؤال الثاني لم يَقُل له كاذبا قال:" أجعلتني لله ندا ".

الشيخ: الله أكبر هذا أبلغ في الإنكار – بارك الله فيك –.

قال أحد الحضور: يا شيخنا قال:" بئس الخطيب أنت " في رواية مسلم.

الشيخ: نعم في قضية أخرى، تذكر هذا الحديث؟

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما فقد غوى قال: " بئس الخطيب أنت " شدة أم لين؟

السائل: شدة نعم.

الشيخ: المهم - بارك الله فيك - في هناك أسلوب لين وفي هناك أسلوب شدة.

الآن بعد أن اتفقنا أنه ليس هناك قاعدة مطردة، مطردة على طول لين لين لين على طول، شدة شدة على طول

السائل: نعم.

الشيخ: إذن تارة هكذا، وتارة هكذا.

الآن حينما يُتهم السلفيون بعامة إنهم متشددون أَلا تَرى أن السلفيين بالنسبة لبقيّة الطوائف والجماعات والأحزاب هم يهتمّون بمعرفة الأحكام الشرعية وبدعوة الناس إليها أكثر من الآخرين؟

السائل: لا شك.

الشيخ: لا شك - بارك الله فيك - إذن بسبب هذا الاهتمام الذي فاق اهتمام الآخرين من هذه الحيثية، الآخرون يعتبرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان مقرونا باللين هذا شدة بل بعضهم يقول هذا ليس زمانه اليوم بل بعضهم غلا وطغى وقال البحث في التوحيد يفرق الصفوف اليوم. فإذن - بارك الله فيك - الذي أريد أن أصل معك هو أن القضية نسبيّة يعني إنسان ليس متحمس للدعوة

وخاصة للدخول في الفروع التي يسمّونها بالقشور أو أمور ثانوية فهو يعتبر البحث ولو كان مقرونا بالأسلوب الحسن يعتبره شدة في غير محلها.

لا ينبغي وأنت سلفي مثلنا أن تشيع بين الناس ولو هؤلاء الناس القليلين الآن، وتذكر أن السلفيين متشددون لأننا اتفقنا بعضهم متشدد وهذا لا يخلو حتى الصحابة فيهم اللين وفيهم المتشدد.

ولعلك تعرف قصة الأعرابي الذي همّ بأن يبول في المسجد فماذا همّ به الصحابة؟ همّوا بضربه هذا لين أم شدة؟

السائل: شدة.

الشيخ: شدة، لكن ماذا قال لهم الرسول؟:" دعوه ".

فإذن قد لا يستطيع أن ينجو من الشدة إلا القليل من الناس، لكن الحق هو أن الأصل في الدعوة: أن تكون على الحكمة والموعظة الحسنة، ومن الحكمة أن تضع اللين في محله، والشدة في محلها. فأن نصف إذن خير الطوائف الإسلامية التي امتازت على كل الطوائف بحرصها على اتباع الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح بالشدة هكذا على الإطلاق ما أظن هذا من الإنصاف في شيء بل ومن الشرع في شيء أما أن يقال فيهم فمن الذي يستطيع ينكر، فما دام الصحابة فيهم من كان متشددا في غير محل الشدة فأولى وأولى في الخلف من أمثالنا – خلف بالمعنى اللغوي – أن يوجد فينا متشدد. ثم الآن نتكلم عن شخص بعينه هب إنه هيّن ليّن هل ينجو عن استعمال الشدة في غير محلها؟

السائل: لا أبدا.

الشيخ: فإذن – بارك الله فيك – القضية مفروغ منها، وإن الأمر كذلك فما علينا غير أن نتناصح إذا رأينا إنسانا وعظ ونصح وذكّر بالشدة في غير محلها ذكّرناه فقد يكون له وجهة نظر فإن تذكر فجزاه الله خيرا، وإن كان له وجهة نظر سمعناها منه وينتهي الأمر.

السائل: كثير من السلفيين يا شيخ يستخدمون الشدة ولا يستخدمون اللين، يستخدمون الشدة في غير موضعها ولا يستخدمون الرفق في موضعه، وليسوا قليل – نحن نقول كل الطوائف تفعل هذا– لكن ليس قليل، وأنا في سؤالي لا أقيس السلفيين على غيرهم من الطوائف الأخرى لا يهمني أمر الطوائف الأخرى، يهمني أمر السلفيين. كثير من السلفيين وليسوا قليل يصدون عن المنهج السلفي بأسلوب دعوتهم للناس وليسوا قليل هؤلاء، أنا قصدتُ من السؤال الذي يسجله الأخ محمد أن توجه نصيحة إلى من ابتلوا بالشدة وبضيق الصدر هذا هو المقصد من السؤال.

الشيخ: بارك الله فيك توجيه النصيحة ما يحتاج من واحد مثلي أن يوجه نصيحة والسلفيين وغير السلفيين يعلمون الآية التي ذكرناها آنفا: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} ويقرؤون أكثر من غيرهم حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حينما جاء ذلك اليهودي مُسلّما على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، لاوياً لسانه قائلا: السام عليكم، فسمعها السيدة عائشة هذا السلام الملوي فانتفضت وراء الحجاب حتى تكاد تنفلق فلقتين كما جاء في الحديث غضبا فكان جوابها: وعليكم السام واللعنة والغضب إخوة القردة والخنازير، أما الرسول فما زاد على قوله له:" وعليك " ولما خرج اليهودي

من عند الرسول عليه السلام أنكر عليه الصلاة والسلام عليها وقال لها:" يا عائشة ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه " قالت: يا رســـول الله ألم تسمع ما قال، قال لها:" ألم تسمعي ما قلتُ ".

فإذن السيدة عائشة التي رُبّيت منذ نعومة أظفارها في بيت النبوة والرسالة مـــا وسعها إلا أن تستعمل الشدة مكان اللين، فماذا نقول في غيرها من السلفيين – كما تقول – وهم لم يُربّوا في بيت النبوة والرسالة بل أنا أقول الآن كلمة ربمـــا طرقـــت سمعك يوما ما من بعض الأشرطة المسجلة من لساني أو لا، أنه آفة العالم الإسلامي اليوم مقابل ما يقال بالصحوة الإسلامية هو أن هذه الصـــحوة لم تقتـــرن بالتربيـــة الإسلامية ما في تربية إسلامية اليوم. ولذلك فأنا أعتقد أن أثر هذه الصحوة العلمية سيمضي زمن طويل حتى تظهر آثارها التربوية في الجيل الناشـــيء الآن في حـــدود الصحوة الإسلامية، إنما هي تصرفات أفراد لكن هؤلاء الأفراد يعيشون تحت رحمـــة الله عز وجل فمنهم القريب، ومنهم البعيد، ولذلك فمن الناحية الفكرية والعلميـــة سوف لا تجد من يخاصمك ويخالفك في أن الأصل في الـــدعوة أن تكـــون بـــاللين والموعظة الحسنة لكن المهم التطبيق، والتطبيق هذا يحتاج إلى مرشد، إلى مربي يـــربي تحته عشرات من طلاب العلم وهؤلاء يخرجون من يد هذا المربي مـــربين لغيرهـــم وهكذا تنتشر التربية الإسلامية رويدا رويدا بتربية هؤلاء المرشدين لمن حولهم مـــن التلامذة. وبلا شك الأمر كما قال تعالى: {وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاهـــا إلا ذو حظ عظيم}. ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الأمة الوسط لا إفـــراط ولا تفريط.

السائل: جزاك الله خيرا يا شيخ.

أحد الحضور: يا شيخ أحيانا حينما يلاقي السّني ممن يقابله من أهل البدع عتوا واستكبارا يعني كما الله عز وجل أمر موسى باللين مع فرعون ومع ذلك قال لـــه: {وإني لأظنك يا فرعون مثبورا} يعني يا شيخ نحن في الكلية كـــانوا والله دكـــاترة يستهزؤوا بنا حينما تقول لهم قال الرسول .. يعني فإذا خرج الإنسان عـــن طـــوره واستعمل معهم الشدة، الشدة يعني لا يقال هنا شدة، ويعجبني المثل سمعتـــه منـــك شيخنا: قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني.

الشيخ: صحيح.

أحد الحضور: وكذلك شيخنا، مرة كنا ناقشنا بعض أفراد من حزب التحريـــر وكما لا يخفى عليكم هدفهم هو مسألة الخلافة، ونحن الحمد لله هـــدفنا هـــي أولا العقيدة والتوحيد، فلما بدأنا معهم من الأساس في البحث العلمي كما تعلمنا منكم، فبدأنا في مسألة الأسماء والصفات، أحدهم من كبارهم يقول: إحنى نرتبط طول الليل بأصبعه ورجله؟!!

الشيخ: الله أكبر.

أحد الحضور: ماذا نقول لهذا؟

الشيخ: الله أكبر.

أحد الحضور: يعني يستهزئ بصفات الله عزّ وجلّ، ماذا نقول لهذا؟

الشيخ: على كل حال نسأل الله أن يؤتينا الحكمة وهي أن نضع كل شـــيء في محله.

أحد الحضور: يا شيخ في أحكام الجنائز قول ابن مسعود لما قال رجل: استغفروا لأخيكم. قال: لا غفر الله له.

الشيخ: مع هذه أمثلة كثيرة جدا، يذكرنا الأخ أبو عبد الله بأثر، أن رجلا من الصحابة لعله عبد الله بن مسعود أو عبد الله بن عمر.

أحد الحضور: عمر نفسه.

الشيخ: عمر نفسه؟

أحد الحضور: عمر نفسه لّما قال رجل: استغفروا لأخيكم. قال: لا غفر الله له.

الشيخ: ما رأيك بهذا؟

لا شك أنك أنت أول واحد لو رأيتي أنا أقول هذه الكلمة، تقول الشيخ متشدد، لكن هنا يقوم في نفس المُنكِرِ الغَيرة على الشريعة فتحمله أن يقسوا في العبارة، الآخر الذي يتفرج ليس في موضع هذه الغَيرة التي ثارت في نفس هذا الإنسان فيخرج منه هذا الكلام، وهنا يقولون عندنا في سوريا:" شو هذه الشدة يا رسول الله "، هذه لهجة سوريا خطأ، لكن يخاطبوا الرسول يعني كأن هذه الشدة طالعة من الرسول وهم يعنون هذا الإنسان.

فسبحان الله يعني المسألة ينبغي أن تراعى جوانبها من كل النواحي حتى الإنسان يكون حُكمه عدلا. ثم أيضا مما يبدو لي الآن من أسباب إشاعة هذه التهمة إذا صح أنها تهمة عن السلفيين، تعرف أنت أن من كثر كلامه كثر خطؤه، فالذين يتكلمون في المسائل الشرعية هم السلفيون، ولذلك فلا بد أن يخطئوا لكثرة ما يتكلمون

فيتجلى خطؤهم، ومن هذا الخطأ الشدة عند الآخرين الذين هـــم لا يجولـــون ولا يخوضون في هذه القضايا بينما لو نُظِرت هذه الشدة في عموم ما يصدر منهم مـــن نصح على العدل وعلى الإنصاف واللين لوجدنا من مثل بعض الأمثلة التي ذكرناها عن بعض السلف وأمام الرسول عليه السلام فيها شدة، ولكن هذه الشدة لا تسوغ لنا أن ننسب هؤلاء الصحابة الذين وقعوا في هذه الشدة في جزئية معيّنة أنهم كـــانوا متشددين، وإنما قد يقع كما قلنا أنا وأنت وغيرك في شيء من الشدة.

بعض الدعاة الذين يتجنبون الكلام عن المنهج السلفي

سائل: شيخنا فيه سؤال، فيه بعض الدعاة الذين يتجنبون الكلام عن المنهج السلفي ويدندنون بكلمة أخرى وهى كلمة أهل السنة والجماعة. فما رأيكم بهذه الكلمة؟

الشيخ: تكلمنا فى هذا أكثر من مرة، واليوم صباحا قلنا هذه الكلمة لها دلالاتان، دلالة بحق ودلالة بباطل، وهم بقصدون الباطل ولا يقصدون الحق ولو أنهم جمعوا بين القصدين، قصد الحق وقصد الباطل لكان أمرهم أهون قليلا، إنهم بقصدون بـ أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالعقيدة الماتريدية و الأشاعرة، ويخرجون عن أهل السنة والجماعة أهل الحديث وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى السلف الصالح، وأخرون من المحدثين اليوم يوسعون معنى هذه الجملة فيدخلون كل المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، ونحن نرى عدم إستعمال هذه الكلمة لأنها ككلمات بعض السياسين التى يمكن لأنها يمكن جلبها يمينا ويسارا، و إذا كنا – وذلك من فضل الله علينا– نرى أن الله أنعم علينا بأن نفهم إسلامنا وكتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة نبينا صَلّى اللّه عَلَيْهِ وأله وَسَلّم على منهج سلفنا الصالح، فينبغى أن ننتسب الى هؤلاء السلف، ليس بعبارة يدخل فيها الخلف الذين ما خجلوا ولا أستحوا أن يعلنوها صراحة فيقولوا " مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم وأعلم " وربما زادوا لفظة أخرى، أحكم وأعلم فيه اظن لفظة ثالثة

الشيخ ناصر: أقول شيخنا ماعدلوا ولو فى الظلم حتى فى الظلم هنـــا عبـــارتين وهناك عبارة

الشيخ: فالشاهد: كلمة أهل السنة والجماعة يدخل فيها هؤلاء، أما سلفى فلا يدخل هؤلاء، بل هم يتبرؤن كما قلت من هذه النسبة، فكما قيل:

فحسبكم وهذا التفاوت بيننا ***وكل إناء بما فيه ينضح

أنا يأبا بدر إن أنسى - كما يقال - فلا أنسى، لما كنت فى الجامعة إجتمعنا فى دار أحد إخواننا، وهو والد محمد الطفى هذا، كان هو معيدا فى الجامعة الإسلامية، فإتفقنا أن نسهر عنده ليلة من الليالى، وكانت الغرفة كما تعلمون هناك مســـاكن الجماعة، غرف رحبة واسعة، فغرفة كهذه وسيعة جدا إمتلأت كل أطرافها بإخواننا السلفين، لما دخل علينا أحد الخطباء المشهورين ولا أعتقد أن هذا من الغيبة فى شىء إذا ما سميته لكم، لأننى اؤمن بقول من قال من أهل العلم:

القدح ليس بغيبة فى ستة *** متظلما ومعرفا ومحذر

ومجاهرا فسقاومستفتى ومن ***طلب الإعانة فى إزالة منكر

فهذا الذى انا أسميه يدخل فى التعريف، وهذا يترتب من ورائه أخـــذ العـــبرة، وكيف يسوغلنا أن ندخله فى زمرة أهل السنة والجماعة وأسمعوا ما جرى بينى وبينه من نقاش، دخل الرجل وسبحان الله وأنا لما دخلت المجلس كان دورى أن جلست أخر واحد عند عتبة الباب، كما هو صاحب الدار الأن هنا، فدخل الرجل المشاراليه وهو محمد الصواف، تعرفونه؟

أنا أعرفه منذ قديم كان رئيس الأخوان المسلمين فى العراق، وأنه إخوانجى مر، ما أدرى أتعتبر هذه غيبة؟ اعتبرها، لكنى أنا مطمئن أن هذا من المستثنيات الست، دخل الرجل فبدأ يصافح عن يمينه، دار الدورة كلها، وأنا أتفرس فى وجهه، ما أحد مـــن الإخوان يقوم، خلافا لما تفعلون أنتم، وأنا تعبت من أجلكم حينما يدخل علـــيكم بعض إخواننا فأراكم تقومون، فهو ما أحد قام له فأرى ملامح وجهه تتغير، فلمـــا وصل ومد يده إلى مصافحا قلت له: أنت يا أستاذ أنت تعلم فى الشـــام يقولـــون " عزيز بدون قيام " هو سمع هذه الكلمة فأنفجر، هو خطيب لابد سمعته؟

الشيخ ناصر: سمعته نعم

الشيخ: أه، قال هذه مسائل ثانوية هذه قشور، ولا ينبغى أن نبحث فى مثل هذه القضايا، لازم نتفق على محاربة الشيوعية والبعثية والملاحدة والخ، ودار النقاش التالى بيننا، كان من كلامه أنه ما لازم نبحث الأن مسائل خلافية، ولازم أن نجمع صفوفنا وكلمتنا لمحاربة الملاحدة، قلت له: ياإستاذ، لا يكاد بذكر شىء هناك نتفـــق عليـــه لعلك تعلم أن الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" مختلف حتى اليوم فى تفسيرها وأنا فرات رسالة عندنا فى دمشق الشام للشيخ محمد الهاشمى شيخ الطريقة الشاذلية فى دمشـــق عندما تقرأ التفسير لا معبود إلا الله، وقرات نفس التفسير فى رسالة صغيرة لأحـــد جماعة التبليغ، وأنت تعرف أنه "لا إله إلا الله" تعنى توحيد بأقسامه الثلاثة إلى أخره، ومعنى كلامك أن حتى هذه المسألة يجب أن نطويها، قال: نعم، هنا الشاهد، قلت: إذن كيف نتعاون وقد إختلفنا فى العقيدة، وبمن تحارب هؤلاء الملاحدة؟ بأمثالهم ممن يشهدون "لا إله إلا الله" لكنهم إعتقادا وعملا يكفرون بـــ "لا إله إلا الله"، فلذلك المسألة خطيرة جدا، ولا يجوز ان نغض النظر عن هذا الخلاف القائم اليوم خلافـــا

جذريا ويجب ان نصدع بالحق، وان نعلن راية التوحيد الخالص تحت كلمة تعبر عن الواقع الصحيح، وهو دعوة السلف الصالح، وكل من ينتمى إليها فهـــو ســـلفى، ولذلك هؤلاء الدكاترة الذين يقولون بأن هى جماعة أهل السنة والجماعة الخ، هذه كلمة يريدون تعمية الحق بواستطها.

سلفية الكويت

السؤال

سمعنا في الكويت أن في الأردن كلاماً كثيراً يدور عن سلفية الكويت، وأنها تمر بحزبية، وأنا أريد منك -فضيلة الشيخ- توضيح ما هي مظاهر الحزبية التي قلتموها على سلفية الكويت؟

الجواب

هذه المسألة لا نريد الخوض فيها؛ لأنها تزيد النار ضراماً، فالسلفية في الأردن لا تزال قائمة على أساسين اثنين: التصفية والتربية، دون تكتل، ودون تحزب، ودون الاشتغال بالعمل السياسي، ولا نعني نحن أن العمل السياسي لا يجب شرعاً، بل هو فرض من فروض الكفاية، لكننا نعلم أن الاشتغال اليوم بالسياسة اشتغال يصرف القائمين على الدعوة عن هاتين الركيزتين، ألا وهما التصفية والتربية، فالاشتغال بالسياسة يصرف القائمين على هذه الدعوة مقرونة بهذه التصفية والتربية عما هم في صدده.

أما الدعوة السلفية في الكويت فهم لا يمرون في دور تحزب، لا.

فقد دخلوا وانتهى الأمر، منذ أجازوا لأنفسهم كـ الإخوان المسلمين دائماً وأبداً، وكـ حزب التحرير في بعض أدوارهم، حينما صوروا لأنفسهم باسم الإصلاح أن يدخلوا في البرلمانات القائمة لا نقول: على الكفر بالله ورسوله وبالإسلام جملة وتفصيلاً، وإنما على الأقل نقول: هذه البرلمانات القائمة على مخالفة الشريعة في جوانب كثيرة وكثيرة جداً، فحينما أباحوا لإخوانهم أن ينتخبوا وأن يدخلوا في البرلمان الذي لا يحكم بما أنزل الله، حتى أن بعضهم أصبح من الوزراء في الدولة.

لهذا نحن نقول: إن الدعوة السلفية هناك أخذت طوراً سياسياً آخر، فنحن ماضون على الدعوة على هذا الأساس: التصفية بناءً على الكتاب والسنة الصحيحة، وتربية المسلمين على هذا الأساس، فمن اشتغل كجماعة من السلفيين بالسياسة، وأباحوا لأنفسهم فضلاً عن غيرهم أن يدخلوا في البرلمانات، وأن يختاروا سبيلاً للانتخابات هو السبيل الذي انتخبه ما يسمى بالنظام الديمقراطي، وهو الذي يسمح للمسلم والكافر أن يرشح نفسه، وأن يرشح من غيره -أيضاً- في البرلمان الذي يفترض أن يحكم بما أنزل الله، بل قد أباح هذا النظام المسمى بالنظام الديمقراطي أن يرشح المسلم الطالح والمسلم الجاهل والمسلم الفاسق، هؤلاء يرشحون غيرهم ويرشحون أنفسهم، وحينئذ تؤخذ القضية التي تطرح في البرلمان بالأكثرية، وليس على أساس الكتاب والسنة.

ولذلك فنحن نريد من إخواننا الذين يشتركون معنا في الدعوة إلى الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح في كل الأراضي الإسلامية، أن يؤسسوا قبل أن يشتغلوا بالسياسة.

أسألك أنت شخصياً: هل اطلعت على العدد الذي صدر أخيراً أو قبل الأخير بوصف الحركة السلفية واتهام رجل من إخواننا بأنه أسقط فرضية الجهاد؟ وهناك أخ من إخواننا بل هو تلميذ من تلامذتي القدامى كما يشهد هو بذلك، ينتقد كتاباً لأخينا أبي مالك، له ملاحظات على دعوات قائمة على الجهاد، وهو في ذلك دقيق النظر بعيد الفكر، اتهم بأنه أسقط فرضية الجهاد، مع أنه له فصل خاص يصادم هذه النسبة التي نسب إليها.

ما الذي حمل أخانا وحبيبنا وصديقنا في الدعوة سنين كثيرة على مثل هذه الكراهية؟ إنه التحزب، لا نريد أن نبحث في مثل هذه القضايا؛ لأنه يكفي ما وقع من الأخ عبد الرحمن، فقد كتب يتهم أخانا أبا مالك، وربما مسني أنا شيء من اتهامه، ولكن من طرف بعيد، فلا نريد أن نوسع الخرق.

وينبغي أن نتناصح، لذلك أنا سجلت كلمة، ولا بد أن تكون قد وصلت إليه، ندعوه إلى أن يحضر هنا، ونعقد جلسة خاصة للتفاهم في بعض النقاط التي قد نختلف فيها، وبخاصة النقطة الأخيرة التي اتهم فيها رجلاً من الدعاة السلفيين المعروفين لدينا بأنه أسقط فرضية الجهاد، هذه أشياء في اعتقادي أنها من آثار التحزب والتكتل، وإذا كان عندك شيء آخر تريد أن تسأله فتفضل.

هناك اقتراح أرجو أن ينظر إليه بعين القبول: لا ينبغي البحث في التفاصيل التي تقع من اختلاف بين الجماعة الواحدة؛ لأن هذا سيذاع وينشـــر ويـــزداد الصف صدعاً على صدع؛ فإن كان هناك سؤال فقهي فهذا أحب إلي، أما إن كان سؤالاً يدندن حول الحزبية، فوالله أننا نفر منها فرارنا من الأسد.

هل العقيدة التي يحملها السلفيون هي عقيدة الصحابة؟

السؤال

هل العقيدة التي يحملها السلفيون هي عقيدة الصحابة؟ فإن من الناس من يزعم ويقول: إن كانت هي عقيدة الصحابة؛ فأتونا ولو بصحابي واحد يقول في الصفات: نؤمن بالمعنى ونفوض الكيف، فما هو قولكم؟

الجواب

نحن نعكس السؤال، ثم نجيب عن هذا السؤال فنقول: هل هناك صحابيٌ تأول تأويل الخلف؟ ونريد على ذلك مثالاً أو مثالين؟ السائل: يذكرون أحياناً عن ابن عباس رضي الله عنه أنه تأول آية من كتاب الله تبارك وتعالى.

الشيخ: إذا كان قد تأول، فما الذي حمله على التأويل؟ وهل كان ذلك هو منهج الصحابة الأولين؟ فجواباً على السؤال الأول نقول: إن السلف الصالح لم يكونوا بحاجة إلى أن يشرحوا ما هو واضح لديهم وضوح الشمس في رابعة النهار، والمثال السابق يشبه تماماً ما لو قال قائل: أعطونا مثالاً واحداً على أن أحد الصحابة قال: هذا فاعل، وهذا مفعول به، وهذا مفعول للتمييز، وهذا للحال إلى آخر ما هنالك من مصطلحات وضعت بعد الصحابة، وبعد السلف؛ لضبط فهم النصوص على الأسلوب القرآني والعربي الأصيل؛ فلن نستطيع أن

نأتيهم بنص من مثل هذه النصوص التي اصطلح عليها العلماء الذين وضعوا قواعد النحو، ووضعوا قواعد الصرف، وكذلك سائر العلوم التي منها أصول الفقه، ومنها أصول الحديث إلى آخره؛ ذلك لأن الصحابة الأولين كانوا عرباً أقحاحاً، فلم يكونوا بحاجة إلى أن يفسروا ما يفسره اليوم السلفيون الذين ينتمون إلى السلف الصالح؛ ذلك لأنهم يفهمون النصوص المتعلقة بآيات الصفات، وأحاديث الصفات كما فهمها السلف.

المهم أن الأصل ليس هو التأويل، بل الأصل هو عدم التأويل، وهذا الأصل أمر متفق عليه عند جميع العلماء، حتى الذين يؤولون أي كلام عربي سواءً أكان متعلقاً بآيات الصفات، أو أحاديث الصفات، أو متعلقاً بأي خبرٍ عربي، فكلهم يتفقون فيقولون مثلاً: الأصل في كل جملة عربية أن تحمل على الحقيقة، وليس على المجاز، فإذا تعذرت الحقيقة حينئذٍ يقولون: نصير إلى المجاز.

ففي هذه القاعدة المتفق عليها بين السلف والخلف، نحن نقول: إن العرب الأولين -الصحابة الذين قصد السائل فهمهم لتلك النصوص- سائرون على هذه القاعدة التي عليها الخلف فضلاً عن السلف.

فإذاً حينما قال الله عز وجل: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} [الفجر:٢٢] ما الذي يفهمه العربي فيما يتعلق بالملائكة -مثلاً- من كلمة (جاء الملائكة)؟ هل يفهم المعنى المؤول، أم يفهم المعنى الحقيقي؟ لاشك أن الجواب سيكون: إنه يفهم المعنى الحقيقي، سنقول له: أعطنا نصاً على أن الصحابة

فسروا مجيء الملائكة بالمعنى الحقيقي، فلن يستطيع أن يصل إلى ذلك أبداً! لماذا؟ لأن الأمر واضح لديهم، فهم يسيرون على قاعدة علمية مجمع عليها ليس فقط بين السلف بل والخلف أيضاً، فما كان جوابهم عن هذا المثال السهل البسيط، فهو نفس جوابنا على السؤال الذي وجهته آنفاً.

الحق أن نقول: إن هؤلاء المعطلة متأثرون بعلم المنطق الذي يخرج كثيراً أصحابه من دائرة الاتباع إلى دائرة الابتداع، فحينما يوردون هذا السؤال، معنى ذلك: أنه ليس هناك ضابطٌ لفهم نصوص الشريعة إطلاقاً؛ لأنه لا يمكننا أن نتصور إلا أن كل من يدعي العلم، سواءً كان سلفياً أو كان خلفياً لا بد له من أن يفسر نصاً في القرآن أو في السنة على القاعدة المذكورة آنفاً، وهي: الأصل الحقيقة، وليس المجاز، فحينما يأتينا أي خلفي من هؤلاء، ويفسر لنا تفسيراً ما لنصٍ ما، نسأله قائلين: ما هو مستندك في هذا التفسير؟ هل عندك نص عن الصحابة عن التابعين عن أتباع التابعين؟ فسيضطر إلى أن يعود إلى أصل اللغة، وحينئذ نقول: هذه حجتنا عليكم، لماذا تتأولون النصوص التي لا تعجبكم ظواهرها ولا إشكال فيها؟ إنما جاء الإشكال -كما هو الأصل- من التكييف والتشبيه.

لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أصل المعطلة أنهم وقعوا في التشبيه، فلما أرادوا الخلاص من التشبيه لجئوا إلى التأويل، فلو أنهم أخذوا بمثل قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] وكذلك سورة الصمد {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:١] {اللَّهُ الصَّمَدُ}

[الإخلاص:٢] {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص:٣] {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص:٤] لو أنهم وقفوا عند هذا النص لما احتاجوا إلى التأويل؛ لأن الذي دفعهم إلى التأويل هو أنهم فهموا هذه الآيات على مقتضى التشبيه.

فإذا قلنا: (جاء ربك) أي: كما يليق بجلاله، كذلك الملائكة خلقٌ من خلق الله، لكن لا شك ولا ريب أن مجيئهم لا يشبه مجيء البشر، بل الجن الذين خلقوا من نار، مجيئهم، وذهابهم، وإيابهم، لا يشبه بأي وجه من الوجوه مجيء البشر، فهل نؤول المجيء المتعلق بالجن، أو المجيء المتعلق بالملائكة، أم نقول: إن مجيء كل ذات تتناسب مع تلك الذات؟ هكذا ينبغي أن تفهم نصوص الكتاب والسنة، أي: على القاعدة العربية: الأصل في كل جملة الحقيقة وليس المجاز، فإذا تعذرت الحقيقة صير إلى المجاز، فهذا جواب ذلك السؤال.

ثم يخطر في بالي شيءٌ آخر وهو: أن هذا السؤال يعني عدم الاعتداد بفهم الأئمة والذين يتظاهر هؤلاء بالتمسك بعلمهم وبفهمهم، بينما هنا لا يقيمون لفهمهم وزناً إطلاقاً، مع أن الأئمة هم الذين اقتدينا بمنهجهم وبأسلوبهم في تفسير الآيات، وتفسير الأحاديث.

لذلك كان كثير من علماء السلف يحذرون عامة الناس من أن يجالسوا أهل الأهواء؛ لأنهم أهل شبهات، وطرح إشكالات، ومع الأسف لا يستطيع كثيرٌ من أهل العلم أن يجيبوا جواباً مقنعاً موافقاً للكتاب والسنة من جهة، ومتابعاً للعقل الصحيح من جهة أخرى، وكثير من الناس لا يستطيعون أن يقدموا

الحجة والبيان لأولئك الذين تأثروا بالشبهات والإشكالات التي يطرحها أهـــل الأهواء والبدع؛ لذلك حسموا الأمر، ونهوا عن مخالطة أهل البدع والأهواء.

عقيدة السلف في رؤية الله تعالى في الآخرة

بالنسبة لقوله تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين:٢٣] والنظر الذي فسره بعض الأئمة بأنه النظر إلى الله تعالى، ثم هناك حديث: (إن أعلى أهل الجنة مترلة هو من ينظر إلى الله كل يومٍ مرتين) مع أن هذا الحديث قد أوردتمـــوه في ضعيف الجامع، فهل هناك وصفٌ لرؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وقد جـــاء في حديث أن يوم الجمعة في الجنة ينظر فيه المؤمنون لربهم؟ وكيف يكون التفســـير هنا بالنسبة للآية: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين:٢٣] فهم متكئون علـــى الأرائك ينظرون، ومع ذلك هناك يوم يخصص للنظر، والحديث الـــذي ورد في هذا أيضاً ضعيف، فكيف يوجه هذا؟

الجواب

سامحك الله! هل تسأل عن أصل رؤية المؤمنين لربهم؟ أم تسأل عن عـــدد المرات التي ينظرون فيها إلى ربهم؟ سؤالك ذو شعب كثيرة، فلو أنك حـــددت سؤالاً أولاً، وثانياً، وثالثاً، إن كان الأمر كما نتصور، ليكون هـــذا أوضـــح للحاضرين سؤالاً وجواباً، فإن كان في سؤالك ثلاثة أسئلة؛ فابدأ إذاً بـــالأهم فالأهم.

السائل: بالنسبة لقول الله تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين:٢٣] هل هذا دائم في الجنة؟ الشيخ: نعم.

السائل: أقصد هل هذا دائم من حيث الوقت؟ الشيخ: (رجعت حليمة إلى عادتها القديمة)، يا أخي! حدد سؤالك بارك الله فيك، هل أنت مؤمن بأصل الرؤية؟ السائل: نعم.

الشيخ: إذاً ما هو سؤالك؟ السائل: هل هذا النظر دائم في كل وقت في الجنة؟ الشيخ: لا نعلم! لماذا مثل هذا السؤال؟ هلا سألت -مثلاً- عن حديث الجمعة، المسمى بـ (حديث يوم المزيد)، هل هو صحيح أم لا؟! نقول: نعم.

فالحمد لله هو صحيح، إذاً المؤمنون يرون ربهم كل يوم جمعة، أما كل ساعة وكل لحظة، فما عندنا علم! ولماذا السؤال في الأمور الغيبية؟! وأنت بلا شك تعلم -في حدود ما علمت- أنك لم تقف على أن المؤمنين يرون ربهم في كل لحظة وفي كل ساعة، ولا غيرك يعلم ذلك إطلاقاً! إذاً الذي يجب على كل مؤمن هو أن يؤمن بأصل الرؤية التي ثبتت في الكتاب والسنة، ولذلك أنا استغربت أول الأمر حينما سألت عن قوله تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين:٢٣] فهل معنى هذا: أنهم ينظرون إلى ربهم؟ الجواب: نعم.

لكن هناك نصوص أوضح في إثبات أصل الرؤية من هذه الآية، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر شيئاً من هذا الآن؛ لأني لا أعتقد أن أحداً من الحاضرين -على الأقل- عنده شكٌ في أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، حتى الذين

ينكرون الصفات بطريق تأويلها كـــ الأشاعرة و الماتريدية -مثلاً- مما يحجون به وتقام عليهم الحجة به: أهم يؤمنون برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، خلافـــاً للمعتزلة، وخلافاً للخوارج، فهؤلاء المعتزلة و الخوارج ينكرون أن المؤمنين يرون رهم يوم القيامة.

أما الماتريدية و الأشعرية فهم يشاركون أهل السنة -أهـــل الحــــديث- في إيمانهم بأن المؤمنين يرون رهم يوم القيامة.

هنا تأتي الحجة القاصمة لظهر المنكرين لاستواء الله عز وجل على عرشـــه، واستعلائه على مخلوقاته؛ ذلك لأن هذه الرؤية التي اشترك الماتريدية و الأشاعرة مع أهل الحديث في الإيمان بها، تستلزم إثبات العلو لله عز وجل، وهم ينكـــرون العلو، فيقال لهم: كيف تنكرون علو الله على خلقه، ومع ذلك تثبتـــون رؤيـــة المؤمنين لربهم؟! فكيف تعتقدون رؤية المؤمنين لربهم وأنتم تنكرون علو الله عـــز وجل على خلقه؟! فهذا تنافر وتضاد؛ ولذلك الآن تجد ذاك الرجل الذي ملأت رائحته الكريهة أنوف المؤمنين جميعاً، لا يتعرض إطلاقاً لإثبات هذه العقيـــدة، وهي عقيدة رؤية المؤمنين لرب العالمين؛ مع أنها عقيـــدة الأشـــاعرة، وعقيـــدة الماتريدية، لماذا؟ لأن هذه العقيدة وحدها تكفي لإبطال قولهم: إن الله عز وجل ليس فوق العرش، وليس فوق المخلوقات كلها.

إذاً يجب أن نؤمن بأصل هذه الرؤية، وبثبوتها في الكتاب والسنة وإجمـــاع السلف والخلف، وإقرار الماتريدية و الأشاعرة بها، أما الـــدخول في التفاصـــيل

فيقف المؤمن عند ما علم منها، علمنا حديث يوم المزيد، وهو يوم الجمعة، وأن المؤمنين يرون ربهم في كل جمعة؛ فآمنا بذلك، ولسنا مكلفين، بل لا يجوز لنا أن نتعمق أكثر من ذلك.

ويعجبني بهذه المناسبة قول أحد علماء الحنفية الماتريدية الذين -كما ذكرت آنفاً- يشتركون مع أهل الحديث في الإيمان بهذه النعمة العظمى، وهي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، قال هذا الرجل العالم الفاضل الحنفي الماتريدي:

يراه المؤمنون بغير كيفٍ وتشبيه وضربٍ بالمثال

هذا ما يمكنني أن أتحدث به في هذه اللحظة جواباً عن تلك المسألة.

رأي الشيخ الألباني في سلمان العودة وسيد قطب

السؤال

يا شيخ! ماذا تقولون فيمن خالف أئمة الإسلام في أمر من الأمور التي قد أجمعوا عليها، وقامت عليه الحجة ولم يرجع، بل زاد على ذلك أنه يمدح بعض الصوفية و المفوضة، ويمدح من يقول بقول جهم في القرآن، ويطعن في الصحابة بل وفي الأنبياء، ويسميهم أئمة ومجددين، بل ويثني على بعض الزنادقة الذين أباحوا الردة، وطعنوا في العقيدة وفي الرسول صلى الله عليه وسلم وفي أهل الحديث، ويقول عنهم: فيهم خير كثير، وسمى زيغهم وضلالهم اجتهاداً، فقال: وإن كنا نتحفظ عن بعض اجتهاداتهم.

فهل يكون هذا مبتدعاً؟ وهل نعينه ونقول: فلان مبتدع، تحذيراً للأمة ونصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟

الشيخ: ذكر هذا في كتاب؟

السائل: في أماكن متفرقة.

الشيخ: ليس في كتاب؟

السائل: أيضاً في بعض الكتب.

الشيخ: حسناً منها؟

السائل: هو الذي مدح هذا

الشيخ: لا تحد لا تحد.

السائل: حسناً.

الرجل الذي قال هذا في بعض الكتب، مثلاً في العدالة الاجتماعيـــة، أو في ظلال القرآن، لكن الذي يمدحه وقال عنه: مجتهد، وكذا في شريط أو في بعض الأشرطة، وأيضاً شخص آخر حاله كحال هذا له كتاب اسمه الخلافة والملـــك، وله كتب أخرى تكلم فيها عن بعض الأنبياء، عن نوح -مثلاً- فقال عنه لمـــا قال: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥] قال: غلبت عليه عاطفة الجاهلية، وعـــن يوسف لما قال: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:٥٥] قال: هذا دكتاتوري يطلب منصب الدكتاتورية كـــ (موسوليني) في زماننا.

الشيخ: من هذا الذي يقول هذا؟

السائل: في كتاب الخلافة والملك للمودودي.

الشيخ: المودودي.

ومن الذي يمدح هذا الكلام؟

السائل: أحد الدعاة مدحهم.

الشيخ: لماذا لا تسميه؟ هل تسميته غيبة؟

السائل: لا.

إن شاء الله، هو الشيخ سلمان مدحه.

الشيخ: أنا أقول لك: مدح الكلام أم المتكلم؟

السائل: مدحهم في أشرطة.

الشيخ: اسمع! فهمت سؤالي.

السائل: حسناً أعد علي السؤال.

مداخلة: يقول الشيخ: أمدح هذا الكلام، أم مدح صاحب هذا الكـــلام؟ السائل: لا.

بل صاحب هذا الكلام، ما مدح الكلام.

الشيخ: إذاً مدح صاحب الكلام! قد أمدحه أنا؛ فهل معنى ذلـــك أنـــني أصوب كل ما قال؟

السائل: لا يعني هذا.

الشيخ: إذاً ماذا تعني أنت بهذا السؤال؟

السائل: بلغني أن في بعض الأشرطة لبعض المشائخ أنهم ذهبوا إليه، وقـالوا له: إن فلاناً -أي المودودي- فيه كذا وكذا، فقال لهم: والله لو سئلت يـوم القيامة، سأقول: إمام ومجدد، فنحن اختلط علينا هذا الأمر، وقلنا: نسأل عنـه الشيخ!

الشيخ: انظر! -يا أخي- أنا أنصحك أنت والشباب الآخرين الذين يقفون في خط منحرف فيما يبدو لنا والله أعلم: ألا تضيعوا أوقاتكم في نقد بعضـكم بعضاً، وتقولوا: فلان قال كذا، وفلان قال كذا؛ لأنه أولاً: هذا ليس من العلم في شيء، وثانياً: هذا الأسلوب يوغر الصدور، ويحقق الأحقـاد والبغضـاء في القلوب، إنما عليكم بالعلم، فالعلم هو الذي سيكشف هل هذا الكلام في مدح زيد من الناس الذي له أخطاء كثيرة؟ وهل -مثلاً- يحق لنا أن نسميه صاحب بدعة؟ وبالتالي هل هو مبتدع؟ ما لنا ولهذه التعمقات؟ أنا أنصح بألا تتعمقـوا هذا التعمق؛ لأننا في الحقيقة نشكو الآن هذه الفرقة التي طرأت على المنتسـبين لدعوة الكتاب والسنة، أو كما نقول نحن: للدعوة السلفية، هذه الفرقـة -والله أعلم- السبب الأكبر فيها هو حظ النفس الأمارة بالسوء، وليس هو الخـلاف في بعض الآراء الفكرية، هذه نصيحتي.

مداخلة: يا شيخنا! الصورة قاتمة جداً فيما يجري بين الشباب في كثير مـن بقاع الأرض، ولا نشك أن هناك منحرفين وهناك مخطئين ومبتـدعين، لكـن أصبحت المواجهة في كثير من الأحايين مواجهة شخصية، ومواجهـة للقيـل والقال، مما لا يشعر الشباب ما يترتب على ذلك من إضاعة الأوقات، وإثـارة

كثير من الحقد بينهم، هذه مسألة لا يتنبهون لها، وهم -ولا نشك- معهم الحق، لكن كثيراً من الشباب عندما أسأله: كم تحفظ من القرآن؟ يقول: أحفظ أقل من ثلاثة أجزاء! أسأله: كم لك تناقش هذه القضية؟ يقول: ثلاث سنوات، ثلاث سنوات وهم يجلسون يتناقلون: زيد مبتدع، غير مبتدع، كافر، غير كافر، زنديق، غير زنديق، قال ما قال، منحرف غير منحرف، وقد يكون منحرفاً أو مخطئاً أو ضالاً! وهم يظنون إذا جاءهم الناصح وقال لهم: هذا مضيعة للأوقات، الأغلب يظنون أن الناصح مع أولئك، وهذا أمر عجيب! وهو يريد نصحهم، شاب عمره سبع عشرة سنة لا يحفظ إلا القليل وهو الآن يناقش في مسائل عميقة جداً، قد يتأنى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه ويتريثون فيها، بينما هم يتسرعون إلى مثل هذه القضايا، فنريد توجيهاً لمثل هذا.

الشيخ: أنا كثيراً ما أُسْأَل: ما رأيك بفلان؟ فأفهم أنه متحيز له أو عليه، وقد يكون الذي يسأل عنه من إخواننا، وقد يكون من إخواننا القدامى يقال عنه: إنه انحرف، فأنا أنصح السائل: يا أخي! ماذا تريد بزيد وبكر وعمرو؟ استقم كما أمرت، وتعلم العلم، وهذا العلم سيميز لك الصالح من الطالح، والمخطئ من المصيب.

إلخ، ثم لا تحقد على أخيك المسلم لمجرد أنه لا أقول: أخطأ، بل لمجرد أنه انحرف، لكن انحرف في مسألة أو اثنتين أو ثلاث، والمسائل الأخرى ما انحرف فيها، ونحن نجد في أئمة الحديث من يتقبلون حديثه، ويقولون عنه في ترجمته أنه مرجئ، وأنه خارجي، وأنه ناصبي.

إلخ، فهذه كلها عيوب وكلها ضلالات، لكن عندهم ميزان يتمسكون به، ولا يرجحون كفة سيئة على الحسنات أو سيئتين أو ثلاث على جملة حسنات، ومن أعظمها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أنا أقول -مثلاً- في سلمان وأمثاله: بعض إخواننا السلفيين يتهمونهم بأنهم من الإخوان المسلمين، أنا أقول: لا أعلم أنه من الإخوان المسلمين، لكن ليت الإخوان المسلمين مثله، الإخوان المسلمون يحاربون دعوة التوحيد، ويقولون: إنها تفرق الأمة وتمزق الكلمة، أما هؤلاء -فيما أعتقد وأهل مكة أدرى بشعابها- يدعون إلى التوحيد، ويدرسون التوحيد، أليس كذلك؟

السائل: نعم.

الشيخ: إذاً: ليت الإخوان المسلمين يكونون كذلك، وقد يوجد عندهم عمل سياسي، وعندهم ما يشبه الخروج على الحكام ... إلخ، نعم، الخوارج كانوا كذلك، الخوارج الرسميون الذين لا يشك العلماء أن قول الرسول عليه السلام: (الخوارج كلاب النار) إنما قُصِدُوا هم؛ الذين خرجوا على علي، وأنهم (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، كما في الحديث المعروف في الصحيحين؛ هم المقصودون، مع ذلك يروون الحديث عنهم، ويعتبرونهم مسلمين، فهم يدعون ضلالاتهم ويبينون حسناتهم، وهذا من باب قوله تعالى: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة:٨].

فهؤلاء إذا كان عندهم انحراف، ولا أعتقد أنه انحراف في العقيدة، إنما هو انحراف في الأسلوب، وعلى كل حال نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الأمة الوسط، التي لا تقع لا في الإفراط ولا في التفريط.

رأي الشيخ الألباني في كلمات للشيخ سلمان العودة

السائل: فضيلة الشيخ! لا أدري السؤال الأول الذي سألتك عنه لا أدري هل هو خطأ في العقيدة؟

الشيخ: ما هو؟

السائل: قولهم: لو كان الأنبياء والمصلحون إلى يوم القيامة يحاربون

الشيخ: ضلالة كبرى، وأنا أجبتك عن نوح عليه السلام.

السائل: هذه هو قالها أيضاً.

الشيخ: من هو؟

السائل: الشيخ سلمان.

الشيخ: أين قالها؟

السائل: في هذا الكتاب.

الشيخ: أرني هذا الكتاب.

السائل: صفحة (١٧٠).

الشيخ: يقول: (وأن يعلموا -أي هؤلاء الدعاة- أنه لو كـــان الأنبيـــاء أو المصلحون إلى يوم القيامة، يحاربون من ألوان الشرك المناقض لكلمة (لا إلـــه إلا الله) ما يتعلق بالأوضاع الشعبية فقط لما تعرض لهم أحد، ولما وقف في وجوههم إلا القليل) كلمة (الشعبية) هنا لها مفهوم من حيث اللغة العربية أم لا؟

السائل: يا شيخ! أنا الذي أفهمه -والله أعلم- وقد أكون مخطئاً فيه.

الشيخ: قد يكون كلنا كذلك.

السائل: الأوضاع الشعبية هي هذه الموجودة عند الناس -مـــثلاً- جلـــوس الناس عند القبور، والطواف بها، والنذور، وتعليق الخرق وكذا، والله أعلم.

الشيخ: نعم، نعم، لكن هل دعوة التوحيد واقفـــة إلى هنـــا، أي محاربـــة الشركيات الشعبية؟

السائل: لا، بل الشرك كاملاً.

الشيخ: حسناً؛ فهو يعني أشخاصاً معينين، يفهم خطأً أو صواباً أنهم يرضون عن الحكام وعن تصرفاتهم المخالفة للشريعة، وإنما يعنون فقط بإصلاح قلـــوب الشعب وأفراد الشعب، لعلي استطعت أن أبين لك ماذا يعني الرجل، يعـــني أن دعوة الحق لا تنحصر فقط بإصلاح أفراد الشعب دون الحكام، والرضى عـــن تصرفات الحكام، وتركهم فيما هم يتصرفون فيه من مخالفات شرعية.

السائل: يا شيخ! الجملة الأخيرة هل هي صحيحة؟

الشيخ: نسمع من أهل مكة.

رجل مكي: أقول: الحقيقة في كثير من القضايا الناس بين إفراط وتفريط، فإما قوم لا يفقهون دعوة التوحيد إلا توحيد الحاكمية فقط، ويتركون الناس في شركهم الأكبر! وكما يسمونه الآن شرك القبور، وإما أناس آخرون لا يحبون بل يتحسسون من الحاء، مجرد ما يقول إنسان: إن التوحيد فيه حاكمية لله عز وجل، يتحسسون من هذه القضية ولا يلتفتون إليها لا من قريب ولا من بعيد، بل عليهم محاربة ما يسمى بشرك القبور، وإذا عدلنا في القضية عُرِفَ الصواب أن دعوة التوحيد هي دعوة توحيد الحاكمية أن تكون الحاكمية لله، وكثير من الكتاب -والحق يقال- أنه أحياناً يعني بالحاكمية من خلال قراءته لها يعني الحاكمية المطلقة أن الأمر كله يرجع إلى الله عز وجل، وأحياناً يعنون بها السياسة التي ظلوا وراءها، فمن العدل والإنصاف أن نقول: إن التوحيد يشمل كلا الجهتين.

فإذا فهم هذا الكلام -يا أخي- على أن الأنبياء لو بقوا فقط على أن يمنعوا الناس من القبور لما اعترضهم معترض، هذا هو فحوى الكلام، لكن هناك نقطة ثانية -يا أخي! ومع الاستئذان من شيخنا وحبيبنا-: الكلام لا يحمل على فهم الرجل الذي فهمه القارئ، وإلا كان ضل كثير من الناس، ولكن يحمل على كلام الرجل الآخر، إما في مواقع أخرى أو من واقعه، فإذا كان الرجل معروفاً

بالتوحيد الكلي، وداعية إلى هذا التوحيد، أو أنه من الموحدين، ثم قال لفظة أو قال لفظتين، فلا يحمل على أسوأ محمل؛ لأنه لو حمل على هذا المحمل لكان زنديقاً بكل معنى الكلمة، وكان خارجاً من ملة الإسلام، ثم نحن نرى أن واقعه ليس كذلك، فهذه مسألة جديرة.

وبالمناسبة حمل الكلام على أسوأ محمل هذه قاعدة ليست من قواعد أهل السنة والجماعة.

رأي الشيخ الألباني في كلمات لسيد قطب

أنا أذكر يا شيخنا! بالمناسبة نفس هذا الكلام كيف حمله بعض إخواننا الأفاضل على محمل سيئ، ولعلكم تسددوني فيما أقول.

يقول سيد قطب في بعض كتبه: (إن عبادة الأصنام التي دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجنبه هو وبنيه إياها، لا تتمثل فقط في تلك الصورة الساذجة التي كان يزاولها العرب في جاهليتهم، أو التي كانت تزاولها شتى الوثنيات في صور شتى مجسمة في أحجار، أو أشجار، أو حيوان، أو طير، أو نجم، أو نار، أو أرواح، أو أشباح.

إن هذه الصورة الساذجة كلها لا تستغرق صور الشرك بالله، ولا تستغرق كل صور العبادة للأصنام من دون الله، والوقوف بمدلول الشرك عند هذه الصورة الساذجة يمنعنا من رؤية صور الشرك الأخرى التي لا نهاية لها، ويمنعنا

من الرؤية الصحيحة لحقيقة ما يعتور البشرية من صور الشرك والجاهلية الجديدة، ولا بد من التعمق في إدراك طبيعة الشرك وعلاقة الأصنام بها، كما أنه لا بد من التعمق في معنى الأصنام وتمثل صورها المجردة، المتجددة مع الجاهليات المستحدثة).

نريد تعليق شيخنا، ثم نقرأ تعليق أحد الإخوة الأفاضل على هذا الكلام.

الشيخ: لا يوجد شيء على الكلام، هو كلام سليم (١٠٠%)، ويكفي في ذلك قوله تعالى في القرآن الكريم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة:٣١] والتفسير الذي جاء في هذه الآية لما نزلت، وهي نزلت في حق النصارى، وكان من العرب الذين تنصروا في الجاهلية -مع قلة المتنصرين- عدي بن حاتم الطائي، ثم هداه الله عز وجل وأسلم، والقصة مذكورة في مسند الإمام أحمد وغيره، فلما نزلت هذه الآية أشكلت على عدي بن حاتم الطائي؛ لأنه فهمها بمعنى الشرك الذي ينكر الرجل أن يكون الشرك كله محصوراً في هذا النوع من عبادة الأصنام والوثنيات، فقال له عليه السلام موضحاً المعنى العام الأشمل للشرك بالله عز وجل في اتباع غير شريعته، قال له: (ألستم كنتم إذا حرموا عليكم حلالاً حرمتموه، وإذا حللوا لكم حراماً حللتموه؟ قال: أما هذا فقد كان، قال: فذاك اتخاذكم إياهم أرباباً من دون الله).

الآن هذا النوع من الشرك غير ملاحظ حتى عند الذين يعلنون أن الحاكمية لله عز وجل، وأنا أذكر بمثل هذه المناسبة لما كنت في دمشق في مخيم اليرموك،

في مسجد صلاح الدين بالذات، حينما صعد المنبر خطيب من شباب الإخوان المسلمين، وألقى خطبة نارية في أن الحاكمية لله عز وجل، سبحان الله! ولما صلى وانتهى من الصلاة، لفتُّ نظره إلى خطأ -ونسيت الآن ما هو هذا الخطأ- قلت له: هذا مخالف للسنة، قال: لكن أنا حنفي! قلت: يا أخي! الله يهديك، أنت الآن خطبتك كلها في أن الحاكمية لله عز وجل، فما معنى الحاكمية؟ فقط أنه إذا جاءك قانون من كافر مخالف للشرع فهذا هو الكفر، وأنه يلزمك أن تتمسك بالشرع، أما إذا جاءك حكم من مسلم كان مخالفاً للشرع، هذا تتبعه مع مخالفة الشرع، أين الحاكمية لله عز وجل إذاً؟! هذا المعنى -في الحقيقة- شامل وجامع، وهو أحسن حينما دفع شبهة من قد يقف، فقال: فقط، أي: ليس الشرك فقط هذا، فوسع المعنى؛ وهذه التوسعة هي الإسلام، ولذلك نحن نقول: إن الوقوف عند محاربة الشركيات في أفراد الشعب، وترك الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله -وهذا لا يعني أن ندخل في خضم التكفير وإخراجهم عن الملة، يكفي أنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، والتفصيل الذي ندين الله به هو أن هناك كفراً دون كفر، كفر عملي وكفر اعتقادي، هذا التفصيل الحق هو الذي يجعلنا معتدلين، ولا نتسارع إلى تكفير الحكام دون أن نفرق بين حاكم يؤمن بما شرع الله، ولكن يتبع هواه في بعض مخالفته لما شرع الله- أقول: إن الوقوف عند محاربة الشركيات في أفراد الشعب، وترك الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله فيه ما فيه، وهذا الجانب من التوحيد يجب أيضاً أن يشتغل به الدعاة.

لكن الحقيقة أنا أقول كلمة صريحة: إن دعاة التوحيد اليوم في امتحان مرير، فكل قرار يصدر تجد

الجواب

هذا أمر ولي الأمر! صح يا زين! أم لا؟ وقعنا فيما نحذر منه، لماذا نحن لا نتوجه -إذاً- إلى الدعوة بعامة وليس فقط فيما يتعلق بالشعوب، العبارة هذه تشبه تماماً كلمة (فقط) هناك، فهو قيدها بالوقوف في محاربة الشركيات المتعلقة بالشعوب وترك الحكام دون نصح ودون تحذير، ودون إنكار، ولو مع عدم الخروج، هل الجواب واضح؟

السائل: لا يستلزم هذا مواجهة؟

الشيخ: نعم لا يستلزم.

السائل: علق أخ فاضل على هذا الكلام بما يلي، الذي كأني فهمت أنه كلام ابن القيم بأسلوب عصري! قال: في هذا الكلام أولاً تهوين من دعوات الأنبياء.

الشيخ: لا هكذا كلام ابن القيم!!

السائل: التي ركزت على عبادة الأصنام والأوثان، هل في هذا تهوين؟
الشيخ: بَيِّنٌ.

السائل: يعني: لا.

الشيخ: طبعاً!!

السائل: قال! ثانياً: فيه صرف الدعاة عن أعظم وأكبر أنواع الكفر والشرك الذي حاربه كل الأنبياء والمرسلون المصلحون، وأدركوا أنه أكبر خطر على الإنسانية.

هل في هذا الكلام صرف؟

الشيخ: لا يوجد.

السائل: لا يوجد؟

الشيخ: نعم.

السائل: ثالثاً: فيه خلط بين قضايا الشرك الأكبر والأصغر، وبين قضايا المعاصي صغيرها وكبيرها.

الشيخ: أين هذا؟

السائل: والله ما فهمته! لكن سأقول لك: أين؟

الشيخ: بفهم أو بدون فهم؟

السائل: إن شاء الله بفهم.

السائل: بعض الناس يرى أن مسألة الحاكمية والحاكم بصورة عامة هـــي شرك أصغر، وأما شرك القبور بصورة مطلقة شرك أكبر، ولا يفصـــلون بـــين الشرك العملي والشرك الاعتقادي إلا عند الحاكم، ولا يدرجون هذا على الناس الذين يقعون في الشرك المسمى شرك القبور، فيرون أن هذا ليس فيه تفصـــيل، أي شرك يأتي به الرجل في شرك القبور هو خارج من الملة دون تفصـــيل، دون جهل، دون إقامة حجة إلى غير ذلك، وأما ذاك ففيه تفصيل، ولعل إن أصـــبت والتسديد لكم، فهكذا: فيه خلط، مع أنه ذكر كلاماً بديعاً.

ثم النقطة الثانية يقولون: إنه وصف الشرك هذا بأنه ساذج، لا شـــك أنـــه ساذج، فلا أدري هم فهموا ما معنى ساذج أم لا، يقول: هؤلاء الذين يعبدون الأصنام شركهم ساذج، ولكن أولئك الذين يعبدون ويطيعون ويفعلون مثـــل الحديث الجميل الذي ذكرته، فهذا كذلك داخل في الشرك.

الشيخ: إي نعم.

مداخله: هل يحسن أن نقول عن شرك الأوثان أنه بدائي.

الشيخ: يا أخي -بارك الله فيك- كلمة شرك بدائي نزلت في شـــيءٍ مـــن القرآن أو في السنة؟

السائل: لا.

الشيخ: حسناً من الذي تكلم؟ زيد من الناس، نحن نستوضح منه هل يقصد من كلمة (بدائي) بمعنى أنه لا يخرج من الملة بعد إقامة الحجة؟ فإن كان يقصد هذا ننكر ذلك عليه، إذا كان يريد التهوين من هذا الشرك، إذاً نحن نستوضح منه، ماذا تريد من كلمة (بدائي)؟ والذي أفهمه أنه يعني: أن هؤلاء العرب وثنيون ليس عندهم كتاب كاليهود والنصارى يرشدهم ويدلهم ويهديهم، ولو في بعض النواحي التي بقيت محفوظة عند أهل الكتاب وغير محرفة، فهم وثنيون يعيشون هكذا على الجاهلية، هذا الذي يعنيه بأنه شرك بدائي، ما أفهم أنه يعني أنه شرك لا ينبغي أن يهتم به، وأظن أنك أنت وأمثالك تريدون أن تفهموا هكذا، ولذلك لا تقفوا عند هذه الكلمات، لماذا؟ لأنها: أولاً: ما صدرت من معصوم.

ثانياً: حاولوا أن تفهموا ماذا يعني بهذه الكلمة، كما يروى عن بعض السلف: التمس لأخيك عذراً، هذا إذا كانت العبارة فيها إيحاء بما يخالف الشرع، أما إذا كانت العبارة ما هي واضحة؛ فنحملها على أحسن الاحتمالين.

السائل: لعل هذا -إن شاء الله- فيه هداية للجميع، يقول سيد قطب: إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل، وليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمائر، وحدود العقيدة أبعد كثيراً من مجرد الاعتقاد الساكن - كأنها لفتة إلى المرجئة دون أن يدري، الذين لا يجاوزون الإيمان حدود القلب- يقول: إن حدود الاعتقاد تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة، وقضية الحاكمية كذلك فروعها -أو كلمة خطأ- في الإسلام هي قضية

عقيدة، والحاكمية هي قضية عقيدة، كما أن قضية الأخلاق بمجملها هي قضية عقيدة، فمن العقيدة ينبثق منهج الحياة الذي يشمل الأخلاق والقيم، كما يشمل الأوضاع والشرائع سواء بسواء.

الشيخ: صحيح.

السائل: هذا الكلام صحيح؟

الشيخ: نعم.

السائل: يقول أخونا يعلق على هذا الكلام: هذا كلام حق وخطأ!

الشيخ: عجيب!

السائل: أما العقيدة قاعدة لمنهج حياة متكامل فمسلَّم.

الشيخ: الحمد لله.

السائل: وهذا أقره على كلامه كله.

الشيخ: نعم.

السائل: تابع لكلام الأخ الفاضل: وأما أن حدود العقيدة تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة؛ فهذا لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا قاله علماء الإسلام.

الشيخ: هذا رجل سطحي.

السائل: هذا الكلام غير صحيح؟

الشيخ: نعم، نقدر نفهم مَن هذا؟

السائل: ما أحبه.

الشيخ: ما تحبه!

السائل: فهذا من شذوذات سيد قطب ليوسع به دائرة التكفير! ألا ترون أن هذا إلزام بما لا يلزم؟

الشيخ: نعم، ولا شك.

السائل: تابع: لمن يخالف منهجه -أي: لا يكفر الآخرين، مجرد أي واحد يخالف منهجه، فيريد سيد بهذا أن يكفر-.

الشيخ: ما عرفنا ذلك عنه.أنا أعتقد أن الرجل ليس عالماً.

السائل: لا شك.

الشيخ: لكن له كلمات في الحقيقة! -خاصة في السجن- كأنها من الإلهام.

السائل: تابع لكلام الأخ: وهو مع ذلك يحيد عن ذكر شرك القبور.

السائل: قد وجدت كلاماً لـــ ابن القيم في إعلام الموقعين هو نفس الكلام بالتمام، وهو يقول: التوحيد يشمل كذا، ويشمل كذا، وهو ينبثق من القلـــب إلى الأعضاء إلى غير ذلك، فيشابه هذا الكلام.

فالحقيقة أنهم أتوا من جهة أنهم هم يفسرون كلام الآخرين، مع أن إخوانهم في العقيدة والمنهج وبخاصة من أمثالكم وأمثال سماحة الشيخ عبد العزيز وغيره؛ ترون أن هذا الأمر لا يحتمل مثل هذه الأمور التي حملوا كلام الناس عليها.

الشيخ: هذا صحيح.

خاتمة رأي الشيخ في سيد وكتبه

الشيخ: على كل حال، الرجل مات وانتقل إلى رحمة الله وإلى ظنه، ونحـــن كما نصحتك آنفاً لا تبحث في الأشخاص، خاصة إذا كانوا انتقلوا إلى رحمـــة الله.

رجل: ألا يمكن أن نقول: إن قصد بالجاهلية التكفير وتكفير هذه الأمة فهذا ضلال بعيد، وإن قصد أنك ما تمر بالشارع إلا كان على يمينك قمار، والدكان الثاني يبيع الخمر علناً، والثالث مرقص، والرابع سينما، والخامس سفور، ثم أزياء

الكفار، ثم سن قوانين غير شرعية، فإن قصد مثل هذا فهو كما قال فيه جاهلية، فهذا كلام لا ينكر، بل قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما هو أشد من هذا في الناس.

وأما إن قصد التكفير فالأمر والحمد لله واضح، فنحن نفصل، ولا يهمنا الرجل بذاته، إن كان قصد التكفير المخرج من الملة فهذا ضلال ونأباه وأمره إلى الله، وإن كان قصده الجاهلية التي نراها فلا تشك معي أن الأمر كذلك.

الشيخ: أنت ماذا ينادونك؟

الرجل: أبو طلحة.

الشيخ: انظر يا أبا طلحة! يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ولو في غير هذه المناسبة: (إنما الأعمال بالخواتيم)، فما هي خاتمة البحث في كلام سيد قطب أو غيره، إن كان قصد كذا أو قصد كذا؟

السائل: الشاهد يا شيخ!

الشيخ: لا تحد عن الجواب.

السائل: ما قصدت الحيدة يا شيخ!

الشيخ: أنا لا أتكلم قصدت أم لم تقصد، إنما أذكرك وأقول: لا تحد عـــن الجواب، ما هي ثمرة البحث في أن سيد قطب أو غيره قال كذا وكذا وكـــذا؟ فما هو المقصود من حكايتنا لكلامه؟

السائل: نحن الآن نريد أن نحذر الناس من كتب هذا الرجل؛ لأن النـــاس الآن عظموا مؤلفات هذا الرجل، حتى فاقت في طباعتها وانتشارها مؤلفـــات الأئمة، فيا شيخ! هو عنده أخطاء عقائدية كثيرة، وقد تكلم في عثمان.

الشيخ: هذا هو الجواب.

السائل: لا أقصد أنه لهذا يا شيخ!

رجل آخر: لدينا سؤال واحد فقط!

الشيخ: تفضل.

السائل: هل قلتم مرة أن معالم على الطريق هو توحيد كتـــبَ بأســـلوب عصري؟

الشيخ: أنا أقول: إن في هذا الكتاب فصلاً قيماً جداً، أظن عنوانه: (لا إله إلا الله منهج حياة) هذا الذي أقوله وقلته آنفاً، ومثل ما يقولون عندنا في الشام: (على غير عباية): الرجل ليس عالماً، لكن له كلمات عليها نور وعليها علـــم، مثل (منهج حياة) أنا أعتقد أن هذا العنوان كثير من إخواننا السلفيين ما تبنـــوا معناه، أن (لا إله إلا الله منهج حياة) هذا الكلام الذي تكلمت عنه.

الرجل: قلتم لنا هذا الكلام في بيتنا منذ خمسة وعشرين سنة.

الشيخ: ممكن، لكن أنا لا أذكر ما أقول.

لكن الرجل له كتاب العدالة الاجتماعية لا قيمة له، لكن كتاب معالم على الطريق له بحوث قيمة جداً.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

جواب الشيخ وردَّه عمن أنكر من الجماعات الإسلامية استعمال كلمة السلف أو الانتساب إليهم.

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد:

فإن خيرالهُدى هُدى محمد صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم ... ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

وبعد أيضا:

فإنه ليس عندى ما أقدمه إليكم سوى ان أحمد الله تَبَارَك وتعَالَيْ أن جمعنا بإخوانا لنا يعيشون بأجسادهم بعيدين عنا ولكنهم بقلوبهم هم قريبون منا لأن دعوة الحق التي هدانا الله تَبَارَك وتعَالَيْ إليها وجمع كلمتنا حولها وهى دعوة إتباع الكتاب والسنة، فهذه بعد أن هدانا الله عَزَّ وجَلَّ إلى الإسلام بعامة هى أعظم النعم أن هدانا

الله تَبَارَك وتعَالَيْ إلى أن نفهم الإسلام على أساس القرآن والسنة، هذا الأساس هـــو الضمان لكى لا ينحرف المسلمون يمينا ويسارا وأن يكونوا على هدى فى كل زمان وفى كل مكان مادام انهم تمسكوا بهدى الكتاب والسنة.

إثباتا لقول النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم ... «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِـــلُّوا مَاإن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِى، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»

* لا أريد أن أطيل الكلام فى هذه القضية، لأننى أعتقد أنكم لستم بحاجـــة إلى مثل هذا الكلام، ولكنى أريد أن أدير كلامى أو أُدندن حول قضية قد تخفى على كثير ممن يشتركون معنا فى هذه الدعوة – دعوة الحق– ألا وهى الكتاب والسنة، قد تخفى على كثير من الذين يشتركون معنا فى هذه الدعوة حقيقة جاء الكتاب والسنة يؤكدانها ويلفتان النظر إلى ضرورة التمسك بها، ألا وهى: " ضرورة فهم الكتـــاب والسنة على منهج سلفنا الصالح رَضِى الله عنهم "، هذه الغنيمة وهى أن يكون فهمنا لكتاب ربنا وسنة نبينا صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم ... على ما كان عليـــه لاســـلف الصالح، ذلك لأننا فى زمان قد صحا فيه كثير من الجماعات الإسلامية التى كانـــت من قبل فى ثُبات عميق وفى غفلة شديدة، عن ضرورة الإعتماد فى المسائل الخلافيـــة على الكتاب والسنة.

لما تجلت لهم هذه الحقيقة وهذه القضية لم يسعهم أن يظلوا مصرين على مخالفتهم لنا بدعوتنا القائمة على الكتاب والسنة، لكنهم لا يزالون بعيدين عنـــا فى منـــهجنا الذى نلتزمه فى فهمنا لكتاب ربنا وسنة نبينا، وذلك أن يكون الفهم لهذين ال على ما كان عليه السلف ذلك أن كل الجماعات الإسلامية الموجودة اليوم على وجـــة الأرض لا يمكن أن يعلن عدم إعتماد دعوته على الكتاب والسنة ولكنهم مع هـــذا

الإعتماد يفسرون النصوص من الكتاب والسنة حسب ما تقتضيه تكتلاقم وحزبياقم ولا يرجعون فى ذلك إلى فهم النصوص على ما كان فهمها سلفنا الصالح.

* أكرر على مسامعكم ثم أؤيد ما اقول لكم، لاينبغى أن تقتصر دعوتنا على الكتاب والسنة فقط، بل يجب أن نضم إلى ذلك ما أشار الله تَبَارَك وتعَالَيْ إليه فى كتابه الكريم، ثم تولى نبينا الكريم صلوات الله وَسَلَّامه عَلَيْه ... بيان ذلك فى سنته الصحيحة، إنطلاقا منه وتجاوبا مع قوله حين خاطبه بقوله: ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) مما بينه عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَّام ... من كلام رب الأنام قوله فى القرآن: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا))، الشاهد من هذه الآية قوله عَزَّ وجَلَّ فيها ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فإن هذه الآية تلفت النظر أن على المسلمين فى كل زمان وكل مكان ألا يخرجوا عن سبيل المؤمنين، حيث قال رب العالمين ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) فما حكمه هذه الجملة المعطوفة على ما قبلها وهى: ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ))؟؟ كان من المفيد أن تكون الآية دون هذه الجملة ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) لو

كانت الآية هكذا بهذا الإختصار لكان معنى سليما مستقيما لا غبار عليه إطلاقا، لكن الله عَزَّ وجَلَّ حينما عطف على قوله: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى)) فقال ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) أراد بذلك أن يلفت نظر المؤمنين الذين يحذرون من أن يشاققوا الرسول من بعد ما تبين له الهدى أيضا يجب عليهم أن يحذروا أن يخالفوا سبيل المؤمنين.

* وكيف يمكن مخالفة سبيل المؤمنين مع اتباع سنة سيد المرسلين؟ الامر عند اهل العلم معروف جيدا بأن نصوص الكتاب والسنة يمكن- فى بعض الأحيان- أن تفسر تفسيرا ويقدم هذا التفسير للمؤمنين بالكتاب والسنة على ان هذا هو المعنى المـــراد منهما، ويكون هذا التفسير خطأ لآنه خالف سنة المؤمنين وسبيل المؤمنين، تأكيـــدا لهذا المعنى المتضمن فى هذه الجملة المعطوفة ألا وهى قوله تعَالىَ ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَـــبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) نجد نبينا صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم ... قد ضم هذه الضميمة تفسيرا منه لهذه الآية الكريمة.

* أنتم مثلا قراتم او سمعتم حديث الفرق التى قال فيها رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم ... "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى علـــى إثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلـــهم في النـــار إلا واحدة قالوا: من هي يا رسول الله؟ - هنا الشاهد من هى يارسول الله هذه الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة منها هى الناجية- قال: "ما أنا عليه وأصحابي" من هى؟ قال عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلاَم ... هى التى على ما أنا عليـــه أنـــا وأصحابى، هنا تجدون ان النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم لم يقتصر على قوله على ما أنا عليه، وإنما عطف على ذلك قوله وأصحابى، مالسر فى ذلك؟

هذا الحديث يعتبر تفسيرا للآية التى ذكرناها أنفا وكررناها على مسامعكم مرارا لترسخ فى أذهانكم أن المعنى المقصود من قوله عَزَّ وجَلَّ فيها ((وَيَتَّبِعْ غَيْـــرَ سَـــبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ))، فقد جاء النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم فى حديث الفـــرق وفى بيـــان الفرقة الناجية فوصفها بوصفين اثنين وليس بوصف واحد وهو أنها تكـــون علـــى ماكان عليه الرسول هذا هو الوصف الأول، ولكنه جاء بوصف ثانى وأخير وهـــو

قوله عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَاّم: وأصحابى، هذا الحديث بهذا اللفظ تفسير للرواية الأخرى وهى الأشهر و الأقوى سندا، وهى التى تقول جوابا عن سؤال السائلين عن الفرقة الناجية، قال عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَاّم هى الجماعة، فقوله هذا تفسير للآية السابقة ((وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)) فسبيل المؤمنين هى الجماعة، والجماعة هى سبيل المؤمنين.

* ومعنى هذا أنه يجب على علماء المسلمين - خاصة فى هذه الأزمة المتأخرة- ألا يعنوا فقط بدراسة السنة ومعرفة ماكان عليه الرسول صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم وهذا أمر لابد منه، لأن تفسير القرآن لا يستقيم ولا سبيل إليه ألا بطريق السنة التى هى بيان القرآن كما ذكرنا أنفا.

لا يكفى العالم أن يكفى على دراسة القرآن والسنة فى العصر الحاضر، بل لابد أن يضم إلى ذلك دراسة ثالثة، وهى أن يعرف ماكان عليه أصحاب النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم من الهدى والنور، لأنهم قد تلقوا البيان من النبى عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَاّم بالقرآن وبيان الرسول صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم فى السنة القولية- فى كثير من الأحيان- بفعله أو بتقريره، هذه الأمور لا يمكن الوصول إليها إلا بمعرفة آثار السلف الصالح.

*ولذلك الحديث هذا ايضا يلتقى مع حديث أخر _ طالما سمعتموه أو قرأتموه فى كتب الحديث _ الا وهو حديث العرباض بن سارية رضى اللّه عَنه الذى قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى، فإنه من يعش منكم فسيرى

اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة "هنا الشاهد لم يقتصر عَلَيْهِ آلصلاة والَسَلَاّم على كلمته هذه فعليكم بسنتي، بل عطف عليها أيضا كما فعل فى حديث الفرق وسنة الخلفاء الراشدين المهدين

الشاهد فى هذا الحديث ان النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم جعل النجاة و الخلاص من الإختلاف الذى سيقع بعد الرسول عَلَيْهِ آلَسَلَاّم إنما هو التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعده.

ذلك لأن طريقة هؤلاء الخلفاء كطريقة عامة الصحابة الذين أطلق عليهم فى الحديث السابق لفظة الجماعة هم الذين فهموا من النبى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم المعانى الصحيحة للآيات والآحاديث القولية فنقلوها إلى الأمة بيضاء نقية ليلها كنهارها، إذا لم يهتم العلماء بخاصة بهذا الجانب الثالث مما سبقت الأشارة اليه فى هذه النصوص، صار الكتاب والسنة هوى متبعا، ونحن نجد اليوم إختلافات كثيرة، وكل هؤلاء المختلفين يدعون بأهم على الكتاب والسنة، مهما كانت تكتلاهم وكانت تجمعاهم، يدندنون حول الكتاب والسنة، لكنكم لا تجدون على وجة الأرض اليوم وعلى الساحة الإسلامية فى هذه الجماعات من ارتضت لنفسها منهجا لها فى فهم كتاب رها وفهم سنة نبيها منهج السلف الصالح، إلا جماعة واحدة على وجة الأرض لهم اسماء مختلفة والمسمى واحد، ففى بعض البلاد يسمى هؤلاء إنتماءً إلى الجماعة المشار إليها، وهم جماعة السلف، فيقولون دعوتنا دعوة السلف الصالح ونحن ننتسب إليهم ونقول أننا سلفيون، أو يقولون نحن من أهل الحديث، أو يقولون نحن أنصار السنة، وكلهم ....

* ولابد لى من التنبية معتذرا لإطالة الكلام فى هذه المسألة الهامة لأننى أتصور أن بيننا لقاءات كثيرة يمكن أن يصدق فيها ما يقال اليوم، لأننا سنتمكن هناك من وضع النقاط على الحروف كما يقول، لكن لابد لى فى ختام هذه الكلمة من لفت النظر الى ان كثيرا من الجماعات الاسلامية الاخرى التى تنتسب إلى أسماء - إما أسماء لجماعة معينة من الخلف، أو اسماء إلى حزب معين من الخلف، أو إلى أشخاص معروفين أو نحو ذلك - أن هؤلاء كلهم يكادون يجمعون على إنكار استعمال كلمة السلف أو الإنتساب إليهم، كأن يقال نحن أتباع السلف، أو الفرد واحد منا يقول أنا سلفى إنهم ينكرون هذه النسبة، وفى إعتقادى أنهم لم يتنبهوا لمعنى هذه النسبة، لما إستطاعوا أن يبادروا إلى إنكار هذه النسبة لأن معناها الإنتساب إلى السلف الصالح الذين شهد لهم رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم بالخيرية فى الحديث المتواتر الذى قال فيه رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وَسَلّم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم هؤلاء هم السلف وعلى رأسهم محمد المصطفى صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم، فمَن مِن المسلمين يستطيع إذا تنبه لمعنى هذه الكلمة السلف أو السلفى المنسوب للسلف الصالح.

مَن مِن المسلمين بعد هذا يستطيع أن يتبرأ من أن يكون تابعا للسلف وبالتالى من أن يكون بشخصه سلفيا؟؟ إن من بادروا لإنكار هذه النسبة أولئك الذين لا يعرفون قدر، وقيمة السلف، والسبيل التى ذكرها الله ربنا فى الآية ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)).

– لذلك نحن دعوتنا ليست محصورة بالكتاب والسنة – وهذا لا بد منه لكل مسلم – لكننا نضيف إلى ذلك صيانة لنا من أن ننحرف يمينا أو يسارا، وان نكون فرقة من الفرق الأثنين والسبعين، وكل هؤلاء لا يوجد فيهم لو ضربنا مثلا من أخطر الفرق الإسلامية الموجودة اليوم الحديثة على وجة الأرض كالطائفة القديانية مثلا والذين ينتسبون إلى الاحمدية تضليلا لجماهير المسلمين، هؤلاء لو قلت لهم ما مذهبكم؟ لقالوا الكتاب والسنة، ولكنهم يتلاعبون ويفسرون الكتاب والسنة على خلاف ما كان عليه السلف الصالح. والآمثلة فى هذا المجال كثيرة وكثيرة جدا، ولعل لبيان هذا مجال أخر، وفى هذا القدر الكفاية والحمد لله رب العالمين.

حكـــم تعـــــدد الجماعـــــــات الحزبيـــــــة

السؤال

ما هو حكم الشرع في تعدد الجماعات والأحزاب والتنظيمات الإسلامية، مـــع أنها مختلفة فيما بينها، في مناهجها، وأساليبها، ودعواتها، وعقائدها، والأسس الـــتي قامت عليها، وخاصة أن جماعة الحق واحدة كما دل الحديث على ذلك؟

الجواب

لنا كلمات كثيرة وعديدة حول الجواب عن هذا السؤال، ولذلك نوجز الكلام فيه ونقول: لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة، وما كان عليه ســـلفنا الصالح رضي الله عنهم، أن التحزب والتكتل في جماعـــات مختلفـــة الأفكـــار أولاً، والمناهج والأساليب ثانياً، ليس من الإسلام في شيء، بل ذلك مما نهى عنه ربنا عـــز وجل في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها قوله عز وجل: {وَلا تَكُونُـــوا مِـــنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُـــونَ} [الروم:٣١ - ٣٢] وربنا عز وجل يقول: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٨ - ١١٩].

فاستثنى الله تبارك وتعالى من هذا الاقتباس -الذي لا بد منـــه كونيـــاً ولـــيس شرعياً- الطائفة المرحومة حين قال: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٩].

ولا شك ولا ريب أن أي جماعة تريد بحرص وإخلاص لله عز وجل أن تكـــون من الأمة المرحومة المستثناة من هذا الخلاف الكوني، فلا سبيل للوصول إلى ذلـــك وتحقيقه عملياً في المجتمع الإسلامي إلا بالرجوع إلى كتاب الله عز وجل، وإلى ســـنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

سلوك الطريق المستقيم طريق الفرقة الناجية

ولقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنهج والطريق السليم في غير ما حديث صحيح، فقد جاء في حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم (أنه خط ذات يوم على الأرض خطاً مستقيماً، وخط حوله خطوطاً قصيرة عـــن جـــانبي الخـــط المستقيم، ثم قرأ قوله تبارك وتعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـــوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام:١٥٣] ومر بإصبعه على الخط المستقيم وقال: هذا صراط الله، وهذه طرق عن جوانب الخط المستقيم، وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه) ولا شك أن هذه الطرق القصيرة هي التي تمثل الأحـــزاب والجماعات العديدة.

ولذلك فالواجب على كل مسلم حريص على أن يكون حقاً من الفرقة الناجية أن ينطلق سالكاً الطريق المستقيم، وألا يأخذ يميناً و يساراً، وليس هناك حزبٌ ناجح إلا حزب الله تبارك وتعالى، الذي حدثنا عنه القرآن الكريم: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:٢٢] فإذاً كل حزب ليس هو حزب الله فإنما هو من حزب الشيطان وليس من حزب الرحمن.

ولا شك ولا ريب أن السلوك على الصراط المستقيم يتطلب معرفة هذا الصراط المستقيم معرفةً صحيحة، ولا يكون ذلك بمجرد التكتل والتحزب الأعمى على كلمة هي كلمة الإسلام الحق؛ لكنهم لا يفقهون من الإسلام إلا شيئاً قليلاً، فلا يكـــون التحزب الصحيح الفالح إلا بمعرفة هذا الإسلام كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلب محمد عليه الصلاة والسلام.

اتباع الصحابة من علامات الفرقة الناجية

لهذا كان من علامة الفرقة الناجية التي صرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها حينما سُئل عنها فقال: (هي ما أنا عليه وأصحابي) فإذاً هذا الحديث يشعر الباحث الحريص على معرفة صراط الله المستقيم، أنه يجب أن يكون على علم بأمرين اثـــنين هامين جداً جداً: الأول: ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والآخر: ما كان عليه أصحابه عليه الصلاة والسلام؛ ذلك لأن الصحابة الكرام هـــم الـــذين نقلوا إلينا -أولاً- هديه صلى الله عليه وآله وسلم وسنته، وثانياً: هم الذين أحسنوا تطبيق هذه السنة تطبيقاً عملياً، فلا يمكننا أن نعرف معرفة صحيحة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بطريق أصحابه.

ومعلوم لدى أهل العلم أن السنة تنقسم إلى: سنة قولية، وفعليـــة، وتقريريـــة، فالسنة القولية تعريفها هو: ما نقله الصحابي من قوله عليه السلام، والسنة الفعلية: ما نقلوه عنه صلى الله عليه وآله وسلم فعلاً، أما السنة التقريرية فهي: ما نقلـــوه عـــن بعضهم وليس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكن رسول الله رأى ذلك الفعل وسكت عنه، هذا السكوت ليس من قوله عليه السلام وليس من فعله وإنمـــا مـــن إقراره.

لا سبيل إلى فهم الإسلام إلا بمعرفة سير الصحابة

ومن هنا ينبعث في نفسي أن أُلفت النظر إلى أهمية هذه الضميمة التي نحن ندندن حولها في مثل هذه المناسبة وهي أنه لا يكفي لأي جماعة إسلامية تنتمي بحق إلى العمل بالكتاب والسنة، أن يقتصروا على فهم الإسلام بناءً على الكتاب والسنة فقط، بل لا بد -أيضاً- من معرفة تطبيق أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهذه السنة.

وهناك أمثلة كثيرة وكثيرة جداً يمكن بها تقريب أهمية هذه الضميمة، وقد ذكرت في بعض المحاضرات أو الأجوبة نماذج منها، والآن يحضرني مثال آخر، وهو ما جاء في صحيح البخاري و سنن أبي داود وغيرهما من أكثر من طريق واحد (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أمر أصحابه أن يسووا الصفوف إذا قاموا إلى الصلاة، قال النعمان بن بشير: كان أحدنا يلصق قدمه بقدم صاحبه ومنكبه بمنكب صاحبه).

هذا فعل وقع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، تطبيقاً منهم لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتسوية الصفوف، ومما لا شك ولا ريب فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يخفى عليه ما فعله أصحابه من خلفه وهم يصلون مقتدين به وتنفيذاً لأمره بتسوية الصفوف وتراص الصفوف؛ ذلك لأن من خصوصياته عليه السلام ومعجزاته أنه كان وهو في صلاته يرى من خلفه كما يرى من أمامه، فلو أن هذه التسوية لهذا التراص -رص الأقدام ورص المناكب- لم يكن مشروعاً لكان تكلفاً، ولو كان تكلفاً لنهاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنه؛ لأن هناك حديثاً صحيحاً (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف).

وإن قيل: إنه من الممكن أن يخفى ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنقول: باب الإمكان واسع جداً، لكن ما نحن فيه ليس من هذا الباب لسببين اثنين ذكرت أحدهما آنفاً، وهو: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

السبب الثاني وهو الأهم: أنه إن فرض أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يشهد هذا الأمر الذي فعله أصحابه خلفه في الصلاة، فرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فما قلناه آنفاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم -وليس له من الوظيفة إلا التبليغ عن الله عز وجل- فبالأولى والأحرى أن يقال ذلك عن رب الرسول تبارك وتعالى، فيقال: إذا كان ربنا عز وجل -كما أشرنا إليه آنفاً اقتباساً من القرآن- لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وكان الله عز وجل لا يريد أن يشرع لعباده المؤمنين هذا التراص في الصفوف لأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينهاهم عن هذا التكلف، إذاً لا ينبغي أن يتصور المسلم سكوته عليه السلام عن شيء إلا وربنا عز وجل مطلع عليه، وبالتالي إقرار الله لنبيه على هذا هو تشريع.

من هنا نتوصل إلى الإشارة إلى بعض المسائل التي جرى الخلاف فيها قديماً في بعض الأحكام الفقهية بين الحنفية والشافعية، حيث إن أحد الفريقين يحتج بما وقع في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيرد الآخر بأن هذا الذي وقع ليس فيه بيان أن النبي عليه الصلاة والسلام اطلع عليه حتى يقال: إنه اطلع فأقره.

بما سبق من الكلام يرد على هذا الرد من بعض المذهبيين: أضرب لكم مثلاً أو أكثر، جاء في صحيح البخاري: (أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كان يصلي

صلاة العشاء الآخرة خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده، ثم ينطلق إلى قبيلته فيصلي بهم الصلاة نفسها، يقول راوي الحديث وهو جابر بن عبد الله رضـــي الله تعالى عنه: هي له نافلة ولهم فريضة).

استدل بعض الأئمة المتقدمين بهذا الحديث على جواز صـــلاة المفتـــرض وراء المتنفل، فرد ذلك بعض المذهبيين بأن هذا لا حجة فيه؛ لأنه ليس فيه أن النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أن معاذاً بعد أن يصلي خلفه يعود إلى قبيلته فيصـــلي بهم نفس الصلاة، فتكون له نافلة ولهم فريضة.

والجواب عليهم أن نقول: إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم حقيقة أن معاذاً كان يعيد هذه الصلاة تنفلاً، فربنا عز وجل يعلم السر وأخفى، فلو كان فعل معاذ غير مشروع لجاء الحكم من السماء لبيان عدم شرعيته.

ومثال آخر ونكتفي به –وأعدد الأمثلة لأهمية هذه الملاحظة التي قلمـــا نجـــدها فصيحة مبينة في كتب العلماء–: جاء في مسند الإمام أحمد، و مستدرك الحاكم، و سنن البيهقي، وغيرها من كتب السنة، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: (غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة، أصبنا فيها امرأة مـــن المشـــركين) أي: قتلناها، ولا يخالف هذا الحديث الحديث الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان؛ لأن النهي محله في مكان وهذا القتل الذي ذكـــر في حديث جابر له محل آخر، فالنهي ينصب على قتل النساء اللاتي لم يشتركن في قتال المسلمين، والقرينة على ذلك قوله: (والصبيان) فإن الصبيان ليسوا من المقاتلة، فعلى هذا فقول جابر رضي الله تعالى عنه: أصبنا في تلك الغزوة امرأة من المشركين، يعني: أنها كانت من المقاتلة قال: (وكان زوجها غائباً، فلما رجع وأخبر الخبر، حلف ألا

يدخل القرية إلا بعد أن يثأر لها ثأراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم، فتتبع آثار الصحابة).

ومعلوم أن العرب كانت تستعمل هذه المعرفة، فبتتبع الآثار وصلوا إلى اكتشاف مأوى الرسول في الغار يوم عزم على الهجرة من مكة إلى المدينة، فالأثر دلهم على أن الرسول عليه السلام وصل إلى هذا المكان؛ لأن الأثر انقطع هناك، لكن أعمـــى الله بصرهم فلم يروا الرسول عليه السلام وصاحبه في الغار، بينما صاحبه رأى أقـــدام المشركين، فخشي ليس على نفسه بل على نبيه، فقال: (لا تحزن إن الله معنا).

وهنا لا بد من التذكير بأن ما يذكر في بعض كتب الحديث وفي كتب الســـير، أن الذي صرف كفار قريش بعد أن هداهم تتبعهم للأثر إلى أن المطلـــوبين همـــا في الغار، زعموا بأنهم رأوا الحمامة قد عششت وباضت، وأن العنكبوت -أيضاً- نسج خيوطه، وقالوا: لا يمكن أن يكون في الغار أحد، فانصرفوا، هذا لم يصح على طريقة أهل الحديث، ثم هناك رواية قوية بأن الله عز وجل أمر ملكاً بأن يغطي بجناحه فـــم الغار ولذلك لم يروه.

فالشاهد أن ذلك المشرك تتبع آثار الجيش الغازي لتلك القرية، حتى وصـــل إلى مكان كان قد أدركهم فيه المساء، فنزلوا في وادٍ، وحسب النظام العسكري النبوي، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: (من يكلؤنا الليلة؟ فقام رجلان من الأنصـــار، أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج، فقالا: نحن يا رسول الله! فقال لهما: كونـــا على فم الشعب، فانطلقا، والمشرك يراقبهما يريد أن يستغل الفرصة للوفاء بنـــذره ويأخذ بثأر زوجه، ولما وصلا إلى المكان الذي هو موضع حراسة الجيش النائم اتفقا على أن يتناوبا الحراسة، فأحدهما يحرس نصف الليل بينما الآخر ينام، ثم يتبادلان، ثم

بدا للحارس الذي قام منتصباً أن يجمع بين عبادتين في وقت واحد: عبادة الحراسة، وعبادة الصلاة في الليل الهادئ، فقام يصلي، وهنا اغتنم المشرك الفرصة، حيث كان مختبئاَ وراء صخرة، فرماه بحربة فوضعها في ساقه، فما كان منه إلا أن رماها أرضـاً والدماء تسيل منه، ولما رأى المشرك أن هدفه ما زال منتصباً رماه بالحربـة الثانيـة فوضعها في ساقه، وهكذا ثلاث حراب ويصيب الهدف، ومن دقة تعـبيره يقـول: وضعها، والوضع عادة يكون باليد، لكن هذا من دقة الإصابة للهدف فكأنه يضـع الحربة وضعاً بيده، ومع ذلك كان الصحابي الجليل مستمراً في صـلاته لا يقطعهـا والدماء تسيل منه، حتى صلى ركعتين، ثم إما أنه أيقض صاحبه وإما أنه اسـتيقظ، فلما رأى ما في صاحبه من الدماء هاله الأمر، وسأله عن السبب فقال: والذي نفسي بيده لقد كنت في سورة أقرؤها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً وضعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حراسته لكانت نفسي فيها).

أي: تذكر وهو يصلي بأنه في وظيفة أمره الرسول أن يقوم بها، وهي حراسـة الجيش النائم، وقد راق له الاستمرار في هذه الصلاة؛ لحلاوة المناجاة بين يدي الله عز وجل، ولولا أنه خشي أنه إن استمر في الصلاة، واستمر المشرك في رميه أن يكـون هلاكه في هذه الصلاة فربما يهاجم العدو المسلمين، ولذلك هو قنع مـن الصـلاة بركعتين، و لم يقنع بذلك خوفاً من الهلاك، وإنما خوفاً من هلاك الصحابة، فيما إذا هو مات وغدر بهم العدو.

إلى هنا تنتهي القصة، والشاهد منها: أن بعض الأئمة يحتجون بأن الدم لا ينقض الوضوء؛ لأنه لو كان ناقضاً لما استمر هذا الرجل في الصلاة، فيرد المخالف ويقول: هذا تصرف شخصي منه، فيقول المردود عليهم: نعم، لكن هذا هو من أصـحاب

الرسول عليه السلام، فيجيب المخالف ويقول: ليس في الحديث أن النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم اطلع على ذلك.

نحن نجيب بجوابين اثنين، ولكن هنا شيء أقوى في أحد الجوابين مما سبق، وذلك أن هذا موظف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيصاب بهذه الجراحـــات وهو في حالة من العبادة والصفاء النفسي، فهل يمكن أن يخفى هذا على قائد الجيش لو كان قائداً عادياً؟ فكيف وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! مستبعد جداً جداً جداً أن يخفى وضع هذا الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً: الراجح أنه عليه السلام اطلع على واقع هذا الحدث، وبناءً على ذلك لـــو كان خروج الدم ناقضاً لبين ذلك، لما هو معلوم من أصول الفقه أنه لا يجوز تـــأخير البيان عن وقت الحاجة، فإن استمر المخالف في المكابرة وقال: إنه لا يوجد نص أن الرسول صلى الله عليه وسلم اطلع، نقول له: حسبك أن رب الرسول اطلع، وهذا لا يمكن إنكاره، فإذا لم يترل شرع يبين أن خروج الدم ناقض الوضوء، كانت القصـــة حجة لمن يحتج بها على أن خروج الدم لا ينقض الوضوء.

مضار الحزبية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ألَّا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فإنى أحمد الله تبارك وتعالى أننا دعاة جمع ولسنا دعاة فرقة وموقفنا صريح بالنسبة لجماعة الأخوان المسلمين منذ زمن قديم، منذ أن كان للإخوان المسلمين حريتهم في سوريا وكان لهم مقر في عديد من المواطن وكنت أنا معهم في إجتماعاقم وفى أسفارهم ورحلاقم كأنى واحد منهم، وكان من آثار ذلك والفضل لله وحده أن كثيرا من إخواننا الإخوان المسلمين تلقوا الدعوة السلفية بكل فرح وسرور ولسنا بحاجة إلى أن نضرب أمثلة كثيرة على هذه الثمرة التى اقتطفناها من تلك الصحبة من صحبتنا للإخوان المسلمين كما قلنا في رحلاقم وأسفارهم، وحسبنا مثالا رجلان مشهوران في العالم الإسلامى كله وليس فقط في صفوف الإخوان المسلمين أحدهما أخونا الأستاذ عصام العطار والآخر أخونا زهير الشاويش هذا من جهة.

ومن جهة أخرى وبعد أن قضى الله عز وجل وقدر أن تحل هذه الجماعات كلها بسبب الحكم الفاسق الفاجر هناك واستمررنا نحن في دعوتنا إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح ولو أننا منعنا في مرات كثيرة ثم كنا نحاول ونحتال حتى تعود المياه إلى مجاريها ونتابع دروسنا، والشاهد من ذلك، أننا لا نكون مبالغين إذا قلنا أن أكثر الذين كانوا يحضرون حلقاتنا ودروسنا هناك لا أقول في دمشق وحدها بل أيضا في حلب واللاذقية وإدلب وفي غيرها من البلدان – أكثر الذين كانوا

يحضرون دروسنا كانوا هم من الإخوان المسلمين، ولذلك مـــن الناحيـــة الواقعيـــة يستحيل على إنسان يعيش في صفوف هؤلاء، يتردد عليهم حين كان لهـــم مجـــال لإقامة حفلاتهم، ثم تنعكس القضية فيترددون علينا حينما كنا نحن نتعاطى حريتنا في الدعوة بالكتاب والسنة على إعتبار أن دعوتنا ليست دعوة سياسية، وهذا التبـــادل وهذا التصاحب من الأدلة البادية الواضحة على أنه يستحيل على مثل هذا الإنسان أن يكون عدوا للإخوان المسلمين.

ثم هناك شيئا آخر، كيف يتصور هذا وقد كانت لى بعض الصـــلات الكتابيـــة التحريرية مع الأستاذ الشيخ حسن البنا رحمه الله، ولعل بعض الحاضرين منكم يذكر أنه حينما كانت مجلة الإخوان المسلمين تصدر في القاهرة، وهى التى تصدر طبعا عن جماعة الإخوان المسلمين كان الأستاذ سيد سابق بدأ ينشر مقالات له في فقه السنة، هذه المقالات التى أصبحت بعد ذلك كتابا ينتفع به المسلمون الذين يتبنون نهجنا من السير في الفقه الإسلامى على الكتاب والسنة، هذه المقالات التى أصبحت فيما بعد، كتاب فقه السنة للسيد سابق كنت قد بدأت في الإطلاع عليها وهى لم تجمـــع في كتاب خاص وبدت لى بعض الملاحظات وكتبت للمجلة هذه الملاحظات وطلبـــت منهم أن ينشروها فتفضلوا، وليس هذا فقط بل جائنى كتاب تشجيع مـــن الشـــيخ حسن البنا رحمه الله، وكم أنا آسف أن هذا الكتاب ضاع منى ولا أدري أين بقي.

ثم أنا دائما أتحدث بالنسبة لحسن البنا فأقول أمام أخوانى السلفيين وأقول أمـــام جميع المسلمين أنه لو لم يكن للشيخ حسن البنا رحمه الله من الفضل على الشـــباب المسلم سوى أنه أخرجهم من دور الملاهي: السينمات والمقاهى ونحو ذلك وكتلهم وجمعهم على دعوة واحدة، ألا وهى دعوة الإسلام، لو لم يكن له من الفضل إلا هذا

لكفاه فضلا وشرفا، نقول هذا معتقدين لا مرائيين ولا مداهنين، ولكننا في الوقت نفسه نرى بعض المنتسبين إلى جماعة الإخوان المسلمين ولا اقول كلهم – أهم يشذون عن دعوة حسن البنا نفسه ونفسها، ذلك بأني أعتقد ايضا أن من فضل حسن البنا أن دعوته – كما صرح في بعض كتبه ورسائله – قائمة أيضا على الكتاب والسنة، وإن كنت أعتقد أن هذا أصل وأس وضعه ولكن لم يقم أحد من الأخوان المسلمين أنفسهم (لتطبيق) وتفصيل هذا الأصل الذى وضعه حسن البنا رحمه الله، فأقول أن حسن البنا خدم الدعوة السلفية بهذا الأصل الذى وضعه لأن كل شاب من الإخوان المسلمين قرأ هذه الدعوة فحينما يسمع شئ من تفاصيلها من رجل قد لا ينتمى حزبيا إلى جماعة الإخوان المسلمين، فحسبه أنه يجمعه معهم الإخوة العامة "إنما المؤمنون إخوة"، فنجد دون سائر الأحزاب الإسلامية الأخرى في الشباب المسلم من الأخوان المسلمين تجاوبا مع الدعوة السلفية لأنني في الواقع – وقد قلت هذا قريبا لبعض الناس – متعجبا من معادات هؤلاء الناس أو بعضهم لنا ولدعوتنا، أتعجب وأقول سبحان الله، لقد سخرني الله عز وجل لأقوم بخدمة الدعوة التي وضع أسها وأصلها حسن البنا نفسه، فقمت أنا بخدمتها من حيث تفصيل بعض النواحى منها وإلا فالتفصيل التام الشامل في إعتقادى لا يستطيع أن يقوم به إلا جماعة كثيرة من أهل العلم والتخصص في علوم الكتاب والسنة ومن مختلف البلدان الإسلامية.

فأستغرب حينما نجد مشاكسة ومعاكسة من بعض الأفراد ممن ينتمون إلى الإخوان المسلمين، وأنا رجل اعتدت المصارحة ولا أعرف إن شاء الله للمداهنة معنى، لقد كنت أعيش في دمشق طيلة هذه المدة وليس هناك هذه الإشاعات التي نسمعها وأنا في هذه البلاد في الأردن وفي عمان بصورة خاصة، فعشنا مع الإخوان

المسلمين حينما كان لهم وجودهم العلنى، وبعد ذلك أيضا كما ذكرنا لكم كـــانوا يترددون على دروسنا ويحضرون مصلانا في العيد وهكذا حتى جئت إلى هذه البلاد أو بمعنى أدق بدأت أتردد على هذه البلاد قبل أن أستوطنها منذ نحو عشر ســـنوات تقريبا، بدأت أتردد أيضا في سبيل نقل الدعوة إلى هذه البلاد بشئ مـــن التوضـــيح والبيان كما جرينا على ذلك في البلاد السورية، وبدأنا نجد آذانا صاغية أيضا مـــن كثير من الشباب – شباب الإخوان المسلمين حتى وصل الأمر بـــبعض مراكـــزهم وبصورة خاصة أو بعبارة واضحة في الزرقا إذ فتحوا لى مقرهم ورحبوا بى أن ألقى المحاضرات فيه، وقد فعلت فعلا، و لم يمض زمن طويل حتى بدأ الشباب – شـــباب الإخوان المسلمين يتجاوبون مع الدعوة بصورة ليست غريبة عندى لأنى لمست مثلها هناك في سوريا، ولكن وجدنا بعد ذلك موقفاً غريباً وعجيبا جداً:

أولاً: من حيث أننا مسلمون جميعا، وثانياً : من حيث أنهم قلبوا لنا ظهر المجـــن فبينما كانوا يدعونا لإلقاء المحاضرات هناك فإذا بهم يصدون أفرادهم عنا صدودا إلى درجة أن وقعت بعض الحوادث الغريبة والغريبة جداً، وبخاصة في صفوف أو في دائرة الإخوان المسلمين وهم الذين إن كنا نأخذ عليها شيئا، وهو الذي نصرح به دائمـــا وأبداً وهم أنهم يقنعون بتجميع المسلمين ويوحدون كلمتهم على إســـلام دون أن يدخلوا في التفاصيل حتى فيما يتعلق بالعقيدة، حتى في بعض الجوانب التى لا يجـــوز السكوت عنها، فكنت لما صدمت تلك الصدمة فكنت أتسائل: أين الدعوة العامـــة التى كان أعلنها حسن البنا رحمه الله بقوله، إن دعوتنا سلفية صوفية، وإن كان هـــو فسر هذا تفسيرا لا يتنافى بادى الرأى مع الدعوة السلفية، ولكن من حيـــث واقـــع الإخوان المسلمين فبلا شك، فيهم السلفى، فيهم المذهبى، فيهم الصوفى، هكذا قامت دعوتهم وعلى هذا الأساس تكتلوا، فعجبت لهذه المفاجأة، حينما أرســـلوا بعـــض

إخوانهم من الذين مضى عليهم سنين طويلة في صفوف جماعة الإخوان هنا أرسلوا إليهم يذكرونهم ويطلبون منهم أن يمتنعوا من التردد على دروس الشيخ الألباني.

وجرى نقاش طويل بينهم وبين الأخوين المشار إليهما وكما هي أصولهم وعادتهم أنهم يمهلون الفرد منهم كإنذار أنه إذا استمر على ما يرونه مخالفا لخطتهم أن يجمدوه ثم يفصلوه، وهكذا كان الأمر فأرسلوا وراءهما وناقشوهما في القضية من جديد، قالوا يا جماعة ما ندري هذا الموقف من الشيخ لماذا، الشيخ يصرح بأنه لا يدعو إلى التكتل ولا إلى التحزب، كل ما فيه أنه عنده معلومات كما يقول هو يريد أن ينشرها للناس ولا فرق عنده بين إخواني وغير إخواني وصوفي وغير صوفي، وسلفي وغير سلفي، فالدعوة للناس جميعا، فلماذا هذا الإصرار بأن تفصلونا وتبعدونا عن حضور حلقات رجل ونحن مضى علينا سنتين أو ثلاث سنوات وقد شعرنا بالفرق بين ما كنا عليه من الجهل بالإسلام الصحيح وما نحن عليه الآن من المعرفة فلماذا هذه المعاداة؟؟

وكان جوابهم ايضا جوابا عجيبا أنه لا يجوز الجمع بين ولاءين، فالولاء إما للدعوة أي دعوة الإخوان وإما للشيخ، فأجابوا أيضا هؤلاء الإخوان أن الشيخ لا يدعو للتكتل ولا للتحزب بل هو يكمل حركتكم ويوضح بعض المسائل التي أنتم منصرفون عنها بنظامكم القائم، فكانت النتيجة أن فصلوا نهائياً.

ثم بدات بعد ذلك كانت أمور تجد وإشاعات وأكاذيب عجيبة وعجيبة جدا أتبعها قرار صريح صدر من الجماعة هنا ووجه إلى كل أفراد الإخوان المسلمين أنه لا يجوز لهم أن يحضروا حلقات الشيخ الألباني فازددنا تعجبا، ومع ذلك فأنا أعرف أن طبيعة الشباب الإخوان لا يمكنهم أن يتجاوبوا مع مثل هذا القرار وقد سميته فعلا

قراراً جائراً، لأن الإخوان متعطشون إلى معرفة الكتاب والسنة، فهكذا كان الأمـــر فعلى الرغم من صدور هذا القرار الصريح إلى درجة أن بعض كبارهم ورؤوســـهم كانوا يترددون علينا ليتفقهوا في دينهم وأصبح هؤلاء من بعض الـــرؤوس يجافوننـــا وربما إذا تقابلنا في الطريق ابتعدوا عنا وهكذا بسبب هذا القرار الجائر، ولمـــا قيـــل لبعضهم أنت نعرفك رجل مسلم متخلقا ودارسا للفقه الإسلامى فكيف تعـــاملون الشيخ هكذا؟ كان الجواب هذا قرار القيادة ويجب أن نخضع لها وعلى كل حال هذه لها مدة.

وفعلا هذا القرار كما اعتقدت لم ينفذ ورجع بعض هـــؤلاء رؤوس الإخـــوان يترددون علينا كما كانوا يفعلون من قبل، ومن هذه الأكاذيب الكثيرة والكثيرة جداً هو أننا نضلل أو نكفر حسن البنا وسيد قطب.

بالنسبة لحسن البنا ليس عندى مثل هذا الكلام ولو أنه فهم فهماً خطئـــاً، أمـــا بالنسبة لسيد قطب فقريبا سمعت لأحد رؤوسهم من بعد أن انتهى مفعول هذا القرار زارني وجا إلى هنا وانتظرني ساعات فلما لم يجدني رجعت جـــاء إلى دار صـــهري فوجدني هناك فجلسنا ساعة وأكثر فدار بحث ونقاش فعتبت عليه الموقف الســـابق وإذا به ولأول مرة يكشفون لي عن سبب الذى حملهم على إصدار مثل هذا القرار يقول أنت كفرت سيد قطب فقلت: سبحانك هذا بهتان عظيم يا دكتور فلان هل أنت سمعت منى هذا الكلام؟ قال: لا، فقلت: طيب، فأين تأدبكم بالآداب الإسلامية أين أنتم وقول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَـــأٍ فَتَبَيَّنُـــوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" الحجرات ٦، أين أنتم من قول الرسول الكريم " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع " لا سيما مثلا أولا: خطأ

كبير مني أن أكفر رجلا مسلم أقل ما يقال كيف وهو داعية، ثانيا بالنسبة لكـــم في (تثقون) في هذه التهمة وأنا كنت متردد سابقا عليكم ثم جئت بلدكم وأصبحت بين ظهرانيكم، فهلا أرسلتم أحدا يتثبت من هذا الذى وصلكم، فأنا أقول لك يا فلان: نحن لا نكفر من هم في الحقيقة يستحقون التكفير لخروجهم عن دائـــرة الإســـلام بسبب عقيدتهم الفاسدة إلا بعد إقامة الحجة عليهم هذا من عقيدتنا.

من عقيدتنا أن المسلم قد يقع في الكفر لكننا لا نقول أنه كافر لأن تكفير المسلم أمر خطير جداً، ومن الحيطة التي وقع فيها علماؤنا الفقهاء أن وصل بعضهم إلى أن قال لو كان عندنا مائة قول في مسألة ف ٩٩ من هذه الأقوال تكفر من وقع في هذه المسألة وقول واحد فقط لا يكفر نأخذ بهذا القول حيطة لديننا لما في الوعيد الشديد في الأحاديث الصحيحة لقوله عليه الصلاة والسلام: "من كفر مسلما فقد كفـــر" فنحن لا نكفر من نعيش معهم ونسمع منهم وحدة وجود فكيف نكفر إنسانا ذل به لسانه أو ذل به قلمه؟؟ ولكننا لا نحابي في دين الله أحدا فنقول هذا الكلام كفر، فلا تلازم عندنا في عقيدتنا أولا ثم في الناحية العلمية ثانيا بين أن يتكلم الإنسان بكلمـــة الكفر وبين الحكم عليه بأنه كفر وارتد عن دينه، وعندنا أمثلة كـــثيرة مـــن حيـــاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة مع أصحابه، فهناك مثلا الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عباس، أن النبى صلّى الله عليه وعلى آله وسلم خطب يوماً في الصحابة، فقام رجل وقال له ما شاء الله وشئت يا رسول الله، فقال له عليه السلام: "أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده"، أظن أن أمثال هؤلاء الناس الذين يسمعون فيما نقول أن هذا كـــلام كفـــر يســـتلزمون أن الرسول صلّى الله عليه وسلم كفر هذا الرجل والحقيقة أنه ما زاد على أن رده وقال:

"أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده" بين له الخطأ وأتبعه ببيان الصواب، وذلك هو طريق كل مسلم يفهم حقيقة دعوة الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقلت للرجل: هذا هو موقفنا، فقال الرجل: طيب ماذا قال سيد قطب؟، فجئنا بكتاب التفسير الظلال وجئنا بمجلدين أحدهما في تفسير سورة الحديد أظن والآخر في قل هو الله أحد، فقرأ أحد الجالسين فهنا، وأظنكم على إطلاع بما قال، فظاهر كلامه أنه لا وجود إلا وجود الحق وهذا هو عين القائلين بوحدة الوجود، كل ما تراه بعينك فهو الله، و (أهل الظاهر) هي مخلوقات ليست شيئا غير الله، وعلى هذا تأتي بعض الروايات التي تفصل هذه الجرائم الكبرى مما يروى عن بعض الصوفيين القدامى: من كان يقول سبحاني سبحاني ما أعظم شاني، هذا الكلام كله في الموطنين من التفسير، أنا أقول لعله سيد قطب رحمه الله قرأ شئ من هذه الصوفيات فتأثر بها وهو رجل أديب فثبتها في التفسير فخرج منه هذا الكلام لأنه في الواقع في مواطن أخرى، (يقول:) جمهور المسلمين يعني أهل السنة والعقيدة الصحيحة يقولوا الفرق بين الخالق والمخلوق على خلاف عقيدة وحدة الوجود، فأنا قلت لهذا الرجل، هذا الكلام أخي، هذا كلام كفر لا يجوز إقراره ولا يجوز ابقاؤه، وأنا في إعتقادي والدين النصيحة أن هذا الكتاب إذا طبع من الجماعة أنفسهم الإخوان المسلمين فمن الواجب عليهم لا أقول أن يغيروا العبارة نفسها وإنما أن يعلقوا عليها بحيث أن لا يتورط فيها بعض من لا علم له من العقيدة الإسلامية الصحيحة، أما السكوت عليها فلا يجوز كما هو معروف في علم الفقه.

الخلاص بحث الرجل وقدم وأخر فلم يستطع أن يجد لتلك الجمل معناً إلا هذا المعنى الظاهر، لكن انتقل إلى مواطن أخرى معروفة يصرح فيها بان هناك خالق

وهناك مخلوق، والخالق غير المخلوق، وهذه الاشياء والحمد لله من فطرة المسلمين جميعا.

فالشاهد اقاموا هذا القرار الجائر على مجرد كلمة بلغتهم وأقل ما يقال فيها ما يقال (منذ القديم): وما آفة الأخبار إلا رواتها.

وأخيرا بدأت – لما استقررت هنا – إشاعات عجيبة وعجيبة جدا وما أدرى من أين تصدر في الواقع ولكن مع الأسف نظن أن بعض المتحمسين من أفراد الإخوان المسلمين هم ممن يشيعون هذه الكلمات، فكل هذه الأشياء إشاعات لا نقيم لها وزنا، بالمقدار الذى فوجئت به من مجلتكم مجلة المجتمع التى كانت تصدر ولا تزال وكانت تتحفنا بأن ترسل إلينا – لا أستطيع أن أقول أحيانا لأنها كانت تأتينا أحيانا أم بصورة مطردة ولكن هناك (تسرق) (...) أو لأي سبب، وفى الوقت الذى كانت المجلة كأن فيه هناك ارتباط معنوى روحي قائم بينى وبينها، يدلنى على ذلك أنها تقدم إلينا هذه المجلة هدية بصورة متتابعة فإذا بنا نفاجئ بمناقشة أجروها بين أخ لنا من أنصار السنة في السودان يمكن إسمه عبد القادر حسن، وإذا بهذه المجلة تسطر ما نسمعه هنا من أن الشيخ الألبانى ضد الإخوان المسلمين ولعلهم أيضا – إن لم أكن أخطئ – ذكروا أنه يكفر أو يضلل أو ما شابه ذلك.

أقول خلاصة ما تقدم وباختصار أنا لا أعادى الإخوان المسلمين بل أعتبرهم أنهم يوطدون للدعوة السلفية ويهيئون الأفراد ليتقبلوا هذه الدعوة، وهذا ألمسه في طيلة حياتى التى لا تقل عن خمسين سنة في الدعوة وأنا أعرف هذه الحقيقة، ولكنى آخذ عليهم كجماعة شيئا وآخذ على بعض الأفراد أو الكثير من الأفراد أشياء أخرى، وهؤلاء الأفراد يختلفون بين سوريا وبين الأردن فآخذ عليهم مثلا أنهم لا يهتمون

بتركيز العقيدة الصحيحة في أفراد الأخوان المسلمين بل زيادة على ذلك لا يلقنوهم الأصول التي ينبغى أن يرجع إليها هؤلاء الشباب ليزول الخلاف الموجود واقعيا بينهم، من سلفي، ومن مذهبى، من صوفى، ونعتقد أن الوحدة التي ينشدونها لا يمكن أن تقوم لها قائمة في دائرة الإخوان المسلمين على الأقل وفيهم هذه الخلافات الجذرية الأصيلة على خلاف ما يتظاهر بعضهم من المتعصبة للمذاهب والذين يقولون أن الخلاف بالفروع ليس بالأصول، ولسنا الآن بهذا الصدد.

فأنا آخذ على الإخوان كجماعة بعض الأشياء وآخذ على بعض الأفراد منهم أشياء أخرى، فالجماعة أنا أعتقد وقد مضى عليهم نصف قرن من الزمان أو أكثر، أنا أعتقد أنه يجب عليهم أن يلتفتوا إلى تصحيح مفاهيم افراد الإخوان المسلمين وخاصة ما كان منها في العقيدة وهذا يكون الخطوة الأولى في سبيل التوحيد بين أفراد الإخوان المسلمين أولا ثم التوحيد بينهم وبين عامة المسلمين ثانيا، بالإضافة إلى هذا أنهم لابد أن يخطوا الخطة الذى خطها أقول حسن البنا رحمه الله حينما وافق على النهج الذى سلكه صديقنا السيد سابق في تأليفه لكتاب فقه السنة، فأنتم تذكرون تقرير حسن البنا لهذه الخطة التي وضعها السيد سابق جزاه الله خيرا فارى تناقضا عجيبا جدا في صفوف الإخوان المسلمين.

هذا الكتاب الذي أنصح دائما وأبدا الشباب حينما يسألونى لأدلهم على كتاب في الفقه القائم على الكتاب والسنة أقول لا أجد لكم خيرا من كتاب فقه السنة للسيد سابق وإن كان لى ملاحظات على ذلك، لأن الأمر في الواقع كما قال الإمام الشافعى رحمه الله "أبى الله أن يتم إلا كتابه" وأنا لما كتبت نقدا على الجزء الأول والثانى والثالث من فقه السنة إشارة إلى أني متعاون معه ولست مضاد له ولذا سميت

كتابى تمام المنة في التعليق على فقه السنة، أجد هذا الكتاب الذى أعتقد أنـــه كـــان ينبغى أن يكون من منهج الإخوان المسلمين فرض هذا الكتاب على كل فرد ينتمى إليهم كما يفرضون عليهم رسائل حسن البنا رحمه الله، فأجد الأمر على النقيض من ذلك.

أجد مثلا في دمشق الشام، اجد بعض السرايا يتدارسون هذا الكتاب وســـرايا أخرى يتدافعونه ويرفضونه بحجة هذه الكلمة التى أتمنى أن يقضى عليهـــا القرضـــة والسوس ياكلها، بحجة هذا الرجل وهابي، وأكثر من هذا بعض الأقاليم في الشمال الشرقي من سوريا كل الجماعة من رئيسها إلى مرؤوسيها يرفضون هـــذا الكتـــاب رفضا باتاً بنفس الحجة المذكورة الواهية، لماذا هذا التنافر وكيف أستطيع أن أتصور أن جماعة الإخوان المسلمين متحابون متوادون وفيهم السلفى الـــذى في المؤلفـــات القائمة الآن لا يرضى بديلا في الفقه بدل كتاب فقه السنة للسيد سابق وآخـــرون يظلون يقرؤون في الكتب التى أعتقد إنه يصح أن يطلق عليها أكل الـــدهر عليهـــا وشرب، مراقي الفلاح في الفقه الحنفي، حاشية الباجوري في الفقه الشـــافعي، وفى كل من الكتابين كما كنت ألمحت لك في الإجتماع السابق كلمات يندى لها الجبين من ذكرها ولست انا الآن في صددها والحر تكفيه الإشارة كما يقال.

كيف يمكن لأفراد الإخوان المسلمين أن يكونوا فعلا موحدين كمـــا وضـــعت الدعوة من أجل ذلك وفى أفرادها هذا التنافر البعيد في البلدة الواحدة والإقليم الواحد في سوريا المنهج مختلف تماما في الثقافة الفقهية الإسلامية، وهنا وجدت أنا إقبالا على الدعوة السلفية بسبب هذه الحركة التى نحن ندعو إليها ولا نخـــالف مـــن الناحيـــة السياسية أحد لأنه كما قال الله تعالى: "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ"

البقرة ١٤٨، وأنا أقول – وأتمنى أن يقول مثل قولى كل الجماعات الإسلامية – أنا أقول الإخوان المسلمين لا يستطيعون أن يقوموا بواجب الإسلام وحدهم، السلفيون كذلك، حزب التحرير كذلك، وأى جمعات إسلامية أخرى، هؤلاء جماعات أعتقد وجودهم ضرورى، لأن جماعة واحدة منهم لا تستطيع أن تقوم بكل واجب يفرضه الإسلام على الجماعة الإسلامية، وإنما هذه الجماعات يجب أن تقوم كل منها بواجبها فقط ولكن بشرط واحد أن يكونوا جميعا في دائرة واحدة متفقين على الأسس والقواعد التي ينبغى أن ينطلقوا منها ليتفاهموا ويتقاربوا.

لا شك أنه لا منافاة فيما يتعلق بالأمور أو بالصنائع المادية مثلاً بين حداد وبين نجار وبين طيان وبين وبين، إلى آخره ولا يستطيع جماعة الحدادين أن يقوموا بوظيفة النجارين ونحو ذلك ولكن هؤلاء إذا كانوا متنابذين وإذا كانوا متحاربين لا يستطيعوا أن يقيموا بناء بناية أو قصر مثلا، وأولى وأولى بأن يقيموا هذا القصر المشيد إقامة الحكم الإسلامى أو الدولة الإسلامية، وأنا على يقين أنه لا السلفيين وحدهم يستطيعون ولا الإخوان المسلمين وحدهم يستطيعون ولا أى من الجماعات ولا الأحزاب، ولكن هذه الجماعات إذا توحدت في دائرة واحدة وتعاونوا كل منهم في حدود إختصاصه فيومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وعلى ذلك نحن ماضيين لا نعادى طائفة أو جماعة من الجماعات الإسلامية إطلاقا، لأن كل جماعة كما صرحت آنفاً تكمل النقص الذى يوجد عند الجماعة الأخرى، هكذا أعتقد ينبغى أن تكون علاقات الجماعة الإسلامية بعضهم مع بعض، والذى نراه مع الأسف الشديد هو خلاف هذا الواجب الذي ينبغى أن تجتمع الجماعات الإسلامية عليه.

فالأخوان المسلمون الذى وجه السؤال عن موقفنا منهم، يعاملوننا بخلاف مـــا نعاملهم به، نحن نقدر جهودهم كجماعة يدعون إلى تكتل المسلمين واجتماعهم تجاه الحوادث والمصائب التى تلم بالمسلمين وإن كان كما قلت آنفا وحدهم لا يكفى أن يقوموا بهذا الواجب، لابد أن يكون معهم جماعات أخرى فبدل من أن تكمل كـــل من الجماعات السلفية والإخوانية الأخرى، نجد الإخوان المسلمين بصورة خاصـــة استطيع ان اقول في هذه البلاد الأردنية، أستطيع أن أقول هم الذين ينشرون العـــداء والبغضاء بين السلفيين والأخوان المسلمين وليت الأمر وقف في حـــدود الأفـــراد والأشخاص الذين ليس لهم وزن في الأخوان المسلمين، فكل جماعة وحتى صـــحابة الرسول عليه الصلاة والسلام كان فيهم كما يقول بعض الفقهاء القدامى الأعـــرابى البغال على عقبيه وفيهم كبار الصحابة مثل الخلفاء الراشدين وغيرهم، وأولى وأولى أن يكون أمثال ذلك الأعرابى في كل جماعة كانوا سلفيين أو كانوا الأخوان المسلمين أو غيرهم.

فاقول ليت أن الإشاعات التى تزيد الفرقة بين الجماعتين تنبع من أفراد عاديين في الأخوان المسلمين إذن لكان الخطب سهل لكن الواقع أن الأمر تعـــدى إلى بعـــض المسئولين منهم، أو كما هم يقولون بعض القياديين منهم، هم مثلا يتقولون أقاويـــل كثيرة التى سمعتموها واضطرتكم إلى أن توجهوا مثل هذا السؤال الصريح، فـــبعض القياديين منهم كتبوا في بعض مؤلفاتهم ما يشعر (الراكض) على هـــذه الكتابـــة أن القياديين أنفسهم هم ينظرون إلى السلفيين نظرة – لا أقول عدم تقدير – بل إحتقار وإزدراء ولكن كان الأمر وقف على ألسنة بعض الأفراد لهان الأمر، فنجد خلاف ما نعتقد أن كبار الأخوان المسلمين يعتقدون أيضا ما نعتقد من حيث أهميـــة الـــدعوة السلفية وضرورتها في هذا المجتمع الإسلامى وبخاصة اليوم، وأنه لا يمكن أن تقـــوم

قائمة للجماعات الإسلامية إلا على أساس الكتاب والسنة، كبار الأخوان المسلمين نعرفهم هم معنا لكن هنا الواقع خلاف ذلك.

فتجد مثلا كتيبا صغيرا ألفه أحد دكاترهم هنا والقياديين منهم سماه الدعوة الإسلامية ضرورة إجتماعية، وكتب اسم مستعار وهذا في الواقع مما يؤخذ على رجل قيادي في الجماعة، فلماذا يتستر؟ – دعنا من هذا أمر هامشى – وفيه يتعرض لحزب التحرير ويتعرض للسلفية، يقول ماذا يوجد عند السلفيين، يقول عندهم: تحريك الأصبع في التشهد سنة، تعليق الساعة الدقاقة في المسجد بدعة هذا هو الموجود عند السلفيين، ومن العجائب يا أخواننا الحاضرين وأخانا السائل بصفة خاصة أن هذا أخانا الذى ألف هذه الرسالة كما يعرف كثير من الحاضرين كان يجلس كما أنتم جالسون الآن يستمع بل ويكتب كل ما يسمع ليستفيد علما، وهو رجل متواضع فاضل لكنى أعتقد أن منهج الدعوة التى فرضت عليه الآن وجهته إلى أخرى، وجهته على ألا يأتمر بأمر الله عز وجل، أو لا ينتهى حيث نهاه الله عز وجل في مثل قوله: " .... وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .... " الأعراف ٨٥ ... " ...... وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ...... " المائدة ٨، فهو يعرف هذه الحقيقة التى كانت تدفعه إلى أن يحضر مجالس الألبانى بكل تواضع ويكتب كل ما يجيب عليه من أسئلة، وإذا به يقول إيش عند السلفيين؟ ما عندهم سوى تحريك الأصبع في التشهد سنة، تعليق الساعة الدقاقة في المسجد بدعة.

ثم يأبى الله عز وجل إلا أن يظهر الحقيقة على قلم هذا الكاتب فبعد قليل يقول: فمن الذى يتعاطى كتب السلفيين وينشرها سوى الشباب المؤمن لولاهم لكسد و لم ينفق سوق كتب الدعوة السلفية هو لم يبق عليه سوى أن يسمى الشيخ الألبانى، هذا

يا أستاذ يدلك إلا أن الجماعة – فعلا الآن نحن مؤمنون بهذا وأرجو ربنا ان يصـــلح الحال هم ينطلقون منطلقا حزبيا ليس إسلاميا، لأن الإسلام يقول الحق دائما وأبدا، هذا صواب وهذا خطأ، أما أن ننكر جهود جماعة أو شخص من هذه الجماعة بعينه – ليس عنده إلا أمور – ولا طالما سمعناهم يقولون أمور تافهه وهذه أمـــور تفـــرق الصف وتصدع الكلمة وو إلى آخره، وأصبحت هذه أشياء تكتب وتنشر بين أفراد الأخوان المسلمين وليس من ناس حياديين.

ومع ذلك نستمر نحن ماضون في دعوتنا ولا فرق بيننا وبين المسلمين عامـــة إلا أننا نعتقد أن ما ندعوا إليه هو الحق مثل ما أنكم تنطقون وجرت محاولات كـــثيرة ههنا من أجل لقاء ودائما نحن نمد يدنا اليمنى للأصحاب لنتلاقى ولنتفاهم فيـــأبون اللقاء والإستماع. آخر شيء جرى لا أظن أكثر من شهر، يمكن تعرف أحد أخواننا الفلسطنيين على الخشام؟

السائل: نعم أعرفه شخصيا.

الشيخ: تعرفه شخصيا؟ نعم، هذا الرجل هو من الأخوان السلفيين الذين دخلوا في الأخوان المسلمين.

السائل: أعرف ذلك.

الشيخ: ذهب إلي قطر، – وتعرف أيضا أنه في قطر؟

السائل: نعم

الشيخ: أتصور والله أعلم لأنه أقيس نفسى هنا، فأنا جئت هنا تحرك الأخـــوان ضد الدعوة السلفية حركة عجيبة، أقول ذهب إلى هناك باعتبـــاره مـــن الأخـــوان المسلمين أتصور إن الأخوان المسلمين التموا حوله وصاروا يحركـــوا وأن الشـــيخ الألبانى يعمل كذا ويقول كذا ويعادى الجماعة ويجرحوا والأمور الخلافية نتركهـــا جانبا وكذا والكلام وراح الرجل تجاوب مع حماس الجماعة، وكتـــب لى خطـــاب طويل، والحقيقة أنا عتبت عليه، لأنه لو كان رجل عادى ما يعرفنا ويعيش معنا ومن كبار أخواننا في دمشق وكيف يعرف أننا دائما نتقدم في طلب إجتماع ولقاء وهـــم يأبون فعجبت كيف إنه تحمس هالتحمس وقعد يقول نتناسى الماضى وأن الوضع في سوريا كذا وكذا إلى آخره، على كل حال كان إنه كتب في آخر الخطـــاب أنـــه سيأتى إلى عمان في طريقه إلى العمرة وفعلا جاء وبعد السلام والكـــلام والتحيـــة والإكرام قلت هل أنت غشيم بنا وأنت تعلم مواقفنا مع كل الجماعات ليس فقـــط الأخوان المسلمين، وهم يمتنعوا، فما هذا؟ قال ولكن الوضع في سوريا قلـــت: مـــا الوضع اتفضل، أنت جئت الآن، نحن مستعدون للقاء مع الجماعة، قال طيب، وراح يوم ويومين وثلاثة وكلما اتصلنا على شخص يحولونا إلى شخص آخر بدعوى أنـــه يستطيع أن يفعل أو يؤثر، وأخيرا التقى مع شخص، قال أجيب لك الجواب، فجاء الجواب بالرفض، فماذا نعمل؟؟؟؟

نحن نسعى للقاء وهو يأبون، أحد شيئين فإما نحن في إعتقـــادهم غـــارقون في الضلال ميئوس من هدايتهم – يئسوا من لقاء الشيوعيين أمثالهم – أو ما أدرى مـــا أقول غير هذا أو عكس هذا، يأبون علينا غير هذا، قبل مجيئ الشيخ عليّ بنحـــو ٦ أشهر أو ٧ أشهر كنت لا أزال أتردد كعادتى كل شهر أو شهرين إلى هنا فجئـــت وإذا بصهر لي يقول أحد الإخون المسلمين يريد يهيئ لك لقاء مع بعض رؤوســـهم

على دعوة عشاء، قلت حسنا، خليني التقى مع هذا الرجل، وهو لعلكم تعرفونه الدكتور أحمد قرعاني، وهو دكتور دمث الأخلاق وأيضا عنده تجرد وإنصاف فمن إنصافه دعى هذه الدعوة أو حاول لأنه ما نجح للأسف أيضا فالتقينا به وفهمت غرضه، وقلت طيب أنا إن شاء الله بكرة أو بعد بكرة مسافر وقبل عودتي إليكم أحدد لك الأسبوع الذي يمكن أن أكون عندكم لكي تتهيئ للقاء وما أظن أن فيه عندكم مانع أنه يكون معي بعض إخواني، قال طيب، ورجعت أنا إلى دمشق وكنت ناوى أن أحضر أخونا سعيد عباس – وما أظن أنك تعرفه شخصيا – وكان سجين مع السجناء، فك الله سجن الجميع، المهم أني التقيت مع أخونا هذا وأخ لنا ثاني ووفقنا بين الأوقات حتى نستطيع ان نبعث هنا الأسبوع الذى ممكن نأتيهم فيه، وكذلك بعثنا ورقة لصهرنا هنا يبلغ فيه الدكتور أحمد بأننا نحن سنكون في الأسبوع الفلاني وفعلا انتظرنا الجواب، وإذا الجواب يجيئ أن الجماعة رفضوا اللقاء، أنا على كل حال جئت حسب راحتي، وحكى لي التفاصيل، الدكتور أحمد لما بلغ الأشخاص الذين كانوا يدعيهم إن الشيخ الألباني بيجي بعد أسابيع وبيعين الوقت بس بيجيب واحد أو اثنين من إخوانه قالوا إن القضية بتصير رسمية واحنا ما نستطيع أن نعقد اجتماع رسمى إلا بإذن من القيادة فبنشاور، فشاوروا فجاءهم جواب بالرفض.

وهكذا كلما مددنا يدا رفضوا التلاقى والإتصال، وهكذا نعيش، نحن نتقدم إليهم وهم يتأخرون عنا ومع ذلك أقول بصراحة ولا مؤاخذة، رمتني بدائها وانسلت، فنسال الله أن يحسن ويصلح أحوال المسلمين جميعا، هذا ما لدي الان من الكلام جوابا على هذا السؤال وجزاك الله خيرا.

السائل: فضيلة الشيخ جزاك الله خيرا، فضيلة الشيخ أنا شاهد وقد عشت مع الأخوان منذ بداية الخمسينيات وأننا ما كنا نشعر في يوم من الأيام أنك غريب عنا و لم نكن نشعر كذلك بأن ما كنت تقدمه من انتاج علمى مغاير لما نحن عليه وطوال هذه الفترة التي عشناها في الأخوان وما زلنا لا نقبل عقيدة إلا عقيدة السلف الصالح وأيضا منهج السلف وهذا لا يتعارض مع أصل دعوة الإخوان

الشيخ: صح

السائل: وقد فصلت ذلك في حديثك بارك الله فيك

الشيخ: وفيك

السائل: مع الأسف هذا الموقف الذى تفضلت به من قيادة الأخوان في الأردن يتعارض أصلا مع الخط الذى سلكه البنا رحمه الله والذى أشرت إليه قبل قليل، البنا رحمه الله كان على علاقة وثيقة مع رشيد رضا ومع محب الدين الخطيب وكان يعتمد عليهم وكان يشعر بأن دعوة الإخوان تستفيد من العلماء المحققين، والأخطاء لابد أن تقع في عصره وفى كل عصر والبنا رحمه الله قال في (الجزء، البند) السادس من رسالة التعاليل، ما أكده الأئمة السابقون بأن كلامه إذا تعارض مع الكتاب والسنة فيجب أن يرمى به عرض الحائط، فأتعجب من هؤلاء غفر الله لنا ولهم، كيف يدرسون حياة البنا ومنهجه ثم يلجؤون إلى مثل هذه المواقف المؤسفة، والحقيقة أننى أعلم الجواب الذى تفضلت به من صلتك بالإخوان ومن حبك لهم ومع هذا فلابد من (التشبيه) وماذا يضير الإخوان إذا كان منهج السلف والطريقة العلمية في التحقيق وفهم الأمور هى الأساس في دعوتهم.

ولكن بكل أسف دخل في الأخوان كثير من أصحاب الهوى ومـــن الخـــرافيين وهؤلاء لا تتصور عقولهم أن تعم كتب الشيخ ناصر ودعوته في كل مكان، فلجـــؤا إلى مثل إشاعة الأراجيف وإلى دغدغة عواطف شباب الأخوان ليقولوا لهم إن الشيخ ناصر عدو للأخوان.

الفرقة الناجية

الفرقة الناجية هي المتبعة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهي بقية السلف، والمتفردة باتباع الكتاب والسنة بين بقية الفرق التي عصفت بها الأهواء، وذهب بها الرأي والشبهات كل مذهب.

وقد بين شيخ الإسلام في رسالة تناولت هذا الموضوع: أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية، وأورد الأدلة على ما ذهب إليه في هذا الشأن، وهنا ذكر الشيخ الألباني هذه الرسالة لبيان مذهب أهل السنة، وهو المذهب الذي ورثه الصحابة عن نبيهم وورثوه لمن بعدهم.

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقة الناجية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢] .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء:١] .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وقفتُ على مقالٍ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله، فيه بيان فضل أهل الحديث، وأن أهل الحديث هم الفرقة الناجية، وأنهم هم الذين ينبغي أن يتدين المسلم وأن يتمذهب بمذهبهم.

وكل من كان عنده شيء من الثقافة الإسلامية الصحيحة يعلم من هو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله، وبأوجز عبارة يمكن لمن لم يكن له ثقافة ما، أو معرفة ما بفضل هذا الرجل العالم، أن يعرف حقيقة علمه وفضله، إذا ما عرف أنه قد تيسر لبعض طلاب العلم في هذا الزمن، أن يجمع من فتاواه ورسائله التي ألفها جواباً على أسئلة السائلين له من مختلف البلاد الإسلامية في زمانه خمسة وثلاثين مجلداً من هذا القياس المعروف.

فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وجزاه عن الإسلام والسنة خيراً، هو في الواقع من نوادر العلماء الذين رفعوا راية السنة عالية، وقضى بها على مختلف البدع الدخيلة في الإسلام، سواءً ما كان منها من بدع فلسفية، أو اعتقادية، أو فقهية، أو صوفية، أو أي بدعة كانت يتبرأ الإسلام منها، فـ شيخ الإسلام كان هو الإمام

الوحيد الذي انبرى لمخالفة كل أصحاب البدع على اختلاف أنواعهم، وطـــرقهم، ومذاهبهم.

لذلك رأيتُ من الواجب عليَّ أن أذكر لكم شيئاً من كلام هذا الرجل، وخاصة أن هذا الكلام هو فيما ندعو إليه منذ أكثر من ثلث قرن من الزمان، ألا وهو: اتباع الكتاب والسنة، وعدم التمذهب بسوى هذا المذهب، ألا وهو مذهب أهل الحديث؛ لذلك أرى أن أذكر لكم فصلاً من كلامه؛ لتتبينوا أهمية مذهب أهل السنة، وهـــو المذهب الذي ورثه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وهؤلاء بدورهم ورَّثوه مَن بعدَهم ثم لم يزل كلُّ مَن جاء مِن بعدِهم، وكان يهتدى بهديهم، لا يرضى بســوى السنة له مذهباً.

أهل العلم والدين ورثة رسول رب العالمين

يقول شيخ الإسلام: بسم الله الرحمن الرحيم " {الْحَمْــدُ لِلَّــهِ الَّــذِي خَلَــقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَــرُوا بِــرَبِّهِمْ يَعْــدِلُونَ} [الأنعام:١] ، العالم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، الذي {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس:٨٢] .

الذي {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَــالَى عَمَّــا يُشْرِكُونَ} [القصص:٦٨] .

{وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَــهُ الْحُكْــمُ وَإِلَيْــهِ تُرْجَعُونَ} [القصص:٧٠] .

الذي دلَّ على وحدانيته في إلَهيَّته أجناسُ الآيات، وأبانَ علمُه لخليقتِه ما فيها من إحكام المخلوقات، وأظهر قدرتَه على بريته ما أبدعه من أصناف المخلوقات، وأرشد إلى فعله بسنته تنوُّع الأحوال المختلفات، وأهدى برحمته لعباده نعمَه التي لا يحصيها إلا رب السماوات، وأعلم بحكمته البالغة دلائلُ حمده وثنائه الذي يستحقه من جميع الحالات، لا يحصي العباد ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه بما له من الأسماء والصفات، وهو المنعوت بنعوت الكمال وصفات الجلال التي لا يماثله فيها شيءٌ من الموجودات، وهو القدوس السلام المتنزه أن يماثله شيءٌ في نعوت الكمال أو يلحقه شيء من الآفات.

فسبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} [الفرقان:٢] .

أرسل الرسل {مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} [النساء:١٦٥] ، مبشرين لمن أطاعهم بغاية المراد من كل ما تحبه النفوس وتراه نعيماً، ومنذرين لمن عصاهم باللعن والإبعاد وأن يعذَّبوا عذاباً أليماً.

وأمرهم بدعاء الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له، مخلصين له الدين، ولو كره المشركون، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون:٥١-٥٢] .

وجعل لكلٍ منهم شرعة ومنهاجاً؛ ليستقيموا إليه ولا يبغوا عنــه اعوجاجــاً، وختمهم بمحمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أفضل الأولين والآخرين، وصــفوة رب العالمين، الشاهد البشير النذير، الهادي السراج المنير، الذي أخرج به الناس مــن الظلمات إلى النور، وهداهم {إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَــا فِــي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [إبراهيم:١-٢] .

بعثه بأفضل المناهج والشرع، وأحبط به أصناف الكفر والبدع، وأنــزل عليــه أفضل الكتب والأنباء، وجعله مهيمناً على ما بين يديه من كتب السماء.

وجعل أمته {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران:١١٠] يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، يوفُون سبعين أمة، هم خيرها وأكرمها علــى الله هو شهيد عليهم، وهم شهداء على الناس في الدنيا والآخرة، بما أسبغه عليهم مــن النعم الباطنة والظاهرة، وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة، إذْ لم يبقَ بعده نبي يبين ما بُدِّل من الرسالة، وأكمل لهم دينهم، وأتم عليهم نعمه، ورضي لهم الإسلام دينــاً، وأظهره على الدين كله، إظهاراً بالنصرة والتمكين، وإظهاراً بالحجة والتبيين.

وجعل فيهم علماءهم ورثة الأنبياء، يقومون مقامهم في تبليغ مــا أُنــزل مــن الكتاب، وطائفة منصورة لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم مَن خــالفهم ولا مَن خذلهم إلى حين الحساب.

وحفظ لهم الذكر الذي أنزله من الكتاب المكنون، كما قال تعالى: {إِنَّا نَحْــنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩] ، فلا يقع في كتابــه مــن التحريــف والتبديل، كما وقع في أصحاب التوراة والإنجيل.

وخصَّهم بالرواية والإسناد، الذي يُمَيِّز به بين الصدق والكذب جهابذة النُّقَّاد، وجعل هذا الميراث يحمله مِن كل خلفٍ عدوله؛ أهل العلم والدين، ينفــون عنــه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ لتدوم بهم النعمة على الأمــة، ويظهر بهم النور من الظلمة، ويحيا بهم دين الله الذي بعث به رسوله، وبيَّن الله بــه للناس سبيله، فأفضلُ الخلق أتبعُهم لهذا النبي الكريم، المنعوت في قوله تعالى: {لَقَــدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَــيْكُمْ بِــالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:١٢٨] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإله المرسلين، ومالك يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس أجمعين، أرسله والناس من الكفر والجهل والضلال في أقبح خيبة وأسوأ حال، فلم يزل صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في تبليغ الدين، وهدي العالمين، وجهاد الكفار والمنافقين، حتى طلعت شمس الإيمان، وأدبر ليل البهتان، وعزَّ جند الرحمان، وذلَّ حزب الشيطان، وظهر نور الفرقان، واشتهرت تلاوة القرآن، وأُعلن بدعوة الأذان، واســتنار بنــور الله أهــل البوادي والبلدان، وقامت حجة الله على الإنس والجان، لَمَّا قام المستجيب من المعد بن عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، صلاةً يرضى بها الملك الديان، وسلَّم تسلماً مقروناً بالرضوان.

صلاح التعبد بصلاح الطاعة والاتباع

أما بعد: فإنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد؛ إلا باتباع رسوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء:١٣-١٤] .

فطاعة اللهِ ورسولِه قطبُ السعادة التي عليها تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور، فإن الله خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] ، وإنما تعبدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله، ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ) ، أخرجاه في الصحيحين.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث العرباض بن سارية، الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره، أنه كان يقول في خطبته: (خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة) .

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحوٍ من أربعين موضعاً من القرآن، كقوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:٨٠] .

وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً * فَلا

وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء:٦٤-٦٥] .

وقوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:٣٢] .

وقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران:٣١] .

فجعل محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول، وجعل متابعة الرسول سبباً لمحبة الله عبدَه، وقد قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى:٥٢] .

فما أوحاه الله إليه يهدي الله به من يشاء من عباده، كما أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك هداه الله تعالى، كما قال تعالى: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} [سبأ:٥٠] .

وقال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة:١٥-١٦] .

فبمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغي من الرشاد، والزيغ من السداد، وأهل

الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار، وإيثار سبيل مَن {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء:٦٩] مِن سبيل المغضوب عليهم والضالين.

فالنفوس أحوج إلى معرفةِ ما جاء به واتباعِه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا، وذاك إذا فات حصل العذاب.

تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام

فحقٌ على كل أحدٍ بَذْلُ جُهْدِه واستطاعتِه، في معرفة ما جاء به وطاعتِه؛ إذْ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم، والسعادة في دار النعيم، والطريق إلى ذلك الرواية والنقل، إذْ لا يكفي من ذلك مجرد العقل، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نورٍ قُدَّامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة.

فلهذا كان تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام، وكان معرفة ما أمر الله به رسولَه واجباً على جميع الأنام، والله سبحانه بعث محمداً بالكتاب والسنة، وبهما أَتَمَّ على أمته المنة، قال تعالى: {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} [البقرة:١٥٠-١٥٢].

وقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [آل عمران:١٦٤] .

وقال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ} [البقرة:٢٣١] .

وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة:٢] .

وقال تعالى عن الخليل: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} [البقرة:١٢٩] .

وقال تعالى: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} [الأحزاب:٣٤] .

وقد قال غير واحدٍ من العلماء، منهم: يحيى بن أبي كثير، وقتادة، والشافعي، وغيرهم: الحكمة هي السنة - {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [البقرة:١٢٩] ، الحكمة هي السنة، لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يُتْلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدة أوجه من حديث أبي رافع، وأبي ثعلبة، وغيرهما أنه قال: (لا أُلفيَنَّ أحدَكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: بيننا وبينكم القرآن، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرمناه! ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه) وفي رواية: (ألا وإنه مثل الكتاب) .

اجتهاد أهل الحديث في طلب الحديث وحفظ الدين

ولما كان القرآن متميزاً بنفسه، بما خصه الله به من الإعجاز الذي بايَنَ به كلام الناس، كما قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء:٨٨] ، وكان منقولاً بالتواتر، لَمْ يسمع أحدٌ في تغيير شيءٍ من ألفاظه وحروفه؛ ولكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتبديل في معانيه بالتغيير والتأويل، وطمع أن يُدْخِل في الأحاديث من النقص والازدياد، ما يَضِلُّ به بعضُ العباد، فأقام الله تعالى الجهابذة النقاد، أهل الهدى والسداد، فدحروا حزب الشيطان، وفرقوا بين الحق من البهتان، وانتَدَبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن، من الزيادة في ذلك والنقصان.

وقام كلٌّ من علماء الدين بما أُنْعِم به عليهم وعلى المسلمين، مقام أهل الفقه الذين فقهوا معاني القرآن والحديث، بدفع ما وقع في ذلك من الخطأ في القديم والحديث، وكان من ذلك الظاهر الجلي الذي لا يسوغ عنه العدول، ومنه الخفي الذي يسوغ فيه الاجتهاد للعلماء العدول.

وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والإسناد، فسافروا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيه لذيذ الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد، وأنفقوا فيه الطارف والتِّلاد، وصبروا فيه على النوائب، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة، والقصص المأثورة، ما هو عند أهله معلوم، ولِمَن طلب معرفته معروفٌ مرسوم، بتَوَسُّدِ أحدِهم التراب، وتركِهم لذيذ الطعام والشراب، وتركِ معاشرة الأهل والأصحاب، والتصبُّر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال الصعاب، أمرٌ حببه الله إليهم وحلاه؛ ليحفظ بذلك دين الله، كما جعل البيت مثابة للناس وأمناً،

يقصدونه من كل فجٍ عميق، ويتحملون فيه أموراً مؤلمة تحصل في الطريق، وكما حبَّب إلى أهله القتال؛ الجهاد بالنفس والمال، حكمة من الله يحفظ بها الدين ليهدي المهتدون، ويظهر به الهدى ودين الحق الذي بعث به رسوله ولو كره المشركون.

فمن كان مخلصاً في أعمال الدين، يعملها لله كان من أولياء الله المتقين، وأهل النعيم المقيم، كما قال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس٦٢-٦٤] .

وقد فسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم البشرى في الدنيا بنوعين: أحدهما: ثناء المسلمين عليه.

الثاني: الرؤيا الصالحة، يراها الرجل الصالح، أو تُرَى له، فقيل: (يا رسول الله! الرجل يعمل العمل لنفسه فيحمده الناس عليه، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن) .

وقال البراء بن عازب: سئل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن قوله: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس:٦٤] ، فقال: (هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُرَى له) .

والقائمون بحفظ العلم الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرّبان، الحافظون له من الزيادة والنقصان، هم مِن أعظم أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين، بل لهم مزية على غيرهم من أهل الإيمان والأعمال الصالحات، كما قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة:١١] .

علم الإسناد والرواية من خصائص الأمة المحمدية

وعلم الإسناد والرواية، مما خص الله به أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وجعله سُلَّماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكـذا المبتدِعون من هذه الأمة أهلُ الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة؛ أهلِ الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم، والمعْوَج والقويم.

وغيرهم من أهل البدع والكفار، إنما عندهم منقولات يأثرونها بغـير إسـناد، وعليها مِن دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل، ولا الحالي مـن العاطل.

وأما هذه الأمة المرحومة، وأصحاب هذه الأمة المعصومة، فإن أهل العلم منهم والدين، هم من أمرهم على يقين، فظَهَر لهم الصدق من المين؛ كما يظهر الصـبح لذي عينين عصمهم الله أن يُجْمِعوا على خطأ في دين الله معقولٍ أو منقولٍ، وأمَرَهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء:٥٩] .

فإذا اجتمع أهل الفقه على القول بحكمٍ لم يكن إلا حقاً، وإذا اجتمـع أهـل الحديث على تصحيح حديثٍ لم يكن إلا صدقاً.

ولكلٍ من الطائفتين من الاستدلال على مطلوبهم بالجَلِيِّ والخَفِيِّ، ما يُعْرَف بـه مَن هو بهذا الأمر حَفِيّ، والله تعالى يلهمهم الصواب في هذه القضية، كما دلت على

ذلك الدلائل الشرعية، وكما عرف ذلك بالتجربة الوجودية، فإن الله {كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة:٢٢] لَمَّا صدقوا في موالاة الله ورسوله، ومعاداة مَن عَدَل عنه، قال تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة:٢٢] .

فضل علماء الحديث على سائر أهل العلم

وأهل العلم المأثور عن الرسول، أعظم الناس قياماً بهذه الأصول لا تأخذ أحدَهم في الله لومةُ لائم، ولا يصدُّهم عن سبيل الله العظائم، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه؛ عملاً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [النساء:١٣٥] .

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة:٨] .

ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح، مِن السعي المشكور، والعمل المبرور، ما كان من أسباب حفظ الدين، وصيانته عن إحداث المفترين، وهم في ذلك على درجات: - منهم المقتصر على مجرد النقل والرواية.

- ومنهم أهل المعرفة بالحديث والدراية.

- ومنهم أهل الفقه فيه، والمعرفة بمعانيه.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأمة أن يبلِّغ عنه مَن شَهِد لِمَن غاب، ودعا للمبلِّغين بالدعاء المستجاب، فقال في الحديث الصحيح: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

وقال أيضاً في خطبته في حجة الوداع: (ألا ليبلغ الشاهد الغائب) .

وقال: (نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه إلى مَن لَمْ يسمعه، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه.

ثلاثٌ لا يغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط مَن وراءهم) .

وفي هذا دعاءٌ منه لِمَن بلَّغ حديثه وإن لم يكن فقيهاً، ودعاءٌ لِمَن بلَّغه وإن كان المستمع أفقه من المبلِّغ؛ لِمَا أُعطي المبلِّغون من النضرة؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة، لدعوة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقال: نَضِرَ ونَضَرَ، والفتح أفصح.

ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث، يعظمون نَقَلَةَ الحديث، حتى قال الشافعي رضي الله عنه: إذا رأيتُ رجلاً من أهل الحديث، فكأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنما قال الشافعي هذا لأنهم في مقام الصحابة من تبليغ حديث النبي صـــلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقال الشافعي أيضاً: أهل الحديث حَفِظوا، فلهم علينا الفضل؛ لأنهم حفظوا لنا ".

انتهى ما وجده هذا الباحث من هذه الخطبة الرائعة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وله كلمات أخرى كثيرة وكثيرة جداً، مبثوثة في تضاعيف هذه المجلدات الكثيرة -كما ذكرنا لكم آنفاً- من الممكن أن يجمع منها المتتبع رسالةً خاصة في فضل أهل الحديث، وأنهم هم الفرقة الناجية، ويأتي على ذلك بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة.

حكم الاعتبار بفهم العامة للقرآن الكريم والسنة في استنباط الأحكام

السؤال

يقال: إن الدعوة السلفية تشترط أخذ الأحكام من الكتاب والسنة، دون اشتراط أخذها عن أهل العلم والاختصاص، فهل يمكن للعامي اعتماد فهمه للنص دون الرجوع إلى أهل العلم؟

الجواب

إن ما نسمعه كثيراً وكثيراً جداً من بعض الناس الذين لم يفقهوا و لم يفهموا الدعوة السلفية، لا من أشخاص الدعاة إليها مباشرة ولا من مؤلفاتهم، وإنما فهموا الدعوة السلفية من خصومهم وأعدائهم، وهؤلاء هم الذين يأتون بمثل هذا البلاء في سوء الفهم لهذه الدعوة، كثير من الناس ينقلون عنا، وبعضهم يتصل بنا، وبعضهم يحاربنا ويطعننا في الخفاء، ويقول: بأننا نحن ندعو المسلمين جميعاً حتى عامتهم إلى الفهم من الكتاب والسنة مباشرة.

وأنا أقول صراحةً: لو كان هناك فعلاً أناس يدعون الجهال الأميين، الذين لا يقرءون ولا يكتبون، إلى أن يأخذوا الفقه والعقيدة والدين كله من الكتاب والسنة مباشرة، وهم لا يحسنون قراءة آية ولا رواية حديث؛ لصح كلام هذا، وصح كلام أولئك الأعداء، ولكن هل الدعوة هكذا؟ أنحن ندعو من لا يفقه شيئاً من العلم أن يتسلق على الكتاب والسنة، وأن يفرض جهله، وعاميته، وأميته على الكتاب والسنة، ثم يقول: أنا أفهم هكذا، وأنا مأمور باتباع الكتاب والسنة؟! فهذا لا يوجد مسلم -

صفه كما شئت، سلفي أو خلفي- أبداً يقول بمثل هذا الكلام، ونحن قلنا دائماً وأبداً، وفي الأمس القريب نهار البارحة جاءني أشخاص من حمص، فيهم شاب مثقف بعض الشيء، وقد بلغه من اللامذهبية المعروفة ونحوها ما يشير إليه هذا الكاتب، من أننا ندعو الناس جميعاً إلى اتباع الكتاب والسنة، يعني: أن الجهال يفهمون الكتاب والسنة بجهلهم، فشرحت له المسألة بشيء من التفصيل، إيجازه قلت له: نص القرآن الكريم جعل الناس من حيث العلم والجهل قسمين: علماء، وهم الذين يفهمون الكتاب والسنة، ويقابلهم غير العلماء، ونسميهم الجهال الذين لا يفهمون الكتاب والسنة، وعلى كل من القسمين واجبه بنص القرآن الكريم، قال تعالى: {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣] إذاً: هو يخاطب الأمة في مجموعها، في علمائها وجهالها، في مثقفيها وأمييها، يقول: أنتم طائفتان: علماء وغير علماء، غير العلماء عليهم أن يسألوا العلماء: {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣] نحن هذا الذي ندعو الناس إليه، لكن قد نختلف مع المقلدين في مفهوم العلم والعالم، ما هو العلم؟ ومن هو العالم؟

حكم ترك السنة من أجل ما يرى أنه في مصلحة الدعوة

السؤال

يقال: إن الداعية إلى الإسلام يجب ألاّ يكون متشدداً بأمور السنة، وأن يتجنب -أكثر ما يمكن- المواقف التي تثير الأمور المتعلقة بالسنة، وأنه يجب أن يكون له سياسة بعيدة تقريباً عن السنة، فهل هذا صحيح ومفيد في أمور الدعوة؟ وإن كذلك فهل يجوز لنا اتباعه؟ وكيف التوفيق بينه وبين الحرص على السنة؟

الجواب

الحقيقة أن السنة -لاسيما في معناها العام- لا يجوز لمسلم أن يعرض عنها ولو مؤقتاً، فالمسلم لاسيما إذا كان يقول، أو يقال عنه: إنه داعية؛ فيجب أن يدعو إلى الإسلام، والإسلام كلٌ لا يتجزأ، وأن يبين للناس كل ما يتعلق بالإسلام، لكن الأمر كما قيل: (العلم إن طلبته كثير، والعمر عن تحصيله قصير، فقدم الأهم منه فالأهم) .
وأن يهتم الداعية بالدعوة إلى أهم شيء، ثم الذي يليه وهكذا، ولكن إذا كان في مناسبة ما وبدت له خطيئة من بعض الناس تخالف الشريعة في بعض الأحكام التي ليست من أصول الشريعة، لكن الوقت وقت بيان، ووقت أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ فلا يجوز له أن يكتم ذلك باسم السياسة، وإنما يدعو إلى السنة التي يعرفها في تلك المناسبة، ولكن كما قال الله عز وجل: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:١٢٥] فلم يقل الله عز

وجل: ادع إلى شيء واترك شيئاً، وإنما أمر بالدعوة بالحكمة والموعظة وبالتي هـــي أحسن.

فمثلاً: إذا كان هناك إنسان يصلي في مسجد، فرأى بجانبه شاباً في مقتبـــل العمـــر يصلي وهو متختم بخاتم من الذهب، فقد يرى بعض الناس أن من السياسة في الدعوة أن يسكت، وألا ينصح هذا المصلي بهذه المخالفة، فهذا من السياسة الشرعية، ومتى ينصحه يا ترى! وهو قد يفوته، ولا يراه مرة أخرى؟! والصور تتعـــدد وتتكـــرر، وخاصة من الشخص -كما قلت في أول الجواب- الذي نصب نفسه للـــدعوة إلى الإسلام، فهو لا يجوز أن يدعو إلى بعض الإسلام ويترك البعض الآخر، لكن يجب أن يهتم بالأهم فالأهم، هذا لا بد منه، ولكن يرى المنكر ويسكت عنه اليوم، واليومين، والثلاثة، والأربعة، والشهر، والشهرين؛ بزعم أن هذا من سياسة الدعوة؛ فلم يكن الأمر كذلك في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا في عهد السلف الصـــالح، وإنما القاعدة في ذلك من ناحيتين: الناحية الأولى: من حيث الأسلوب.

الناحية الثانية: من حيث عموم الأمر، فهو شامل لكل شيء؛ لأن هنـــاك نصوصـــاً كثيرة جداً، ومن أشهرها ما هو معروف لدينا جميعاً: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضـــعف الإيمـــان) رأى منكراً لم يستطع تغييره بيده فيترل إلى المرتبة الثانية، ويغير ذلك المنكر بلسانه، بـــالتي هي أحسن، كما في الآية السابقة، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان، فلم يقل: إن اقتضت حكمة الدعوة أو سياسة الدعوة فعليك أن تسكت، لا.

بل قال: إن استطعت، فما دمت تستطيع أن تغير المنكر مهما كان، ما دام أنه -كما جاء في السؤال- مخالف للسنة فعلينا البيان، ثم لست عليهم بمسيطر.

الواقع أن المشكلة ليست مشكلة تقسيم الإسلام والدعوة إليه إلى قسمين: القسم الأول: أن ندعو إليه عاجلاً.

القسم الثاني: أن ندعو إليه آجلاً، أو لا ندعو إليه بتاتاً.

ليست هذه هي المشكلة، لاسيما أنه ليس هناك كتاب مصنف في بيان الإسلام الذي يجب أن ندعو إليه عاجلاً، والإسلام الذي يجب أن ندعو إليه آجلاً، أو لا ندعو إليه مطلقاً، بزعم أن سياسة الدعوة تقتضي ذلك، فليس هناك كتاب، ولا يمكن أن يوجد مثل هذا الكتاب، فهذا الذي يزعم ويريد أن يقسم الإسلام إلى قسمين: قسم ندعو إليه مباشرة، وقسم نؤجل أو ننسئ، من أين له هذا التقسيم؟ وما دليله؟ هذا في الواقع ينبغي أن يكون من أكبر علماء المسلمين؛ حتى قد يسمح له بهذا التقسيم، فأين هؤلاء؟ نحن نعرف الذين يتولون الدعوة لا يعرفون من الإسلام إلا شيئاً قليلاً، ثم هم أنفسهم يخالفون هذه القاعدة، أنا أقولها صريحة: إن الذين يدعون نظرياً إلى تقسيم الإسلام إلى قسمين: قسم هام يبدأ به، وآخر لا يشغل به، نحن نعرف أن هؤلاء يدعون إلى أمور قد لا تكون في الإسلام مطلقاً، فضلاً عن أن تكون من الإسلام الذي هو من القسم الأول الهام، ونحن تكلمنا في هذا كثيراً وكثيراً، ولذلك نقتصر على هذا، وبهذا القدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

الدعوة السلفية حقيقتها وأصولها

لماذا تظهر؟ وما هي أهم أشكالها؟ وما هي أهم الأصول التي تركز عليها؟

التوحيد الذي أمر الله به في كتابه

هناك أمور هامة وأصول أساسية تركز عليها الدعوة السلفية، أول هذه الأمور مسألة التوحيد، وهذه المسألة أخطأ فيها جماهير المسلمين عامتهم وخاصتهم، فقد شاع لديهم أن التوحيد الذي أمر الله به في كتابه وسنة نبيه هو الاعتقاد فقط بأن لهذا الكون خالقاً مدبراً ورازقاً حكيماً يتصف بصفات الكمال، وقد ملئوا كتبهم وأتعبوا أنفسهم في إثبات هذه الحقيقة، مع أن -كما سمعتم من أستاذنا أكثر من مرة- هذه الحقيقة فطرية مركوزة في النفوس والأذهان، ولا تحتاج إلى كثير إثبات ولا إلى جهد كبير، فقد قال الله تعالى: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم:١٠] {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم:٣٠] .

وإن كل من ينظر إلى تاريخ البشر على مر العصور ليجد أن كل البشر يؤمنون بإله خالق مدبر وحكيم، إلا قلة نادرة من الملحدين على مر العصور كانوا يُسمَّون دهريين قديماً، ويسمون اليوم ملاحدة أو زنادقة أو شيوعيين، هؤلاء نسبتهم قليلة جداً بالنسبة لبقية البشر، لا يقول قائل: الشيوعيون مثلاً الآن هم سكان روسيا، وسكان الصين، وسكان الدول الشيوعية الأخرى الكثيرة، لا يقول أحد هذا، فإن سكان هذه الدول أكثرهم مؤمنون بالله، أكثرهم إما نصارى أو مجوس أو وثنيون يؤمنون بإله، ولكن الملاحدة منهم والشيوعيين مثلاً هم قلة قليلة، هم الحكام فقط، والذين يسيرون الأمور العسكرية وغيرهم، يعني هم أعضاء الحزب الشيوعي لا غير، أما بقية الشعب فتعلمون أن لهم كنائسهم، ولهم عباداتهم، وكانوا يجرون إحصاءات

بين الحين والحين، أذكر أن آخر الإحصاءات أن الشيوعيين في روسيا نحو سبعة ملايين فقط، فإذاً هم قلة، ما قيمة سبعة ملايين أضف إليها مثلاً البلدان الأخرى خمسة عشر مليوناً أو عشرين مليوناً أو خمسين ما قيمتهم بالنسبة لبقية البشر الذين هم الآن نحو أربعة آلاف مليون نسمة؟ إن عامة البشر وجماهير الناس على مر العصور هم مؤمنون بإله، فإذاً ماذا يحتاج هؤلاء؟ إن أحوج ما يكونون إليه هو أن يؤمنوا بالله الإيمان الصحيح الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم والرسل السابقون.

إنه الإيمان الذي يعتد به إنه الذي ينجي صاحبه من الخلود في النار إنه طريق دخول الجنة إنه هو وحده الإيمان الصحيح وما عداه كفر، وكلنا نعرف أن المشركين كانوا يؤمنون بإله خالق إلا قلة نادرة جداً أيضاً، أشار إلى ذلك القرآن حيث قال: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر:٣٨] وبين سبب ضلالهم وشركهم أنه بسبب اعتقاد الشفعاء والوسطاء بينهم وبين الله: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس:١٨] {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:٣] وفي شعر للجاهليين تجد كثيراً لفظة الإله والخالق ويسلمون به، ويعظمونه، ولكنهم يعتقدون أن هذه الأصنام هي وسائط، وهي مقربات لهذا الإله، وإن ذكرها ودعوتها هو ضمان ليستجيب لهم الله دعاءهم ويغيثهم إذا استغاثوا به.

اهتمام الدعوة السلفية بتبيين التوحيد الصحيح وتفصيل أنواعه

الدعوة السلفية تهتم بتبيين التوحيد الصحيح الذي يكون الناس أحوج ما يكونـــون إليه، وهو ما استخلصه العلماء المحققون من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، من أن هناك ثلاثة أنواع للتوحيد، التوحيد السابق واصطلحوا عليه أنه توحيد الربوبيـــة وهو: الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً رازقاً متصفاً بصفات الكمال.

والنوع الثاني للتوحيد: هو توحيد الألوهية.

والنوع الثالث: هو توحيد الصفات.

صحيح أن هذه أسماء اصطلح عليها من هؤلاء الأئمة الأعــلام، ولكـــن مـــدلولها وحقيقتها موجود في ثنايا الكتاب والسنة، وإنما هؤلاء وضحوها وميزوها واصطلحوا عليها لتتضح الأمور وتتبين الحقائق.

أما توحيد الربوبية فقد شرحنا المراد به، أما توحيد الألوهية فهو أيضاً بصورة إجمالية أن يخص المسلم أصناف العبادة كلها لله عز وجل، هذا الخالق المدبر الذي آمن بـــه، وهذا في الحقيقة أمر طبيعي، فإذا كان الله هو المدبر الخالق الرازق إلخ، فلماذا يدعون غيره؟ ولماذا يعبدون سواه؟ يعبدون المخلوقين والمحتاجين، يعبدون الذين لا يملكـــون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، كما يقول الشاعر:

ومن قصد البحر استقل السواقيا

هذا العبد الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا بعثاً ولا حياة ولا نشوراً، كيف تدعوه وتترك ربك الذي بيده كل شيء، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، هل هو قاسٍ عليك؟ هل هو لا يستجيب دعائك؟ هل هو بعيد؟ هل هو ظالم حتى تخاف منه وتلجأ إلى سواه؟ إنه رحيم بعباده، رءوف بهم، يجيـــب دعـــوة المضطر إذا دعاه، يقبل التوبة عن عباده، إنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، إنـــه

الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرح الإنسان الذي كان في سفر وضلت راحلته ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه بعدما يئس وأيقن بالهلاك.

فإذاً: هذا الإله العظيم الحكيم الرحيم لِمَ تتركه وتلجأ إلى غيره من هؤلاء الآلهة الضعفاء العجزة الذين لا يملكون لأنفسهم حياة ولا ضراً ولا نفعاً؟! فلذلك هذا التوحيد أمر فطري ضروري طبيعي.

ويعد توحيد الألوهية من أخص خصائص التوحيد، وهو من أهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في الحقيقة معنى قولنا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فكلمة (لا إله إلا الله) هي التي تدخل الإنسان في الإسلام، وهي الكلمة الطيبة، وهي التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة) فإذاً: علق دخول الجنة على من يقول هذه الكلمة مؤمناً بها مخلصاً من قلبه.

ما معنى هذه الكلمة؟ هل هي ألفاظ تقال باللسان هكذا دون فقه ولا اعتقاد ولا تطبيق؟ ليس كذلك، إن الأمور بحقائقها، هذه الكلمة معناها: الإله المعبود، أله يأله أي: عُبِد ويُعْبَد، الإله: المعبود، فلا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله.

فإذاً: من ألصق معاني (لا إله إلا الله) توجيه وتخصيص العبادة كلها بأنواعها المختلفة لله عز وجل.

كثير من المسلمين يجهلون العبادة، فيظنون أن معنى (لا إله إلا الله) آمنا بالله مع تخصيص العبادة لله، ونحن أيضاً نؤمن بذلك فلا نخصص صلاة ولا نسجد لأحد إلا لله، وهذا قصور في الفهم، فإنهم يجهلون أن العبادة معنى أشمل وأوسع من ذلك، إن العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه، العبادة تشمل أنواع التعظيم التي يجب أن تخص بالخالق الحكيم، إنها تشمل الدعاء، والنذر، والذبح، والتوكل، والإنابة، والاستعانة،

والخوف، والخشية، والاستغاثة، والرجاء، والمحبة، كل هذه الأنواع من العبـــادات، وهؤلاء لجهلهم يظنونها مقصورة على الصلاة والحج مثلاً.

فيدل على ذلك نصوص كثيرة أيضاً لا نحصيها وإنما نذكر بعض الأمثلـــة، مـــثلاً: الدعاء والاستعانة يقول الله عز وجل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْــتَعِينُ} [الفاتحـــة:٥] وتقديم المفعول هنا يراد به التخصيص، (إياك نعبد) أي: لا نعبد غـــيرك، (وإيـــاك نستعين) أي لا نستعين بسواك، وهذا الفرق بين قولنا: إياك نعبد، وبـــين قولنـــا: نعبدك، لم يقل: نعبدك؛ لاحتمال أن يراد بها وأن تشمل نعبدك، ولا مانع مـــن أن نعبد غيرك، فقدم المفعول لهذا التخصيص.

كذلك قوله عز وجل: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَـــنْ عِبَـــادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:٦٠] فقابل بين (ادعوني) و (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) مبيناً أن الدعاء هو عبادة، ويوضح هذا تماماً قوله صلى الله عليه وسلم الصادق: (الدعاء هو العبادة) وهكذا الذبح في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:١٦٢] ونسكي أي: ذبحي، ونصوص كثيرة تشمل الخوف والرجاء {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة:٤٠] {فَـــلا تَخَـــافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥] {وَعَلَى اللَّـــهِ فَتَوَكَّلُـــوا إِنْ كُنْـــتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣] وما أشبه ذلك من النصوص الكريمة.

هذا النوع الثاني من أنواع التوحيد الذي يجهله المسلمون وتركـــز عليـــه الـــدعوة السلفية؛ لأن من أخطأ فيه؛ أو جهله؛ أو اعتقد خلافه؛ فهو مشرك ويحكـــم عليـــه بالخلود في النار، إلا إذا كان لم تبلغه هذه الدعوة فأمره إلى الله فيعذره الله، ويوضح مصيره الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه يبعث إليه يوم القيامة رســـول إلى آخـــر الحديث المعروف.

النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي يجهله المسلمون ويخالفون مضمونه، ويشركون فيه بالله هو توحيد الصفات، وهو: اعتقاد أن أحداً يشارك الله في صفة من صفاته، الله من صفاته: يعلم الغيب، فحينما يعتقد إنسان أن بشراً من البشر يعلم الغيب كما يعتقد الصوفية أن شيوخهم يكاشفون فيعلمون ما في نفسك، ويطلعون على أحوالك ولو كنت في مشرق الأرض وهم في مغربها، فهذا لا شك أنه شك في الصفات، وكذلك حينما يعتقدون في بعض مشايخهم أنهم يقدرن على كل شيء، وأنهم يقولون للشيء: كن فيكون كما ورد في بعض كتبهم، وحينما يعتقدون صفات أخرى هي من أخص خصائص الله عز وجل في أوليائهم أو في مشايخهم أو الأنبياء والرسل، فإنما هم قد أشركوا بالله عز وجل.

ومع الأسف فقد انتشر هذا في كلام المتأخرين كثيراً فتجد الشعراء منهم الذين يسمون المداح للنبي صلى الله عليه وسلم الذين كتبوا قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ويهتم الناس بتلاوتها في الموالد والاحتفالات الدينية، هذه تكثر فيها هذه الصفات، وهذه الأمور التي لا تجوز إلا لله نسبتها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى مشايخهم وأوليائهم.

والرسول عليه الصلاة والسلام قد حذر كثيراً من هذا، وقد أمر بعدم المبالغة في مدحه عليه الصلاة والسلام خشية من الوقوع في هذا الانحراف الخطير، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) وحينما جاء بعض الناس وقالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا قال لهم عليه الصلاة والسلام: (قولوا بقولكم هذا أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان) فكلمة (سيدنا وابن سيدنا) الرسول صلى الله عليه وسلم وجد

فيها شططاً؛ لأن ابن سيدنا معناه: أن عبد الله والد رسول الله هو سيد لهم، وأنــه كان مشركاً كما في الأحاديث المعروفة، فهذا من الشطط وقد حذرهم منه.

وحينما سمع بعض الجواري والأولاد ينشدون:

وفينا نبي يعلم ما في غد.

نهاهم عن ذلك أيضاً وقال: لا يعلم ما في الغد إلا الله عز وجل.

فمع هذا التنبيه وهذا التحذير من النبي صلى الله عليه وسلم خالفه النـــاس صـــراحة وقال قائلهم البوصيري مثلاً:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

معنى البيت: لا تقل: إن محمداً ابن الله وقل ما شئت فيه من الأقوال، وهذا واضـــحٌ ضلاله وواضحٌ انحرافه وشططه لكل ذي لب.

فتوحيد الصفات من أخطر أنواع التوحيد التي جهلها المسلمون وخالفوها، ومعروف أن مسألة التوحيد هي الفيصل بين الإسلام والكفر كما قلنا، فلو كان إنسان متعبداً أعظم درجات التعبد، يقوم الليل، ويصوم النهار، ويتصدق، ويزكي ويقوم بـــأنواع النوافل المختلفة، ويتقرب إلى الله بشتى القربات، ويصل الأرحام إلى آخره، لو أشرك في عمره كله مرة واحدة كأن يكون استغاث بغير الله، أو قال كلمة فيها وصـــف أحد المخلوقات بصفة لله، فإن كل عمله باطل، وإنه خالد مخلد في النار إذا لم يتب منه، قال الله عز وجل: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر:٦٥] .

فإذاً: المسألة خطيرة وخطيرة جداً، ولذلك يوليها السلفيون الاهتمام الكبير.

ومن العجب! أن باقي المشايخ والعلماء لا يدندنون حولها، بل يخاصـــموننا فيهـــا فيقولون: ما فيها شيء، المسألة تتعلق بالنية -مثلاً- نية هذا الإنسان إنما يريد بذلك

وجه الله، أو يريد التقرب والتحبب وتعظيم هذا النبي وهؤلاء الأولياء، مع أنهم يعلمون أن النية لا تشفع للعمل مهما كانت صالحة، فلابد أن يكون العمل صالحاً والنية صالحة مصداقاً لقول الله عز وجل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف:١١٠] (لا يشرك) أي: لتكن نيته صالحة، (فليعمل عملاً صالحاً) أي: موافقاً للسنة، كما فسرها بذلك الأئمة والمفسرون مثل ابن كثير وغيره.

فإذاً: يجب الاهتمام بمسألة التوحيد بأنواعه الثلاثة –وخاصة النوعين الأخيرين– اهتماماً بالغاً لإنقاذ الناس من الهاوية ومن الضلال.

الدعوة السلفية واهتمامها بمسألة الاتباع

المسألة الثانية التي يركز عليها السلفيون هي مسألة الاتباع، مسألة طريقة الأحكام وطريقة التفقه في الدين: الشائع لدى الناس خاصة في الآونة المتأخرة أن على كل إنسان إذا بلغ سن الرشد أن يأخذ مذهباً من المذاهب الأربعة هو مذهب والده – مثلاً– فيتفقه فيه ويلتزمه ولا يخالفه في مسألة من المسائل، ويقلده تقليداً ولا يسأله عن الدليل، ولا يسعى للاجتهاد، لأن الاجتهاد قد أغلق، ولأنه ليس أمامه إلا التقليد.

هذه المسألة أيضاً خطيرة وهامة، ويخالف فيها السلفيون جمهور الناس، فهم يرون أن الأصل في التفقه في أحكام الشرع الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة اتباعاً لقول الله عز وجل: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} [الأعراف:٣] .

فالأصل –إذاً– أخذ الأحكام من الكتاب والسنة، لكن من المعروف أن الناس يتفاوتون في ذلك، وأنه ليس بمقدور كل إنسان أن يأخذ من الكتاب والسنة،

وخاصة بعد ما فشا اللحن، وبَعُدَ الناس عن لغة العرب وعن السليقة العربية وعـــن الفطرة، فأصبحوا غريبين عن لغة القرآن ولغة الحديث النبوي الشريف.

ولا شك أن من المعروف من قواعد الشريعة أنه إذا لم يستطع الإنسان أمـــراً فإنـــه يكلف بما دونه، فلم يستطع هذا الإنسان الأخذ من الكتاب والسنة -أخذ أحكـــام الكتاب والسنة- مباشرة فـــ {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦] كما قال الله عز وجل، فيترل درجة في ذلك إلى الاتباع، وهو مما نختلف فيه عنهم أنهـــم يقولون: لا يوجد اتباع، إما مجتهد وإما مقلد فقط، وهذه مكابرة وعناد؛ لأنه مخالف لما هو مشاهد ومحسوس، فأنت ترى في الناس من هو عالم قد بلغ من العلم شـــوطاً بعيداً، قد تفقه في لغة العرب، ودرس علم أصول الفقه، وأخذ وسائل الاجتهاد، فهذا هو المجتهد الذي يتفق الكل على أنه يجوز له الأخذ من الكتاب والسنة، بل يجب عليه مباشرة.

وهناك بقية الناس غير هذا الإنسان نحن نرى صنفين اثنين وإن كانا يتفاوتان فيمـــا بينهما، وفيهما مراتب كثيرة، هذان الصنفان هما عامة الناس الذين لا عنايـــة لهـــم بالعلم، ولا دراسة لهم في الدين، فهؤلاء الذين يسمون مقلدين، هؤلاء إذا تلـــوت عليهم الآية لا يفقهونها إلا ما ندر من الآيات الواضحة الصريحة، أو ذكـــرت لهـــم الحديث لا يستطيعون أن يعرفوا معناه، أو يعرفوا الطريق الذي يعرفون صحته مـــن ضعفه، فهؤلاء لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، يكلفون أن يسألوا أهل العلم، لكـــن عليهم أن يبذلوا جهدهم أيضاً في اختيار أهل العلم الموثوقين الذين لا تعصُب لديهم، والذين هم ثقات في دينهم وفي علمهم، ومع ذلك فليس عليهم أن يلتزموا واحـــداً بعينه من هؤلاء، وإنما عليهم كما قال الله تبارك وتعالى: {فَاسْأَلوا أَهْلَ الـــذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣] إن كنتم لا تعلمون فاسألوا أهل الذكر، لم يحـــدد

واحداً بعينه وإنما يكون إزاء ذلك حسب ما يتيسر له فلان ممن يثق بعلمه ودينــه، فيسأله ويسأل في مرة أخرى آخر فيسأله، ولا يضيق على نفسه ويحدد اتباعه وتقليده لعالم معين.

هناك بين هذا المقلد وذلك المجتهد أناس كثيرون لهم عناية بالعلم، دراسة للغة دراسة للعلوم الشرعية دراسة للقرآن للتفسير للحديث، فهؤلاء لا نستطيع أن نقول: إنهــم مثل أولئك الأولين أو المقلدين، إنهم يختلفون عنهم وإننا نظلمهم حينما نسويهم بهم، لا شك أن لهم فضلاً عليهم، ولا يجوز أن نعاملهم مثلهم، فإنهم إذا ذكــرت لهــم الآيات والأحاديث عرفوا معانيها، أو تفقهوا في أكثرها بالجملة وقد تخفى علــيهم طبعاً بعض المعاني، لكن إذا استعانوا ببعض العلماء يفقهونها ويفهمونهــا، فهــؤلاء عليهم أن يبذلوا جهدهم، وجهدهم هو أن يعرفوا الحكم الشرعي عن طريق عالم من العلماء، ويعرفوا دليله الذي وصل به إلى الرأي الذي يتبناه، هؤلاء يستطيعون هذا، فكيف نسامحهم ونتساهل معهم فنقول لهم: يكفي أن تقلدوا العالم، تسأل العالم ما هو حكم الشرع في هذا؟ فيقول لك: كذا وكذا، أنت بإمكانك إذا ذكر لك الدليل أن تفقهه فلِمَ تتنازل عن ذلك؟ ولِمَ تتساهل؟ مع أنك في أمور الدنيا إذا كنت تاجراً -مثلاً- فلا تكتفي بسؤال المختص بذلك سؤالاً مجملاً معارضاً وإنما عليك أن تعلم وتدقق وتحاسب وتقارن، وتسأل أكثر من واحد، لماذا في أمور الدنيا تفعل ذلــك، وأما في أمور الدين تتهاون وتتساهل؟ هل أمر دينك أهون عليك وأضعف عنــدك وأقل شأناً من أمور دنياك؟ إنك إن كنت كذلك فما أخطأك وما أضلك.

فلا شك أن مفسدةً نشأت بين المقلد المجتهد وبين المقلد المبتدع الذي يتبــع إمامــه بدون حجة ولا معرفة الدليل وهذا بخلاف من يقتدي بعالم مجتهد بعد أن يفقه دليله، ويطلع على حجته ويقتنع بها ويرجح من أقوال العلماء ما يطمئن لها في نفسه، هذا

موقف السلفيين في مسألة أخذ الأحكام الشرعية، ومسألة التفقه في الـــدين، ففـــي اعتقادنا أنه هو الموقف الحق العدل الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

ويفتري علينا المخالفون افتراءات باطلة، نحن دائماً نكرر براءتنا منها، يدَّعون أننـــا نكره الأئمة الأربعة، وأننا نطعن فيهم، وأننا نوجب الاجتهاد على كل مسلم، وأننا نأمر كل أحد أن يكون مجتهداً عالماً ولا يجوز له أن يقلد، وهذا ظلم وافتراء طالما بيّنّا بطلانه، وطالما بيّنّا براءتنا منه، ومع ذلك فلا يتقون الله، ويصرون على نسبته إلينـــا، ويشهد الله أننا منه برآء، كما يقال: براءة الذئب من دم ابن يعقوب، مع أن كتبنـــا مليئة ببيان هذه الحقيقة، فبعضهم -مثلاً- سود كتاباً ملأه وحشاه لإثبـــات جـــواز التقليد، والاستدلال على أن التقليد جائز وواجب على بعض الناس، كل ذلك يرد به على السلفيين على أنهم ينكرون التقليد.

فهذا من الظلم الشنيع، كما أنه قد جُزم له بذلك وأُثبت له أن السلفيين يقولون: إن الجاهل عليه أن يقلد، مع ذلك يصرون على هذا، وهذا يبين ما في نفوســـهم مـــن الضغينة والحقد والتحامل والظلم.

الدعوة السلفية وموقفها من مسألة التزكية النفسية والروحية

المسألة الثالثة هي: مسألة التزكية النفسية والتزكية الروحية، هذه المسألة قد شـــاع لدى المتأخرين فيها طريق المتصوفة، هؤلاء الذين يعتمدون لتزكية النفـــوس علـــى المجاهدات الروحية، والوسائل النفسية، وما أحدثه مشايخهم من أمور ادّعـــوا أنهـــا توصلهم إلى الله، وقد اعتمدوا فيها على غير ما جاءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء المتصوفة -والحق يقال-: إن أول درجات التصوف اتبـــاع، وآخـــر درجاته زندقة، أول ما يدخل الإنسان في الصوفية لابد أن يقوم ببعض البدع؛ لأنه ما الذي يميز الصوفي عن غيره من أهل السنة؟ أهل السنة يلتزمون بالكتـــاب والســـنة

وهدي السلف الصالح، فبم يختلف الصوفي عنهم؟ إن قالوا: نحـــن علـــى الكتـــاب والسنة، فلماذا -إذاً- تختصون لأنفسكم طريقاً؟ لماذا تلتزمون بأوراد؟ لماذا تلتزمون بنوع معين من الذكر، وطريقة خاصة به؟ لماذا تفرقون المسلمين؟ فهذا شاذلي، وهذا رفاعي، وهذا قادري وما أشبه ذلك؟ لا شك أن الحقيقة البينة الناصعة تدل على أنهم يخيرون في دين الله، فلا يكتفون بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهدي السلف الصالح وإنما يزيدون ما استحسنوه لأنفسهم وما أضافوه إلى الدين من أمور هو منها بريء، وأمور هي ضلالات، فلذلك طرق الصوفية السلفيون ينكرونها جملة وتفصيلاً، وليست المسألة -كما يتوهم البعض- اتباع، وأن الصوفية هي نفس ما جـــاء بـــه الإسلام من درجة الإحسان أو التزكية أو تلطيف القلوب أو الجانب الروحي.

وهناك ضلال آخر وهو أنهم يعتقدون أن هناك طريقاً لمعرفة الغيب ولمعرفة حقـــائق الأمور عن طريق الكشف، ولا يرجعون فيه إلى ما جاءهم عـــن طريـــق الشـــرع، ويزهدون في التعلم، وبعضهم أحرق كتبه، وقال آخرون: أنتم تأخذون علومكم ميتاً عن ميت ونحن نأخذها عن الحي الذي لا يموت! وهذا الذي يسمى بنظرية الكشف وهو من أبشع الباطل، ومن أضل الضلال، وهو إذا نظر فيه الإنسان نظرة شـــاملة صحيحة يجده إلغاء لكل ما جاءنا به الإسلام، واستبدال ما جاء عن طريق الحـــدس والتخمين والأهواء والنزغات الشيطانية به.

وهذا خطر عظيم ما بعده خطر، إنه الكهانة، يدعون أن الملائكة تأتيهم وتلـــهمهم، وأن الله هو الذي يخبرهم ويلهمهم، وما الدليل على ذلك؟ ما الذي يضمن أنه إلهام من الله وليس نزغات الشياطين؟! والأمور بنتائجها وتعلم من آثارها.

أيضاً: لا يتسع المقام للإفاضة في ذلك فحسبنا أن نكتفي بهذا، هذه أسس هامة ثلاثة للدعوة السلفية.

الدعوة السلفية وتحذيرها من البدع وما دخل على الدين مما ليس منه

وهناك أمور أخرى تتصف بها ومن مبادئها وتركز عليها ونحذر من أمور لأنها سلبية، وهي: التحذير من أمور البدع، وما دخل على الدين من المحدثات التي شوهت جماله، وكدرت صفاءه، وعكرت ما كان عليه من جمال ونقاء.

هذه المحدثات دخلت على الدين فغيرت حُكم الله وضللت الناس، فالسلفيون يهتمون بتنبيه الناس إليها، ويحذروهم منها، والابتداع أمر ليس سهلاً؛ ليست المسألة كما يقال: فرعيات ليس فيها شيء؛ الخير خير؛ لأن حقيقة الابتداع أنه استدراك على الله عز وجل، وأنه تشريع بالرأي وبالعقل، هذا الأمر يقال لك: يتعبد به ويتقرب به إلى الله عز وجل، ما مستند ذلك؟ إنه الرأي والاستحسان ليس غير، وهو ينسف آية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ} [المائدة:٣] من أساسها، وغير ذلك من الآيات.

مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من البدع كثيراً، وقال عليه الصلاة والسلام: (إياكم ومحدثات الأمور) وجعلها في خطبة الحاجة التي كان يكررها كل أسبوع في خطبة الجمعة، وفي غيرها من المجالس، كل ذلك توكيداً وتذكيراً لخطورة البدع، ولأهمية الالتزام بما جاءنا عن الله ورسوله، ومع ذلك فقد أصم هؤلاء الخلف آذانهم عن هذه الأحاديث البينة وعن نصوص الكتاب الواضحة، وأصروا على البدع وزادوا فيها.

الدعوة السلفية وتحذيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة

أمر آخر -أيضاً- سلبي يحذر منه السلفيون وينبهون عليه وهو تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كانت عمدة لكثير من البدع، هذه الأحاديث شاع لدى الناس إيرادها وذكرها، الخطباء والمدرسون والكتاب والمؤلفون، تجد الكتب طافحة

بنسبة الأقوال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم منها براء، ولا يتحرزون، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينبـــه إلى ذلك كثيراً ويحذر منه، ويبين خطورته وأنه كذب عليه، (وإن كذباً علـــيَّ لـــيس ككذباً على أحدكم) فيستحل بالحديث المنسوب إلى رسول الله ممـــا لا يصـــح أن يستحل به الحرام ويبنى به الأحكام، وهذا أيضاً أمر هام تقوم به الدعوة السلفية وتبين ما صح من الحديث وما لم يصح.

هذه الكلمة أصل فيها، ولقد أشرت أن التتمة لا يتسع الآن المقام لها، وهو: موقف السلفية من الدعوات الأخرى، فلعل ذلك في موقف آخر أو مجلسنا الثاني إن شاء الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لماذا التسمي بالسلفية؟ أهي دعوة حزبية أم طائفية أو مذهبية؟ أم هي فرقة جديدة في الاسلام؟

الجواب: إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشرع؛ وما يهمنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية:

فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة رضي الله عنها:" فاتقي الله و اصبري ونعم السلف أنا لك ".

ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى، وحسبنا مثالا واحدا وهو ما يحتجون به في محاربة البدع:

وكل خير في إتباع من سلف ** وكل شر في ابتداع من خلف

ولكن هناك من مدعي العلم من ينكر هذه النسبة زاعما أن لا أصل لها! فيقول: " لا يجوز أن يقول المسلم : أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك ."

لا شك أن مثل هذا الإنكار –لو كان يعنيه– يلزم منه التبرؤ من الاسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح، وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم كما يشير الحديث المتواتر الذي في (الصحيحين) وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم :" خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

فلا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب الى السلف الصالح، بينما لو تبرأ من أية نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه الى كفر ،أو فسوق.

والذي ينكر هذه التسمية نفسه، ترى ألا ينتسب الى مذهب من المذاهب ؟! سواء أكان هذا المذهب متعلقا بالعقيدة أو بالفقه ؟

فهو إما أن يكون أشعريا أو ما تريديا، وإما أن يكون من اهل الحديث أو حنفيا، أو شافعيا أو مالكيا أو حنبليا؛ مما يدخل في مسمى اهل السنة والجماعة، مع إن الـــذي ينتسب الى المذهب الأشعري أو المذاهب الأربعة، فهو ينتسب الى أشـــخاص غـــير معصومين بلا شك، وإن كان منهم العلماء الذين يصيبون، فليت شعري هلا أنكـــر مثل هذه الانتسابات الى الأفراد غير المعصومين ؟

وأما الذي ينتسب الى السلف الصالح، فإنه ينتسب الى العصمة-على وجه العموم-؟، وقد ذكر النبي من علامات الفرقة الناجية أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه.

فمن تمسك بهم كان يقينا على هدى من ربه.

وهي نسبة تشرف المنتسب إليها وتيسر له سبيل الفرقة الناجية، وليس ذلـــك لمـــن ينتسب أية نسبة أخرى، لأنها لا تعدو واحدا من أمرين: إما انتسابا الى شخص غير معصوم، أو الى الذين يتبعون منهج هذا الشخص غير المعصوم، فلا عصمة كـــذلك وعلى العكس منه عصمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أمرنا أن نتمسك بسنته وسنة أصحابه من بعده.

ونحن نصر ونلح أن يكون فهمنا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفق منهج صحبه، لكي نكون في عصمة من أن نميل يمينا أو يسارا، ومـــن أن ننحـــرف بفهم خاص لنا ليس هناك ما يدل عليه من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم؛ لماذا لا نكتفي بالانتساب الى الكتاب والسنة؟

السبب يعود الى أمرين اثنين:

أحدهما:متعلق بالنصوص الشرعية.

والآخر: بواقع الطوائف الإسلامية.

بالنسبة للسبب الأول: فنحن نجد في النصوص الشرعية أمرا بطاعة شئ آخر إضافة الى الكتاب والسنة، كما في قوله تعالى:{وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} فلو كان هناك ولي أمر مبايع من المسلمين لوجبت طاعته كما تجب طاعة الكتاب والسنة، مع العلم انه قد يخطئ هو ومن حوله، فوجبت طاعته دفعا لمفسدة اختلاف الآراء،وذلك بالشرط المعروف :"لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

وقال الله تعالى :** ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}.

إن الله عز وجل يتعالى و يترفع عن العبث، ولا شك ولا ريب أن ذكره سبيل المؤمنين إنما هو لحكمة وفائدة بالغة، فهو يدل على أن هناك واجبا مهما وهو أن إتباعنا لكتاب الله ولسنة رسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون وفق ما كان عليه المسلمون الأولون ، وهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم؛ وهذا ما تنادي به الدعوة السلفية، وما ركزت عليه في أس دعوتها، و منهج تربيتها.

إن الدعوة السلفية- بحق - تجمع الأمة ،وأي دعوة أخرى تفرق الأمة؛ يقول الله عز وجل:{وكونوا مع الصادقين}، ومن يفرق بين الكتاب والسنة من جهة وبين السلف الصالح من جهة أخرى لا يكون صادقا أبدا.

أما بالنسبة للسبب الثاني: فالطوائف والأحزاب الآن لا تلتفت مطلقا الى إتباع سبيل المؤمنين الذي جاء ذكره في الآية، وأيدته بعض الأحاديث منه حديث الفرق الثلاث والسبعين، وكلها في النار إلا واحدة، وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها:"هي التي على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

وهذا الحديث يشبه تلك الآية التي تذكر سبيل المؤمنين، ومنها حديث العرباض ابن سارية وفيه:" فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ".

إذن هناك سنتان: سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين.

ولا بد لنا – نحن المتأخرين– أن نرجع الى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، ولا يجوز أن نقول: إننا نفهم الكتاب والسنة استقلالا دون الالتفات الى ما كان عليه سلفنا الصالح!!

ولا بد من نسبة مميزة دقيقة في هذا الزمان، فلا يكفي أن نقول: أنا مسلم فقط ! أو مذهبي الاسلام ! فكل الفرق تقول ذلك: الرافضي والاباضي والقادياني وغيرهم من الفرق !! فما الذي يميزك عنهم ؟

ولو قلت: أنا مسلم على الكتاب والسنة لما كفى أيضا، لأن أصحاب الفرق–من أشاعرة ومانريدية وحزبيين– يدعون إتباع هذين الأصلين كذلك.

ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول : أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح وهي أن نقول باختصار :"أنا سلفي".

وعليه؛ فإن الصواب الذي لا محيد عنه أنه لا يكفي الاعتماد على القرآن والسنة دون منهج السلف المبين لهما في الفهم والتصور، والعلم والعمل، والدعوة والجهاد.

ونحن نعلم أنهم –رضي الله عنهم– لم يتعصبوا لمذهب معين أو شخص بعينه، فليس من كان بكريا أو عمريا أوعثمانيا أو علويا، بل كان أحدهم إذا تيسر له أن يسأل أبا بكر أو عمر أو أبا هريرة سأله؛ ذلك بأنهم آمنوا أنه لا يجوز الإخلاص في الإتباع إلا لشخص واحد، ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

ولو سلمنا للناقدين جدلا أننا سنتسمى بالمسلمين فقط دون الانتساب للسلفية–مع أنها نسبة شريفة صحيحة–، فهل هم يتخلون عن التسمي بأسماء أحزابهم، أو مذاهبهم، أو طوائفهم–على كونها غير شرعية ولا صحيحة ؟!!

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

وكل إناء بما فيه ينضح

ما موقفنا من المذاهب؟ وهل نعتبرها من الفرق أم لا؟

نحن نعتبر كل طائفة وكل جماعة تصر على مخالفة الكتاب والسنة بالمفهوم السلفي، وأقول: تصر على ذلك بالتعبير الشامي (عيني عينك) أي: عناداً وإصراراً، فهي تعتبر طائفة من الطوائف وفرقة من الفرق الضالة، لكن الأئمة الأربعة وأتباعهم الأولين، لا يمكن جعلهم في شيء من هذه الطوائف إطلاقاً؛ لأن منهجهم كان معتمداً على الكتاب والسنة واتباع ما كان عليه السلف الصالح، ومع الأسف أقول: إن أكثر الأئمة الأربعة اشتهاراً بأنه يؤيد بعض الشيعة على السنة هو الإمام أبو حنيفة، وأنا أعترف بهذا، ولكن لم يكن ذلك في اعتقادي عناداً منه ومعاندةً منه للسنة؛ وإنما لأن السنة كانت إحاطته بها في دائرة ضيقة جداً، بسبب انشغاله وانكبابه على تفريع واستنباط الأحكام من نصوص الكتاب أو الأحاديث التي وصلت إليه، لذلك تكثر عنه الآراء التي تخالف السنة، أما من حيث موقفه من هذا القيد وهو التمسك بما كان عليه السلف والصحابة بصفة خاصة فهو مشهور عنه، فإنه يقول: إذا جاء القول عن الصحابة ... لكن إذا اختلفوا فنحن بشر وهم بشر، فنأخذ من حيث أخذوا، فهو إذاً أقرب الأئمة الذين يمكن أن يقال فيهم، مع ذلك لا يمكن أن يقال فيه شيء إطلاقاً؛ لأن منهجه لا يخالف منهج السلف الصالح، لكن من أتباعه المتأخرين من تعصبوا له، كما أن الأئمة الآخرين -أيضاً- تعصبوا لهم أتباعهم. الخلاصة: يمكن نحن أن نضم بكل صراحة المتعصبين من المذهبيين الذين يؤثرون

التقليد للمذهب، وليته كان مذهب الإمام الأول؛ لأنهم يتبعون قول المتأخرين منهم، وكثير منهم يصرح حينما نعارضهم بأقوال الأئمة أنفسهم، يقولون: نحن لا نأخذ بأقوال الأئمة المتقدمين، نحن نأخذ بأقوال المشايخ المتأخرين؛ لأن هؤلاء درسوا أفكار الأمة وفيها راجح ومرجوح، ولذلك هم لا يتبعون الأئمة أنفسهم وإنما المتأخرين منهم، فهؤلاء المتعصبون لأقوال أئمتهم المتأخرين مخالفون في ذلك نصوص الكتاب والسنة، ويمكن أن نعتبرهم من الفرق، أما نفس الأئمة فحاشاهم من ذلك حاشاهم! لعل في هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

هناك شخص يقول: أنا عقيدتي سلفية، وهو يدعو إلى طائفة فيها بعض الشبهات والإهمال للسنة، فما رأيكم في هذا الشخص؟

في الواقع أنني أستغربته جداً؛ لأنني لم أتصور وجوده في واقع حياتنا اليوم، أن تتصور رجلاً سلفياً عقيدةً ومذهباً، ثم هو يدعو إلى مذهب آخر، كيف تتصور ذلك؟ السائل: هذا الرجل يرى أن الجماعة التي يدعو إليها تنتمي إلى الإسلام ظاهراً، ولكن فيها شيء من إهمال السنة، وفيها بعض التشويش، وهو إنما يدعو مع هذه الجماعة؛ لأن لها مكانة في الدولة، فيستطيع من خلال انضمامه إلى هذه الجماعة أن يدعو إلى الله بقوة دون أي خوف، وعقيدته كما هي سلفية، وإنما ينتمي ظاهراً إلى هذه الدعوة. الشيخ: الآن ظهرت المسألة، بينما من قبل كان فيها شيء من الغموض، الآن نورد سؤالاً توضيحياً: هل هذا السلفي حينما يدعو إلى تلك الجماعة في تلك الجماعة ما يخالف السلفية في اعتقادهم؟ السائل: الجماعة فيها بعض الشبهات. الشيخ: أنا لا أتكلم في الشبهات، أنا قلت: في تلك الجماعة التي يدعو هذا السلفي إليها، أيعتقد أن في تلك الدعوة ما يخالف دعوته؟ أي: الدعوة السلفية. السائل: نعم. الشيخ: إن كان الأمر كذلك فهذا ليس سلفياً؛ لأن السلفية مثل الإيمان قابلة للزيادة والنقصان؛ لأنه كما شرحنا آنفاً أن السلفية فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً على منهج السلف الصالح، لكن لا نفهم هل هو شيء محدود لا يقبل الزيادة والنقصان؟ لا. ثم بعد أن يفهم المسلم الدعوة الصحيحة للدعوة السلفية فهماً صحيحاً بقدر الإمكان، هل يطبقه كل سلفي مائة في المائة أم بنسبة متفاوتة؟ بنسبة متفاوتة، فإذا كان هناك رجل سلفي ثم هو يدعو إلى جماعة أخرى، في أفكارها وفي دعوتها ما يخالف الدعوة السلفية، فهو كالذي يجمع بين نقيضين في أمرٍ واحد، لكن هذا ينكر

عليه؛ لأني أعتقد أن هذا السلفي لا يعلم أن في تلك الجماعة ما يخالف الدعوة السلفية، فإذا علم وبين له، ففي اعتقادي أنه بعد ذلك لا يستطيع أن يتبنى تلك الدعوة إطلاقاً، كل ما يمكن أن يفعله أن يخالفهم، وأن يعاشرهم ويبث الدعوة السلفية بينهم، لا أن يتبنى هو دعوتهم، ويلتزمها كما يلتزم الدعوة السلفية. خلاصة القول: لا يمكن الجمع بين الدعوة السلفية وغيرها من الدعوات بالكلية؛ لأن في تلك الدعوات أشياء تخالف الدعوة السلفية قطعاً.

ما رأي فضيلتكم في وضع الدعوة السلفية عموماً وفي الكويت ومصر والسعودية خصوصاً.

السائل: بسم الله الرحمن الرحيم ما رأي فضيلتكم في أوضاع الدعوة السلفية عموماً، وفي الكويت و مصر و السعودية خصوصاً؟.

الشيخ: أنا أقول: إن الدعوة السلفية الآن -مع الأسف- في اضطراب، وأعزو السبب في ذلك إلى تسرع كثير من الشباب المسلم في ادعاء العلم، فهو يتجرأ على الإفتاء وعلى التحريم والتحليل قبل أن يعرف بعضهم -كما سمعنا كثيراً- لا يحسن أن يقرأ آية من القرآن، ولو أنها أمامه في المصحف الكريم، فضلاً عن أنه كثيراً ما يلحن في قراءة حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فيصدق فيه المثل المعروف في بعض البلاد: "إنه تزبب قبل أن يتحصرم" يعني الحصرم تعرفون ما أدري مستعملة هذه الكلمة عندكم؟، أي: العنب حينما يبدأ يصير حباً أخضر، وهذا الحصرم،والحصرم يكون حامضاً جداً، فهو قبل أن يتحصرم جعل نفسه كالزبيب، أي: كالعنب الذي نضج وصُيِّرَ زبيباً، ولذلك فركوب كثير من هؤلاء الناس رءوسهم وتسرعهم في ادعاء العلم والكتابة، وهم بعد ما مشوا إلى منتصف طريق العلم، هو الذي جعل الآن الذين ينتمون للدعوة السلفية الآن -مع الأسف- شيعاً وأحزاباً.

ولذلك فالعلاج أيضا ليس له علاج إلا بأن يتقي هؤلاء المسلمون ربهم عز وجل، وأن يعرفوا أنه ليس لكل من بدأ في طلب العلم أن يتصدر في الإفتاء في التحريم والتحليل، وفي تصحيح الحديث وتضعيفه، إلا بعد عمر طويل، يتمرس في هذا العمر على معرفة كيف يكون الإفتاء، وكيف يكون الاستنباط من الكتاب ومن السنة.

وفي هذا الصدد لا بد من أن يتقيد هؤلاء الدعاة أو السلفيون بالقيد الثابث، الـــذي سبق أن ذكرته في أثناء الكلام عن العلم النافع والعمل الصالح، فقد قلنا: بإن العلـــم النافع يجب أن يكون على منهج السلف الصالح، فحينما يحيد كـــثير مـــن الـــدعاة الإسلاميين اليوم عن التقيد بهذا القيد الثابت، الذي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمـــه الله في شعره السابق حين قال:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة.

فعدم الالتفات إلى ما كان عليه السلف الصالح يعود بالناس بعد أن اتفقوا إلى الفُرقة التي تُبَاعِدُ بينهم، كما باعدت من قبل بين كثير من المســـلمين، فجعلتـــهم شـــيعاً وأحزاباً: {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون:٥٣].

هذا رأيي في هذا الواقع، وعليهم إذا كانوا مخلصين -كما نرجـــو- أن يتمســـكوا بالمبادئ العلمية الصحيحة، وألا يتجرأ من لم يكن قد وصل إلى مرتبة العلم وصولاً صحيحاً أن يتورع عن ذلك، وأن يكل العلم إلى عالميه.

ويعجبني في هذا الصدد بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث -وأنا أظن أنها عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله، وهو من كبار علماء السلف الصالح - قال: [لقد أدركت في هذا المسجد -ولعله يشير إلى مسجد المدينة المنورة - سبعين مـــن الصحابة، كان أحدهم إذا سُئل عن مسألة أو استفتي عن فتوى، يتمنى أن يتولى ذلك غيره من علماء الصحابة الحاضرين].

والسبب في ذلك هو أنهم يخشون أن يقعوا في خطأ، فيُوقعون غيرهـــم في الخطـــأ، فيتمنى أحدهم ألا يتحمل هذه المسئولية ويتحملها غيره.

أما الآن فالظاهرة معاكسة تماماً مع الأسف الشديد، وذلك يعود إلى سبب واضح، وأنا أذكره دائماً وأبداً، وهو أن التفتح الذي نشعر به الآن للكتاب والسنة والدعوة

السلفية هو أمر حادث، و لم يمض على هذا التفتح الذي يسمونه بالصحوة، لم يمض زمن طويل حتى يجني هؤلاء الناس ثمرة هذه الدعوة وهذه الصحوة وهذا التفـــتح في أنفسهم، أي: أن يتربوا على أساس الكتاب والسنة، ثم هم بالتالي يفيضـــون بهـــذه التربية الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة يفيضون بها على غيرهم ممن حـــولهم الأدنى فالأدنى، فالسبب أن هذه الدعوة لم يظهر أثرها؛ لأنها حديثة العهد بهذا العصر الذي نحن نعيش فيه؛ ولذلك نجد الظاهرة المعاكسة لما ذكرناه آنفاً، مما رواه عبـــد الرحمن بن أبي ليلى عن أولئك الصحابة الذين كانوا يتورعـــون عـــن أن يُســـألوا، ويتمنون أن يُسأل غيرهم، وما كانوا يجيبون عن السؤال إلا لعلمهم بأنه لا يجوز لهم أن يكتموا العلم، لكن في قرارة قلوبهم كانوا يتمنون أن يتولى ذلك غيرهم.

أما الآن فتجد في كثير من المجتمعات السلفية -فضلاً عن غيرها- يُسأل أحد مـــن يظن فيه أنه أكثر من الحاضرين علماً، وإذا بك تجد فلاناً بدأ يـــتكلم وهـــو غـــير مسئول، وفلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسئول، ما الذي يدفع هؤلاء؟ هو حب الظهور، والأنانية، ولسان حاله يقول: أنا هنا، أي: أنا عندي علم، وما شاء الله عليه! هـــذا على ماذا يدل؟ يدل على أننا لم نترب التربية السلفية، نحن نشأنا على العلم السلفي، وكل بحسب اجتهاده وسعيه إلى هذا العلم، أما التربية فما حصلناها بعدُ كمجتمـــع إسلامي سلفي، ولذلك هذه الجماعات وهذه التكتلات وهذه الأحزاب، في كـــل حزب نجد مثل هذا التفرق وما سببه إلا عدم التربية الإسلامية الصحيحة.

أقول: علاج هذه الأمة ليعود إليها مجدها، ولتتحقق لها دولتها، فليس لذلك سبيلٌ إلا البدء بما ألخصه بكلمتين اثنتين: بالتصفية والتربية، خلافاً لجماعات كثيرة يسعون إلى إقامة الدولة المسلمة -بزعمهم- بوضع أيديهم على الحكم؛ سواءً كان ذلك بطريق سلمي كما يقولون: بالانتخابات، أو كان ذلك بطريق دموي، كانقلابات عسكرية

وثورات دموية، ونحو ذلك، نقول: هذا ليس هو السبيل لإقامة دولة الإسلام على أرض الإسلام، وإنما السبيل هو سبيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، الذي دعا في مكة -كما تعلمون- ثلاث عشرة سنة، ثم أتم الدعوة في المدينة، وهناك بدأ بعد أن استصفى له ممن اتبعه وآمن به رجالاً لا تأخذهم في الله لومة لائم، فبدأ بوضع أسس الدولة المسلمة.

والتاريخ -كما يقولون- يعيد نفسه، فلا سبيل أبداً، وأنا على يقين مما أقول، والتجربة الواقعية منذ نحو قريب من قرن من الزمان تدل على أنه لا مجال إطلاقاً، لتحقيق نهضة إسلامية صحيحة، ومن ورائها إقامة الدولة المسلمة إلا بتحقيق هذين الهدفين: التصفية: وهو كناية عن العلم الصحيح، والتربية: وهو أن يكون الإنسان مربىً على هذا العلم الصحيح على الكتاب والسنة.

نحن الآن في صحوة علمية ولكننا لسنا في صحوة تربوية، ولذلك نجد كثيراً من الأفراد من بعض الدعاة يستفاد منه العلم، لكن لا يستفاد منه الخُلُق، لماذا؟ لأنه هو نشَّأ نفسه على العلم، ولكنه لم يكن في بيئة صالحة رُبِّيَ فيها منذ نعومة أظفاره؛ فلذلك فهو يحيا ويعيش وهو يحمل الأخلاق التي ورثها من ذاك المجتمع الذي عاش فيه وولد فيه، وهو مجتمع بلا شك ما هو مجتمعاً إسلامياً، لكنه استطاع بشخصه أو بدلالة بعض أهل العلم أن ينحو منحىً علمياً صحيحاً، لكن هذا العلم ما ظهر أثره في خلقه في سلوكه في أعماله، فهذه الظاهرة التي نحن الآن في صدد الكلام عنها سببها هو: أننا لم ننضج علمياً إلا أفراداً قليلين.

وثانياً: الأفراد أكثر من ذلك لم يربوا تربية إسلامية صحيحة، ولذلك فتجد كثيراً من المبتدئين في طلب العلم يَنْصِب نفسه رئيساً رئيس جماعة أو رئيس حزبٍ، وهنا تأتي

حكمة قديمة لتعبر عن أثر هذا الظهور، وهي التي تقول: (حب الظهور يقطع الظهور).

فهذا أسبابه يعود إذن إلى عدم التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح.

لقاء رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد.،

الحمد لله الذي وفق لهذا اللقاء الطيب مع فضيلة الشيخ محدث الديار الشامية الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى ونفع به وكان هذا اللقاء في منى في أول أيام التشريق من موسم ألف وربعمائة وعشرة هجرية وذلك مع فضيلة الشيخ محمد هاشم الهدية الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية الذي حضر لمقابلة الشيخ للسلام عليه والتحية ولتجري هذه المقابلة وهذه الباحثة العلمية التي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يُكثر الإستفادة منها إستفادة عامة وخاصة بجميع المسلمين وبارك الله في الشيخين وحفظهما وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً و قد سجلت هذه المقابلة وهي ضمن سلسلة الهدى والنور العلمية اسأل الله أن ينفع بها ويوفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذا الشيخ محمد هاشم الهدية رئيس أنصار السنة في السودان

قال الشيخ الألباني له كيف حالكم طيبين قال له الشيخ محمد هاشم طيبين والحمد لله .قال الشيخ الألباني وكيف الدعوة ؟ قال الشيخ محمد هاشم لا الدعوة بخير والحمد لله . قال الشيخ الألباني ما شاء الله ذلك من الله توفيقه . أي نعم .

قال الشيخ الألباني وكيف الوضع الجديد السياسي هذا ؟

قال الشيخ محمد هاشم : الوضع الجديد السياسي ما نقدر نحكم عليه قال الشيخ الألباني: نسأل الله أن تكون الخاتمة خير .

قال الشيخ هاشم : إن شاء الله .

قال سائل :

سمعنا من بعض الأخوان الذين نظن فيهم خير أنهم سلفيين قالوا أنه إللي إستلموا الحكومة جديداُ كانوا هم من السلفيين يوماً ما كانوا طلبة لهذا الإتجاه فهل هذا صحيح أم لا ؟

رد الشيخ محمد هاشم:

أنا شخصياً أكبر الناس سناً في السلفيين هؤلاء الذين إستولوا على الحكم لا أعرف واحداً فيهم واذلك كونهم يقولوا أنهم من السلفيين ده كلام يعني يحتاج إلى المراجعة ونحن يوم أن قاموا تفألنا بهم خيراًلأنهم قالوا نحن لا ننتمي لهيئة ولا لحزب إنما نحن مسلمون فقط قلنا خلاص ده كلام جميل حتى مجموعة من أولادنا راحوا بايعوهم وقدموات لهم نصيحة وهم كمان رحبوا بهم ترحيب حار وقالوا بابنا مفتوح لكل من يريد أن ينصحنا خلاص تفألنا خيراًو بعدين كمان طلبوا منا عون وإخواننا في الكويت زادهم الله علم وديناً

ومالاً ما قصروا معنا كل الذي طلبناه منهم أعطونا إياه وأكثر كمان وقدمناه للدولة وشكرت وأعترفت ومع ذلك ما وجدنا تجاوب منهم معنا لم يتجابوا معنا أبداً أبداً أبداً ولا نقدر نقول أنهم سلفيون مائة بالمائة لكن نظن خير هما يقولون عايزين نعمل للإسلام خلاص الإسلام كأي ديانة إذا أعلن كغطاء عام التفاصيل يمكن أن نساهم في إصلاحها لكن إذا الغطاء العام أعلن شريعة إسلامية نظيفة ده المهم والذي نعمل له بكل ما أوتينا من قوة أما التفاصيل دي بعدين فيها أخذ ورد لأنك ما تقدر تقول

أنا عايز أربي الشعب تربية إسلامية والدستور بتاعك غير إسلامي إنت إعمل دستورك إسلامي وبعدين إشتغل بالتدريس حبة حبة تلاقي الأمور إنتظمت .

قال الشيخ الألباني : طيب يا أستاذ والدستور غُير ؟

قال الشيخ محمد هاشم : والله لحد دلوقتي ماشين بالدستور القديم إللي أعلنه النميري يعني حتى الآن الخمرة ممنوعة الزنا ممنوع الربا ممنوع الغش ممنوع الرشوة مُحاربة كل دي حاجات إسلامية جميلة ولكن مو قادرين يعني حتى الآن الناس خصومهم يقولون لابد من إلغاء دستور سبتمبر إللي أعلنه النميري طبعاً ده بضغط من اليسار بالعالم مش من داخلنا لكن اليسار دايسينا بالجزمة لا مؤأخذة يعني أيوة لكن الضغط إللي جاي من برة هو إللي عايزنا نغير كلمة شريعة دي بكن الحكومة حتى الآن واقفة كويس .

قال الشيخ الألباني نرجو أن الله يزيدها قوة .

إن شاء الله .

قال الشيخ الألباني :

طيب والخارج هناك في جنوب السودان إيش إسمه هذا ؟

قال الشيخ محمد هاشم :

جندرن وأتباعه وهو لا يزال في كر وفر ولكن نحن بنعاتب الدول الإسلامية بصفة خاصة ما ساعدتنا حتى الآن ما نجد مساعدة إلا بسيطة جداً إيوه ده يجد عون من إسرائيل من أمريكا من روسيا كوبا تمده بالمقاتلين كوبا أصلاً ما عندهم أمهات ولا أسر ملاقيط ساكنه الشارع إذن مافي حد يهتم عليهم فبيأجروهم للناس يأجروه يقاتل بالثمن فكوبا بتمده بالرجال وباقي الدول تمده بالسلاح والمال لكن نحن ( ) حاجات بسيطة جداً لكن ما ننكر العراق أصل الدولة عاونتنا بالسلاح أيوة العراق

صدام حسين أكثر إنسان إدانا سلاح ليبيا إداتنا شوية بترول إدتنا طائرتان كويسات كانت جميلة جداً أما نحن محتاجين للراجمات محتاجين للسلاح القوي ومع ذلك عندنا قادرين ننحرهم في كل المواقع بس الجبهات بقت كثيرة والشيوعيون الآن يعني ( ) عليهم لا ماهمش صوت أبداً لا هم ولا البعثيين ولا اليسار بأكمله اليسار عندنا بيخشوا عندنا أصناف كثيرة اليسار قوميين عرب بعثيين إشتراكيين أشياء كثيرة يعني هما أصبحوا أمام الإسلام كالمسيحية على إختلاف مذاهبها تكتلت كلها تحت الكنيسة العالمية ضد الإسلام كذلك عندنا اليسار تجمع ولكن هذا التجمع إستطعنا أن نقمعه أصبح لا قيمة له إطلاقاً الحمد لله رب العالمين إحنا سعداء كوننا وجدناك يافضيلة الشيخ . رد الشيخ الألباني أسعدك الله . رد الشيخ محمد هاشم : بقالنا مدة طويلة نعرفك ونسمع أخبارك دايماً قال رجل : اول مرة تقابل الشيخ . رد الشيخ محمد هاشم : لا تلاقينا كثير يا شيخ أيوة الشيخ إحنا بنعرفة من كان في جامعة المدينة وأنا حضرت له محاضرة حتى الآن بستشهد بها في كلية الشريعة في الصف الثالث كان في موسم حج زي دة ذهبنا إلى المدينة قبل الحج فأخر يوم كان في الجامعة وتدخل في الإجازة فإستأذنت وإذن ليه أحضر محاضرة الشيخ كان موضوعها الحج وكان طلبته كلهم مالكية أقحاح هاهاها فالشيخ قال لهم أفضل حاجة التمتع لأن رسول الله لا يتمنى إلا الأفضل مش كده قالوا له لأ الرسول قال عليكم بسنتي وسنتة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي قال هذا حديث صحيح وكان عمر يضرب الناس علشان يفسخوا العمرة في الحج الشيخ قال لهم كويس عمر عدلٌ عدلٌولا ندري لماذا عَدَ ل عن سنة رسول الله إلى سنته ولكنكم أمام خيارين هذا رسول الله يأمر الناس أن يفسخوا الحج في العمرة وعمر يأمر الناس أن يفسخوا العمرة في الحج فأيهما أولى بالأتباع قالوا الرسول وإنتهت المشكلة ثانياً نحن في مُنى

عندنا جماعة أحناف كانوا في سنة معانا في الحج ونحن متعجلين فالشـــيخ يوســـف الضبع الله يرحمه ويحسن إليه دكتور قال نحن والله أحناف عندنا الليل وممكن نجلس للصباح جمرة العقبة ممكن نقعد للصباح وخلا ص فأراد الله نحن عند الشيخ وتغدينا عند البنا في مخيمه وبعدين سألنا الشيخ أنا سألته قلت له يامولانا الأحناف قالوا ممكن في أخر يوم الرمي يكون في الصباح دليلهم شنو قالهم هم مافي دليل لكن في جمـــرة العقبة إللى تنتهي في الظهر في مُسلم قال للرسول رميت بعد ما أمسيت قال لـــه لا حرج خلاص إفعل ولا حرج لكن قبل الزوال مافي بعد الزوال يشـــتغل لغايـــة ١٢ بالليل ما فيش مانع فدي حاجات بتحصل في الدين ما بتنتهي أيوة . قال الله الشيخ الألباني ما شاء الله تذكرنا بشيء نسيناه . قال الله الشيخ محمد هاشم هذا شيء مـــا بيتنسي وأثنى الشيخ على الشيخ الألباني .

قال سائل : شيخ ناصر هل زرتم السودان ؟

قال الشيخ الألباني : لا مارحت سر الجماعة على التعبير الصوفي ضعيف ما إستطاعوا أن يجرونا إليه ها ها ها .

قال الشيخ محمد هاشم : نحن في إمكانا لكن ناس يقولون إيش الشيشخ ما بيجـــي السودان السودان ما بينفع معاه أبداً الجو حار ها ها ها قال الشيخ الألباني لا هـــو السِن معلش أيوة والسن له إعتبار برده لا والله أنا وإياك لعلنا نكون في سِن واحدة ما شاء الله .

فقال له الشيخ الألباني : كم بلغت من السن ؟

قال الشيخ محمد هاشم : ثمانين سنة . فقال له شيخنا الألباني : ما شاء الله .

سُئل الشيخ محمد هاشم سؤال الشيوخ أم الشباب ؟

فاجاب والله الجو السياسي في البلد الطائفة الصوفية يعني دائماً تثتأثر بالحكومات لأن الحكومات تعتبرها هي القواعدالشعبية
بتاعتها لذلك لا تُكسر لها أمر أبداً إحنا مرة جبنا جميل غازي ألله يرحمه فجأنا أمــر أننا نلغي محاضرته ترضون الكلام ده . رد سائل ولكن الوضع تغير .قال الشيخ محمد هاشم : معلش .

قال سائل :يعني بين قوسين قبل أن توجه الدعوة له يعني يمكن أن نقول الحكومــة السودانية بالنسبة للإسلام حكومة عظيمة أما بالنسبة للتصنيفات السلفية تحتــاج إلى وقفة ليه لنه أحشى من الأخوة أنهم يشعرون أنه إتجاة هذه الحكومة ليس بالإسلامي لكن موقفهم من بعض القضايا الإدارية السلفية هم يعللون هذا بتعليلات معينة أمــا نثل الجماعة بلغني هذا نريد أن نتاكد منه قالوا أن المساجد كلها في الجــيش تفــتح لأنصار السنة كمحاضرات خطب لا أدري عن صحة هذا ؟
قال الشيخ محمد هاشم : نحن نرد على هذا ياعدنان الواقع الجيش دخلنا فيه إبننــا صلاح طيفور من الدعاة وهو يصلي إمام في مساجد أم درمان العادية في عساكر من فرقة المهندسين بيصلوا معاه فطلبوا منه مرة يصلي بيهم في الفرقة في مسجد الفرقــة فصلى بهم وكان القائد العام من ضمن المصلين عبد الماجد خليل الله يذكره بــالخير ولما جاءت الجمعة الأتية لم يجد الإمام بتاع الجمعة السابقة فسئل وين الإمام فقــال والله نحن إستلفناه سلفة بس فطلب دعاه دعوة وجه له دعوة علشان يجــي يصــلي الجمعة بيهم وبعدين قاله يا استاذ صلاح أنا أحب أتعاقد معاك تكون إمام للجيش و أديك وظيقة مقدم يعني تاج ودبورة يعني وظيفة مقدم قاله والله أنا يشرفني لكن أنا ما أني حر أنا منتمي لهيئة أرجع لهاي الهيئة وأخد رأيها بعدين أجيكم فجانا قلنا لــه

ده فتح جديد هذا فتح جديد لابد أن تقبل فمشى فقال أنا قبلته ولكـــن لا أريـــد الوظيفة أنا بحمد الله في كفاية فهو الولد لبق وفي نفس الوقت ماهو متشنج ماهو من الشباب المتشنج شباب مرن بيدرس الأحوال إللي حوالينه وبيعيد السنة في الأحوال بواقعها ولذلك قدر يتتأثر بكثير ممن في الجيش ضباط فيه مـــا راضـــين علـــهم وفي عساكر ما راضين عليهم لاسيما حكاية التمائم كلهم معلقـــين تمـــائم في أيـــديهم وبلاوي كثيرة فهو كمان عن طريقه بيدل يعني أحد أئمة على مساجد متعـــددة في الجيش ولكن لأنه فتح مجال للناس السنة يجوا لا غير صحيح يعني هذه المساجد يروح لها الناس إللي يختاروهم هم يعني صلاح الدين مثلاً عائض عبد العزيز عشان يجـــي يعمل درس يستأذن القائد بتاع المنطقة ليسمح لعبد العزيز يعمل درس أما كونه يجي كدة ساكت بدون إستأذان هذا في الجيش غير صحيح . قال الشيخ الألباني : بارك الله فيك يعني الأستئذان يعني مافي مانع منه لأنه محتاج للتنظيم لكـــن لـــو إســـتئذن السلفيون هل يمنعون بأعتبارهم سلفيون أو أنصار السنة أم لا لعله يدندن حول هذا ؟ لا لا يمنعون إذا كانوا أذنوا لصلاح أن ياتي بواحد منهم أو إثنين لا أنصار الســـنة يواظبون ولا يجدون معارضة لكن يجوا ويجدوا نقاش إذا كان ما كان أنصار الســـنة إللي جاي يناقش لبق يقع في محظور من يحتاج لمرونة يحتاج لمرونة وسعة أفق ؟

قال سائل : في الحقيقة لما كنا هناك ما كانوا يسمحوا لأي ( )من الأحزاب حـــتى الإسلامي أن يلقي المحاضرة فلما يأتي للاستخبارات ( ) أنا أو غيري يسمحوا له فوراً يعني قال كلمة طيبة قال أنتم شرفاء لأنكم ما تدخلتم في السياسة .

قال الشيخ :محمد هاشم أول حاجة أنكم ما تدخلتم في السياسة نحن ما نقبله إطلاقاً دي تعتبر خيانة لبلدنا بلدنا محكومة حكم غير إسلامي إذا بقينا سلبيين ووقفنا وكده

يكون نحن ما عندنا إيجابية في العمل لازم نحن هذه السياسة نخوضـــها نجرهـــا إلى السياسة الشرعية السياسة غير الشرعية قائمة على الغش والخداع و على النصـــب والأحتيال فنحن ندخل في كل مرفق من مرافق السياسة علشان نصحح الوضع الخطأ لا نكون سلبيين إطلاقاً لابد أن نكون إيجابيين في المجتمع فهمت يا أخي بينبهني الأخ إسماعيل بيقول هما طلبوا مننا وفعلا بنينا لهم مساجد الجيش نفسه طلب منا وبنينا لهم مساجد وأقولها بطويل اللسان اللهم وفق أهل الكويت على الخير ويزيد في أمـــوالهم ويبارك فيها لأنهم هم الذين يستجيبون لمطالبنا ونبني هذه المساجد علـــى حســـابهم كذلك مستشفيات بنيناها على حسابهم مراكز صحية بنيناها على حسابهم الدولـــة طلبت مننا أن نعمل لها بناية تأهيل بتأهل المعوقين الناس في الكويت إستجابوا ومدونا بثلاثة ونص ملايين سوداني بنينا هذه الأشياء فبعد الله الفضل للكويـــت في بعـــض الدول ساعدتنا لكن مو مثل الكويت .

قال سائل : رأيك نقلته بكلامك لكن لا رأي لنا أما الشيخ فالشيخ وهو بيكلمنا عن الموضوع السياسي هل ندخل ونختلط معه لعلنا نسمع الرأي منه .،

رد الشيخ الألباني : الحقيقة انه كل بلد لها مشاكلها والعمل بالسياســـة إذا كـــان مقصود بها السياسة الشرعية فهذا جزء لا يتجزأ من الدعوة الإسلامية ولكن التدخل هذا لا يتيسر في كل مكان وفي كل إقليم وفي كل دولة ونحن الحقيقـــة لا نـــدري الوضع القيق في السودان من هذه الحيثية ولكن لا شك الوضع عندكم والوضـــع في الكويت غير الوضع في سوريا وغير الوضع في الأردن وفي كثير من البلاد والعمـــل السياسي كما تعلمون جميعاً الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة المكية لم يشتغل بشيء إسمه سياسة لكنه إشتغل بما تعلمون من الدعوة وترسيخ قواعد التوحيد أولاً ثم

تربية الأصحاب الذين حوله على الأخلاق الإسلامية وتهيئتهم للجهاد في سبيل الله إذا ما دعى الداعي لكن في كثير من الدول الإسلامية يتكتلون أولاً على أساس الحزبية وليس على أساس من التربية الإسلامية تصحيح العقيدة وتصحيح العبادة وتصحيح السلوك ونحو ذلك ونحن نرجو أن يكون الوضع في السودان كأ،هم قاموا بهذه المرحلة وأن نسميها الآن مؤقتاً المرحلة المكية قاموا بها ثم ساعدتهم الظروف إلى أن يعملوا للدعوة حتى في نطاق السياسة لكن هذا الوضع ليس بالمستطاع في كل البلاد من ناحيتين .

أولاً : قسم من البلاد لا يوجد فيها علماء من أمثالكم يقومنون بواجب التصفية والتربية التي أعني بها في الكثير من كلماتي تصفية الأسلام مما دخل فيه وتربية المسلمين على أساس هذا الإسلام المُصفى فلذلك يقومون بثورات وإنقلابات مما تعود عليهم يعني شراً كما يقع هنا في الحرم مثلا كما وقع في سوريا و كما وقع في مصر وهكذا فإذن السياسة يُراعى فيها كما أشرت بالسنبة لبعض إخوانا هناك من الدعاة أنه يشوف المجتمع ويتصرف كما يساعده عليه المجتمع وإلا فقد طلب السياسي أن يقوم المسلمون هناك في السودان بإنقلاب ضد الحاكم هذا الجديد الذي قام هو على من قبله لكن هذا في إعتقادي ليس من الإسلام فإنما الإسلام تهيئة النفوس بأن يتقبلوا نظام الإسلام إذا وجد من يطبقه كما أنزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام نحن في سوريا كنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً من ذلك إطلاقاً حتى في الدعوة كانت دعوتنا محصورة في جزيئات أربعة لأننا في المساجد كنا لا نستطيع أن ننطلق فيها لغلبة الخرافيين والصوفيين وغيرهم إلى إلى أخره وكان المشايخ كانوا يثورون ضدنا أكثر من الحكام أنفسهم مع أنهم بعثيون وربما أكثرهم أو كثيرون منهم يكونون ملاحدة مع ذلك كانوا لا يثورون ضدنا كما يثور المشايخ وهؤلاء كان هؤلاء

المشايخ هم الذين يحركون الدولة ضدنا فكنا نضطر ان نلجأ إلى بعض الزوايا ولكن ليس الزوايا الصوفية إنما هي أماكن ليست من المساجد لأنه المساجد في يد الـــوزارة والوزارة في يد الأوقاف والوقاف في يد الدولة وهكذا فكنا نبتعد عنهم ونعمـــل في حدود ما نستطيع وانا لا أكتمكم بإنني دُعيت أكثر من مرة للمخابرات ولما دُعيت إستجوبني وإستنطقني طويلاً كما هي عادتهم يريد أن يجعلني في مأزق من جهة أنه أنا رجل وهابي وأعمل لحساب الدولة السعودية وأنا ذكرت له بكل صراحة نحن دعوتنا تلتقي مع جماعة التوحيد لكن دعوتنا أعم وأشمل لأننا نريد أن نعبد الله كما جاء في الكتاب والسنة وليس بمذهب من المذاهب المتبعة ووظيفتنا اليوم دعوة إصلاحية أنـــا أقول هذا مع المستنطق البعثي دعوتنا الآن دعوة إصلاحية يبدأ من العقيدة وتنتـــهي بالسلوك ولذلك فنحن ليس عندنا الآن من الوقت ومن الأستعداد ما يساعدنا بـــأن نعمل بالسياسة بعد أخذ ورد طويلون قال مادام أنت هكذا فارجع وألقي دروسك وكانت شكوى أنه لا يُلقي دروس ضد الأيش الدولة بس أنت أرجع ألقي دروسك بس لا تتعرض للسياسة قلت له أنا قلت لك أنفاً نحن لا نعمل للسياسة لنه ما عندنا ما يشغلنا عن السياسة أهم بكثير وهو إصلاح العقائد وإصلاح العبادات والأخلاق وانا اكرر اآن على مسامعك لا تفهمن مني أنه السياسة ليست من الإسلام السياسة من الإسلام وعندنا كتب أُلفت في ذلك كالسياسة الشرعيةلشيخ الإسلام بن تيميـــة لكن هنا الشاهد بالنسبة ليه لأني قلت له لكني أرى الآن الآن أرى من السياسة ترك السياسة لأننا ننشغل بما هو أهم من ذلك ومع ذلك قضينا ما شاء الله مـــن ســـنين طويلة و لم نستطيع أن نشكل أمة تتجاوب معنا وتتحرك معنا إلا في هذه إللي سمتها إيش تبع الصوفية الزوايا يعني أماكن صغيرة صغيرة جداً يجتمع فيهـــا أحيانـــاً مـــن الشباب الخمسين والستين إلى أخرة والحمد لله شاعت الدعوة في سوريا وإنتقلت إلى

الأردن إلى أخره لكن مشايخ الصوفة كانوا لنا بالمرصاد ولذلك من السياسة أن يتحرك الأنسان حسب الجو الذي يعيش فيه ويبدوا أنكم والحمد لله أنشط منا في هذا المجال وأكثر منا وربنا عز وجل وفقكم لأكثر وأكثر من غيركم ونرجو لنا ولكم الزيادة من التوفيق .

قال الشيخ محمد هاشم : جزاكم الله خير ياشيخ لكن أنا يعني بس عايز أقدم حاجة بسيطة إحنا كهيئة التصديق إللي واخدينة من الدولة هيئة دينية مهمتنا الأولى أن نصحح مفهوم الدين في أذهان الناس حتى لا يستغلوا بأسم الدين لأن عندنا طواغيت كبار مستغلين هؤلاء البسطاء وكان على الأنجليز كنا عاملين حسابنا أن لا نصطدم بالأنجليز ولا نصطدم بأهل الطوائف لما جاء الأستقلال تركنا الحرية لكل فرد يختار الحزب السياسي الي يساعد على إخرج المستعمر من البلد فإذا جينا إلأى الدار إلى الزاوية بتاعتنا نترك السياسة برة ونجلس نستمع إلى درس الحديث ودرس التفسير وماشين الحمد لله كويس لما خلاص البلد إسقلت وكل إنسان كان في حزب قلنا خلاص إنت مهمتك أن تقنع رئيس الحزب واللجنة التنفيذية يعملوا بتنفيذ الشريعة الإسلامية ويصلحوا حتى لا يستغلوا بإسم الدين لكن مع الأسف كان كلهم متأثرين بالطواغيت الكبار يعني القواعد الشعبية كلها كانت قواعد الطواغيت الكبار وأراد الله أن يختار الطاغوت الكبير مع حزب له وزنه كان حزب الأغلبية ولكن فيه وزير بيرى رأينا وزير كان بيجينا في حلقات القرآن وكان بيسمع الدروس وكل حاجة فده في ليلة سياسية واحدة أخرج من الطاغوت مئات الأتباع لأنه يتناول الطاغوت وكشفه للناس لأنه في منصب قوة لذلك نحن بنرى صلاحية الدولة في إصلاح الأمة أوسع وأقوى من صلاحية الأفراد فهذا الوزير وقف وتناول هذا الطاغوت وعلى مسمع من أذنه على أنه رجل جاسوس دخل السودان وادخل المستعمر إلى السودان

وعمل وإستغل وإستغل وإستغل فهمت ومافي حد كلمه ولا ضربوه ولا شتموه ولا شاكلوه ولا أي حاجة بكرة أصبحت الأرض كل الناس زحموا علينا الدور عـــايزين يبقوا سلفيين لأنه خلاص عرفوا الطاغوت على حقيقتة لو كنا في منى منهم ما كنـــا حصلنا على دي النتائج دي ولذلك يافضيلة الشيخ بنقول كل أهل بلد أدرى بشئون بلدهم ويعالجوا هذه الشئون وفق إستطاعتهم وإمكانياهم نحن ما بنقول نـــنغمس في السياسة كلياً ونترك الدعوة لأ نحن نتخذ هذه السياسة لتقوية الدعوة وتوسعة الدولة إذا إستطعنا أن نقنع الدولة تعمل شريعة إسلامية ده مكسب كبير يعني عنـــدنا يـــا فضيلة الشيخ بالسودان لما يموت زيد من الناس فالنا س بيجلسوا عطالا في الفـــروش عشرة أيام سبع أيام للبكاء علشان فلان مات قالوا لنا نبعد منهم قلنا لأ ندخل فيهم علشان نصحح الوضع إلى أن أصبح النهاردة ينتهي العزاء بالدفن ينتهي العزاء بمراسم الدفن لولا أننا دخلنا فيهم وإختلطنا هم وناقشناهم ما كنا وصلنا لهذه النتيجة كذلك الحكام كذلك الحكام نحن ندخل فيهم برفق إذا أفتتح لنا المجال يعني نناقشهم في رفق ونوريهم يعني مثلاً رجل سياسي في الحكومة الحالية دعاني وقـــال لي عـــايز منـــك نصيحة قلت له كويس أنا بنصحك نصيحة أرجو أن تعمل بها أنا أرى أنكم دلوقتي بتفصلوا الأنسان من الخدمة بدون ما توروه سببه يقولون للمصلحة العامة ده خطـــأ ده خطأ المصلحة العامة المجال واسع جداً مجال واسع جداً ما معروف

قال الشيخ الألباني : كلمة سياسية

قال الشيخ محمد هاشم : كلمة سياسية مطاطة فأنتو أدينوه عمل خطأ يعمل مجلس تأديب الأنجليز عندنا زمان لما الموظف يخطيء يعملون مجلس تأديب ينقصوه عـــلاوة يحرموه من ترقية إذا رأوا ما إنه صالح يخلوه يروح يتقاعد وهكذا ثم هيجوك نـــاس متشنجين يقولك إعمل الشريعة الإسلامية بكل عنترية إذا قلت ما بعملها كفـــرت

مش كده وإذا قلت بعملها قومت الدنيا عليك فالسياسة بنقول مهلاً الشـــريعة في طريقنا إلى إقامتها وانت الآن بنقول لسعادة الوزير الخمرة عندنا ممنوعة الربا ممنـــوع الدعارة ممنوعة كل الحاجات إللي بيقرها الإسلام دي شريعة الشريعة كما نقـــول تطبيق علشان يجي الوقت كما في عهد عمر بن العزيز رحمه الله ورضي الله عنه تجد عمر بن عبد العزيز وهو الخليفة الكبير جالوا أحبابه إللي متعاطفين عليه وقالوا كيف تقيم الدولة الإسلامية في هذا الجو الفاسد قال كل يوم أُميت بدعة وأُحيي سنة حتى ألقى الله . ما شاء الله . كلام موجز وموفي . ما شاء الله لا يُكلـــف الله نفســـاً إلا وسعها . أنت مو أحسن من عمر بن العزيز مش كده فأمشي بالطريقة دي نصيحتنا إللي بنقدمها لهم لولا أنهم فتحوا لنا المجال كنا نقدر نقوله ما بيخلونا نقولـــه وآن بفضل الله تعالى الدعوة شاقه طريقها جداً بس عايزين نكفي مطالبها عايزة دُعـــاة دُعاتنا قليلين جداً فتحنا معاهد ما قادرين نستمر لأن ميزانياتنا ضعيفة الدعاة عايزين داخلية ياكلوا ويشربوا ويترحلوا ده عايز له ألاف الجنيهات وهكذا فنحن الحمد لله ماشيين كويس ما منغمسين في السياسة إنغماس كُلي ولا تخلينا عنها نحن ندخل فيها وفق مصلحة الدعوة .

قال الشيخ الألباني : التوسط في الأمور هو الحق نسأل الله عز وجل أن يمكننـــا أن ندعو للإسلام وأن نطبقه بحزافيره في كل مكان إن شاء الله .

قال الشيخ محمد هاشم : والله نحن سعداء يا فضيلة الشيخ .

قال الشيخ الألباني : الله يبارك فيك .وشكروا بعضهم بعضاً .

الطريق الصحيح لإقامة دولة إسلامية

السائل (الشيخ علي حسن): شيخنا وردت عدّة أسئلة، فأنا اخترت سؤالا يعني قد يدور في ذهن كثير من الشباب وخاصة في خضم الاختلافات والتراعات بين الجماعات والمشايخ وما شابه ذلك ...

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: إي نعم.

السائل (الشيخ علي حسن): وإن كنا سمعنا في حكم القرب منكم أستاذي - يعني - الجواب عليه مرارا وتكراراً، لكن في هذا الجمع نحبذ أن نسمعه أيضا لعل فيه زيادة فائدة إن شاء الله.

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: إن شاء الله، جزاك الله خيرا وأكرمك الله.

السائل (الشيخ علي حسن): بارك الله فيك، يقول السائل، بالنسبة للموضوع المثار في الجلسة حول السنّة، كما تعلمون أن من أعظم السنن التي اهتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم، إقامة دولة الإسلام، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلّم كان يعمل بخطوط متوازية للوصول إلى هذه الغاية، وفي العصر الحاضر نرى بعض علمائنا وكذا بعض الجماعات الإسلامية تهتم بأمور وتعتقد أن من خلالها قد يكون الوصول إلى هذه الغاية، كمثل الدعوة مثلاً فقط، أو العلم فقط، أو السياسة فقط، وهكذا...

ألا ترون أن بناء جماعات على مثل هذه الأسس محصورة فقط لا يمكن أن يصل إلى تلكم الغاية السامية مع بيان رأيكم في الطرق التي يمكن الوصول بها إلى هذه الغاية، وجزاكم الله خيرا.

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: هذا السؤال حقيقة كما أشرت، يُطرح كثيرا، وأجبنا عنه كثيرا.

نحن أيها السائل، أو أيها السائلون، ننطلق في دعوتنا من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا الصحيحة منها، وهذا الانطلاق ناشئ من اقتناعنا القطعي وليس الظني، أن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، والذين يهتمون اليوم بإقامة الدولة المسلمة ما أحد يخالفهم بوجوب إقامة الدولة المسلمة، ولكن قد يُخالفون في طريقة إقامة الدولة المسلمة، ونحن نعتقد أن السبيل الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم لإقامة الدولة المسلمة ليس لها بديل ولا يجوز لفرد أو أفراد أو لجماعة أو لجماعات أن يتخذوا سبيلا غير سبيل الرسول عليه السلام لتحقيق هذا الأمر الواجب، ألا وهو إقامة الدولة المسلمة.

أظن أنه لا مخالفة في هذا، أي لا أتصور أن مسلما أوتي شيئاً على الأقل من الثقافة العلمية والشرعية يناقش في هذه المسألة ألا وهي أن السبيل الذي سلكه الرسول عليه السلام حتى أقام الدولة المسلمة في المدينة المنورة هو السبيل الواجب سلوكه ولا سبيل سواه، لا أحد يناقش في هذا، بمعنى ذلك أمضي في الجواب عن السؤال فأقول: ماذا فعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم؟ ما هو أول شيء طرقه ودعا الناس إليه كخطوة أولى لوضع النواة الأساسية لإقامة الدولة المسلمة؟

نحن نعتقد – وأرجو أن لا يكون هناك مخالف لما نعتقد –، نعتقد أن أول شيء دعا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قومه هو: أن يعبدوا الله وأن يجتنبوا الطاغوت، أي عبادة الله وحده لا شريك له، وأنا لا أريد أن أطيل كثيرا وكثيرا، أريد أن أقف في هذه النقطة:

الآن نقلب نحن موضوع السؤال إلى سؤال، الذين يهتمون ... – وأرجوا الأخ الجالس في الزاوية، وفي الزوايا خبايا،ما يشرب باليد اليسرى –، المقصود لقد بدأ الرسول عليه السلام في دعوته بالتوحيد وأظن يجب أن نجري نقاشاً هادئاً ولا بأس أن يكون واسعاً في هذه النقطة التي ستسمعونها، أنا أعتقد أن أكثر الدعاة وأحمسهم وأحرصهم على إقامة الدولة المسلمة لا يدعون إلى التوحيد، هذه كبيرة أنا أعرفها، فمن كان سائلا واحدا أو أكثر، أرجو إما أن يعترف بهذه الحقيقة لأمضي في كلامي، وإما أن نقف عندها لننظر هل نحن مخطئون ، أم أولئك هم المخطئون. نحن نقول أن الذين يهتمون بإقامة الدولة المسلمة، الركيزة الأساسية الأولى أو اللبنة الأولى لهذا البنيان الشامخ بعدُ ما وضعوها، هكذا نحن نعتقد، والدليل أننا نختلف معهم حينما نبحث في توحيد الله عزّ وجلّ، وأن معنى لا إله إلا الله الذي خُوطبَ نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلّم بها في قوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد:١٩]، هذا التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام عند أهل العلم:

توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الصفات

لا نجد في هؤلاء الدعاة يدعون عامة المسلمين، بل وخاصتهم الذين هم يريدون أن يقيموا دولة مسلمة، ما نراهم يعرفون من الشهادة سوى النطق بها، أما أن معناها أن تعتقد بأن الله كما هو واحد في ذاته فهو واحد في عبادته وواحد في صفاته، فهذا أمر منكر عندهم وأكثر من هذا أنهم يُنكرون على أمثالنا ممن يهتمون بتصحيح هذه

العقيدة، تصحيح هذه الكلمة الطيبة، إلا إذا أنتم بَدكو تشتغلوا بهذا المجال وما تهتمون بإقامة الدولة المسلمة، نحن نعكس الموضوع تماما ونقول نحن الذين نهتم، كمثل إنسان يريد أن يبني قصرا وإنسان آخر يُشاركه في هذه الإرادة، لكن الأول يمشي فيها مشية السلحفاة، يعني أول شيء اشترى الأرض ثم بدأ يجمع الحجارة لوضع الأساس إلخ... ما يحتج الأمر إلى تفصيل، أما الأخر فما تسمع منه إلا مخطط عريض طويل، لازم تكون الأرض مساحتها كذا ولازم تكون في منطقة كذا ولازم تكون غرفها كذا وو إلخ... وما نزال إلا نشبع كلاما، وكما قال العربي: ((أسمع جعجعةً ولا أرى طحنا))، أما الرجل الأول البصير اللي ماشي رويدا رويدا، اشترى الأرض لكن لسى مشاريع طويلة أمامو، إلى امتى بدك تبني هذا القصر!!! نحن سنبنيه قبلك، لأنك أنت ما فعلت فيه شيئاً، حتى الأرض التي تريد أن تقيم عليها قصرك وبنيانك الشامخ بعدُ ما أوجدتها.

أنا أعني هنا وأكني بالأرض هنا هو الشعب الذي هو سوف يستطيع أن يقيم الدولة المسلمة وسوف يكون مستعداً فيما إذا بدأت أحكام هذه الدولة المسلمة تُفرض على هذا الشعب لماذا؟ لأنه أُسِّسَ وهُيِّئَ لتقبُّل هذا الحكم الذي هو حكم الله تبارك وتعالى، فإذا كان التوحيد أساس الإسلام كله والذي.. من لم يوحد الله كما أراد الله وكما أراد رسول الله، لا يفيده عمله الصالح بتاتاً، لأن الله عزّ وجلّ يقول في القرآن الكريم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلّم ولكنه يخاطبنا نحن في شخص النبي، فيقول: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر:٦٥]، فإذن كيف يمكن إقامة الدولة المسلمة دون العلم بالإسلام ؟؟!!

أولا بالتوحيد، أما إذا دخلنا فيما دون التوحيد، أو في تفاصيل التوحيد، ثم فيما دونه فهناك العجب العجاب، لأنك تجد هؤلاء الناس الذين يقولون أنتم تشتغلون بالدعوة

ولا تشتغلون بإقامة الدولة المسلمة، والذين يشتغلون بالدعوة هم الذين يشـــتغلون بإقامة الدولة المسلمة لكن لا يلهجون بهذا الكلام ولا يستغلون عواطف الناس وإنما يعملون على السكت والصمت، هؤلاء الذين يريدون أن يقيموا دولة مســـلمة، إذا قيل له هل تُحسن أن تصلي كما كان رسول الله يصلى، قد يقول لك في الجواب أن هذه المسائل فرعية، هذه من توافه الأمور، نحن يهمنا الآن إقامة الدولة المسلمة، هل تستطيع أن تحج إلى بيت الله الحرام كما حج الرسول عليه الصلاة والسلام وكما أمر في سنته بالحج إلى بيت الله الحرام؟ لا تسمع جواباً ولا تسمع شيئاً سوى أننا نريـــد إقامة الدولة المسلمة، الدولة المسلمة نسبة إلى الإسلام، ما هو الإسلام يا جماعة؟ فاقد الشيء لا يعطيه، فاقد الشيء لا يعطيه، فإذن قامت نحن دعوتنا على أساسين وعلى ركيزتين لا يمكن للعالم الإسلامي كله أن تقوم قائمته وأن يعود إليه مجده الغابر وعزّه الذي نتفاخر بأنه كان المسلمون وكانوا...، ثم ذُلُّوا حتى احتل بعض بلادهـــم أذل الأمم ألا وهم اليهود، الركيزتان اللتان لابد منها لإقامة الدولة المسلمة هما:
العلم {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد:١٩]، والثاني: العمل {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة:١٠٥].

اليوم علم ما في!! وعمل بالإسلام ما في!! وإذا عملت بالإسلام إما أن يكون عملك لا يوافق الإسلام وإما أن تهمل العمل بالإسلام لأنه الشيء الأساسي هو أن نقـــيم الدولة المسلمة، نحن نكني عن هاتين الركيزتين بالتصفية والتربية، كثيرا ما نسمع من بعض الناس - مع الأسف الشديد - يقولون عن من ينهجون منهج السلف الصالح، وقد ينتسبون اسماً إليهم فيقولون عن أنفسهم نحن سلفيون أتباع الســـلف الصـــالح، يقولوا ماذا قدّم السلفيون لإقامة الدولة المسلمة، أظن الجواب الآن عرفتموه، لكننـــا نحن نعكس هذا السؤال ونقول، ماذا قدّم غيرُ السلفيين، ماذا قدّم هؤلاء منذ ســـنين

طويلة، تسأل أحدهم سؤالاً شرعياً متناقلاً متوارثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولا مؤاخذة هذا امتحان لكم معشر الحاضريين، ((أين الله؟)) فلا تسمع جواباً إلا من كان يعمل لإقامة الدعوة المسلمة على ركيزتين اثنتين، التصفية والتربية، أما الذين يرفعون أصواتهم بإقامة الدولة المسلمة وقد يكون مضى عليهم قريب من قرن من الزمان، ثم ما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً، هل يحسنون الإجابة عن هذا السؤال، ((أين الله؟)) الله الذي قال في كتابه: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، أين الله؟ ما تسمع منهم جواباً، لا يدرون أين الله كيف هؤلاء يريدون أن يقيموا دولة الله – إذا صحّ التعبير – وهم لا يعلمون الله أين هو، هل هو مثل دودة الحرير في جحرها في شرنقتها، أم هو في هذا الفراغ في هذا الهواء، أم ماذا، لا تسمع منهم جوابا!!!

ورحم الله أميرا من أمراء دمشق يوم جرى نقاش في حضرته بين عالم سلفي كبير وبين ناس آخرون متأثرون بعلم الكلام حيث كان هؤلاء العلماء المتأثرون بعلم الكلام وإن شئت قلت الاعتزال، قالوا: الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف، لا داخل العالم ولا خارجه، هؤلاء علماء الشام في زمانه ينطقون بهذا الضلال المبين بين يدي حضرة أمير دمشق يومئذ، وهم يجادلون رجلاً يقول ربي الله، ربي في السماء، أأمنتم من في السماء، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

لما سمعه الأمير، والمفروض في الأمير أن يكون عاديا في علمه بالشرع، يستعين بالعلماء لكنه عاقل،

فلما سمع علماء الكلام يقولون: الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف، لا داخل العالم ولا خارجه، ماذا قال الأمير؟ ((هؤلاء قوم أضاعوا ربهم))، صدق، هؤلاء قوم أضاعوا ربهم وأنا أعتقد ليس أولئك فقط أضاعوا ربهم، بل جماهير

الإسلاميين اليوم أضاعوا ربهم، لماذا؟ لأنهم ما تفقهوا في كتاب الله ولا تفقهـــوا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وإنما دراسات مكثفة وخفيفة وقليلة وليست مدعمة بالأدلة الشرعية، قد يتخرج الواحد منهم من الجامعة وهو لم يفهـــم بعـــد {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، لكن يلقيلك محاضرات وخطب طنانة رنانـــة ويهـــيج النفوس فتكاد تراها الآن [بدها تهجم] على اليهود، ثمّ كرغوة الصـــابون!!!. لـــو سألت هذا ومن خطبهم أين الله، ما في جواب!!!! بينما جارية في عهد الرسول عليه السلام لأنها تخرجت من مدرسته -بالتعبير العصري الموجود اليوم-، سألها الرسول عليه السلام هذا السؤال فأجابت بالجواب الإسلامي الصحيح، روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث معاوية ابن الحكم السُلَمِي، معاوية ابن الحكم هو غير معاويـــة ابن أبي سفيان الأموي الخليفة المعروف الذي كان في دمشق الشام، معاويـــة ابـــن الحكم السُلَمِي، يحدثنا هو عن قصته التي وقعت له وهو يصلي خلف نبيه صلى الله عليه وآله وسلّم يوماً، قال: ((صليت وراء النبي صلى الله عليه وسلّم فعطس رجـــل بجانبي فقلت له يرحمك الله وهو يصلي قال فنظروا إلي هكذا، تسكيتا، فقلت واثكل أمياه، ما لكم تنظرون إلي، - وهو يصلي وصلاته مقبولة يا ترى ما تظنوا أنه بطلت صلاته- واثكل أمياه فأخذوا ضربا على أفخاذهم))، يعني أسكت ليس الآن وقـــت كلام، قال: ((فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة أقبل إلي)) تصوروا لو القصة وقعت اليوم، وراء إمام من أئمة المسلمين ما شاء الله اليوم... أخطأ وعرف نفسه بأنه أخطأ، وشاف الإمام جاي لعندو، بدويو يضرب أخماس في سداس بـــدو يضربو بدو ينهرو يقول له حيوان، لا تفهم جاهل إلخ... الله أعلـــم بالـــذي دار في خيال وفي ذهن معاوية هذا، لكن قال: ((فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة أقبل إلي، فوالله ما قهرني ولا كهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال لي: «إن

هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي تسبيح وتحميد وتكبير وتلاوة القرآن»)).

هذا الرجل فوجئ بما لم يكن في حسبانه، عرف من تسكيت الصحابة له أنه ارتكب خطأ ومعنى ذلك أن الرجل كان حديث عهد بالإسلام مش عارف الأحكام بعد المتعلقة بالصلاة، فبعد ما عرف أنه كان مخطئا تصور أنه سيلاقي من الرسول عليه السلام صدمة عنيفة جداً، وإذا به لا يرى إلا اللطف وإلا الرأف الذي وُصف به الرسول عليه السلام: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[التوبة:١٢٨]، الأمر الذي هيّأ له الجو الذي يُفسح المجال ليتعلم وقد عرف أنه جاهل وأنه بحاجة إلى العلم، فقال يارسول الله إن منا أقواماً يتطيرون، قال: «فلا يصدنّكم»، فلا يصدنّكم -أي التطيّر-، ومعروف التطيّر عندكم هو التشاؤم ومع الأسف الشديد المسلمون اليوم خاصة عالم النساء، عالم الذي يسمونه اليوم الجنس اللطيف ما في أكثر منهم تشاؤماً، الصابون يوم كذا ما يجوز يدخل إلى الدار، المكنسة وراء الباب ما لازم تشتغل، أشياء لا يمكن إحصاؤها.

مع أن الإسلام قال: «لا طيرة في الإسلام»، وهذا الرجل عاش في الجاهلية ثمّ هداه الله وآمن برسول الله فلما عرف أنه أخطأ في الصلاة، إذن لازم أنا أغتنم فرصة وجودي بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلّم فأسأله، قال: إن منا أقواماً يتطيرون، أنظروا الآن تعليم الرسول، لا يكلف الناس ما لا يطيقون، لم يقل لهم لا تتطيروا، لا، لأنه الطيرة التشاؤم يأتي الإنسان فجأة دون قصد منه، ولكن القصد منه أن يتجاوب مع الطيَرة أو لا يتجاوب، ولا بأس أن نلفت نظركم لماذا سميت الطيرة، كانوا في الجاهلية من خرافاتهم وضيق عقلهم، كما تعرف حتى اليوم الكثير من الأمم المتحضرة -زعمت-، لكنها في الحضيض من سلامة العقل، حتى الأروبيين والأمركيين وغيره،

لأن هؤلاء بشهادة القرآن -لا تغفلوا عن القرآن- لا عقول لهم، أنتم بتظنوا أنهم عقلاء، ويجب أن نفرق هم أذكياء وليسوا عقلاء، هم أذكياء لذلك صعدوا إلى السماء إلى القمر إلى إلى النجوم هذه الأخرى- والحبل جرّار كما يقال-، هؤلاء أذكياء ولكنهم ليسوا عقلاء: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:١٠]، الشاهد: العرب في الجاهلية كانوا يتطيرون، كان أحدهم إذا عزم على السفر وشدّ الرحل وخرج من داره فهو ينظر أول طير يراه، والطير لابد حينما يرى الإنسان يطير ويهرب منه، فإن طار يمينا ما شاء الله هذه سفرة ميمونة، وإن طار -الطير الحيوان الصغير- يسارا هذه سفرة مشئومة ورجع إلى بيته وبطل عن سفره، هذا من هنا جاءت كلمة الطيَرة، وقالوا الرسول عليه السلام: «لا طيرة في الإسلام».

أنا أمثل أحيانا رجل مسلم هيّأ حاله للسفر وفتح الباب وجد اثنين يتخاصموا واحد قال لثاني: ((إن شاء الله ربنا الله لا يوفقك))، هذا الذي خرج للسفر بدوا يطأ، يتشاءم، لا امضي قدوماً ولا تبالي، هذا معنى قول الرسول: «لا يصدنّكم»، لا تتطير أي لا تتجاوب مع الطيرة، قال يا رسول الله إنا منا أقواما يخطون، أي يضربون بالرمل، فقال عليه السلام: «قد كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطُه خطَّه فذاك»، أي الضرب بالرمل كان وسيلة ومعجزة لنبي في ذلك الزمان، الزمان الأول، فمن وافق خطه منكم خط ذلك النبي فذاك المصيب، وهذا كما يسميه العلماء تعليق بالمحال، أي هذا غير ممكن.

الشاهد الآن يأتي، قال يا رسول الله، عندي جارية ترعى غنماً لي في أُحد، فسطى الذئب يوما على غنمي وأنا بشر أغضب كما يغضب البشر فصككتها صكّة وعلي عتق رقبة، كأنه يقول أنا معترف بأني أخطأت مع هذه الجارية الراعية لغنمي، فماذا

يجب علي أن أعمل، الرجل ممكن [...]، فضلا عن إيش؟ الجارية المرأة، وعلي عتق رقبة، فهل يجزيني أن أعتقها؟ قال: «هاتها»، لما جاءت قال عليه الصلاة والسلام لها: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال لها: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «اعتقها فإنها مؤمنة».

الآن نسأل الآن هؤلاء المتحمسين فراغا لإقامة الدولة المسلمة هل أتقنتم عقيدة الجارية راعية الغنم؟ لا، إنهم ينكرون هذه العقيدة وإنهم يقولون بقول علماء الكلام والمعتزلة: الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف، لا داخل العالم ولا خارجه، فهؤلاء قوم أضاعوا ربهم، كيف يا إخواننا، يا إخواننا مسلمين يجمعنا دين الإسلام ولكن يفرقنا عدم انشغالنا بفهم ديننا على منهج سلفنا، الذي تركهم الرسول عليه الصلاة والسلام على البيضاء نقيّة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، البحث في هذا طويل الذيل جدا جدا لأني سأقول: بيننا وبين نبينا أربعة عشرة قرنا، ترى هل بقي الإسلام الذي فارقه الرسول عليه السلام على الكمال والتمام غضاً طرياً صافياً؟ هل بقي كما تركه الرسول عليه السلام حتى اليوم، أم دخل فيه ما لم يكن فيه؟ دخل فيه أولاً من الأحاديث التي يتبرّأ منها نبينا صلوات الله وسلامه عليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب، هل بقيت العقيدة الإسلامية الصافية الموافقة للفطرة كما كانت في عهده عليه السلام وعهد سلفنا الصالح، أم تفرق المسلمون كما قال عليه الصلاة والسلام: «تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قالوا من هي يا رسول الله؟ أجاب بجوابين اثنين أحدهما يفسّر الآخر، الجواب الأول وهو الأشهر قال: «هي الجماعة»، الجواب الآخر قال: «هي ما أنا عليه وأصحابي».

فنحن نسأل الإخوان الحريصين –أينما كانوا من الإسلام– على إقامة الدولة المسلمة، هل أنتم تعرفون ما كان عليه الرسول عليه السلام في زمانه من العقيدة والعبادة والسلوك؟ لا، هم لا يتفرغون لهذا ولو تفرغوا ما استطاعوا إليه سبيلا لأنهم ما درسوا الإسلام من منبعيه الصافيين، فهم يكتفون كدين العجائز، العجوز ماذا تفعل؟ تسأل الشيخ، وخذا واجبها، وكذلك هم يسألون المشايخ الذين ورثوا العلم وراثة، أما ما هو العلم، ما هو العلم؟ هذا من الخلاف الذي يمكن أن يقع في تعليم العلم، كثير من الناس يقولون:العلم هو ما جاء مثلا فيما يتعلق بالعقيدة هو ما جاء مثلا في الجوهرة، هذا مذهب الأشاعرة، وما يتعلق بالعقيدة على المذهب الماتوريدية فهي ما جاء مثلا في مد الأماني ونحو ذلك من الكتب، ما يتعلق بالأحكام الشريعة ما جاء في المذاهب الأربعة: المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، ما يتعلق بالأخلاق والسلوك ما جاء في كتاب إحياء علوم الدين. أمّا ما قاله ابن قيِّم الجوزية بحق:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذرا من التعطيل و التشبيه

هذا هو العلم، اليوم إذا ما جربتم جربوا، وما أخالكم إلا وقد جرّبتم، سلوا من شئتم: ما حكم الله في كذا؟ يقولوا لك في المسألة قولان، قال فلان كذا وقال فلان كذا، وهذه الدراسة الجامعية اليوم التي يسمونها بدراسة المقارنة، يخرج الطالب من الجامعة لا يعرف الصواب من الخطأ ولا يعرف الحق من الباطل، وهذا على مذهب ذلك المفتي الذي قيض له أن يسافر سفرة، فيخلوا مكانه، فأناب عنه أباه، وأبوه لا يعرف شيء من العلم ويعترف هو بذلك، قال له يا أبي: كيف آخذ مكانك وأنا لا أعرف، قال أنا أعطيك قاعدة تعطيها بترتاح فيها، قال ما هي؟ قال: كلما جاءك

سائل وسألك، قل له في المسألة قولان، مثلا جاءك رجل وقال لك: يا سيدي الشيخ أنا غضبت وطلقت زوجتي، وقلت أنت طالقة بالثلاثة، طلقت زوجتي حتى أفارقها وما أقاربها؟ يجيب: في المسألة قولان، منهم من يقول طلقت ومنهم من يقـــول مـــا طلقت، وهكذا. حرام يا سيدي أنا عملت كذا وإلا حلال؟ في المسألة قولان، منهم من يقول حلال ومنهم من يقول حرام. فارتاح الأب على نصيحة الابن وانطلـــق، وجلس الشيخ وكالعادة في بعض الناس الذين يريدون أن يتفقهوا المساكين، ولكن لا يعرفون ما هو الفقه، بدهم يحضروا مجلس الإفتاء بدأت الأسئلة تطرح علـــى والـــد المفتي وبدأ هو يطبق إيش: في المسألة قولان، أحد الأذكياء، أحدهم تنبه أن الشيخ ما يجاوب إلا على وتيرة واحدة، في المسألة قولان، حرام حلال، يجوز ما يجوز، فرض سنة مستحب، في المسألة قولان، واحد ذكي: يقول له إسأل الشيخ: أفي الله شكٌّ؟، يا سيدي الشيخ أفي الله شكٌّ؟ قال: في المسألة قولان.

الآن مع الأسف الشديد نسمع هذه الفتاوى على هذا النمط، يقوم المحاضر يلقـــي محاضرة، ومحاضرة لا علمية ما في إلا وعظ ونصيحة وتذكير إلخ...هذا شيء طيب لا شك، لكن الناس بحاجة إلى العلم، إلى الفقه الذي قال عنه الرسول عليه السلام، من يرد الله به خيراً يفقّه في الدين، ما تسمع إلا المذهب الحنفي يقول هكذا، والمـــذهب الشافعي يقول هكذا، مساكين، الجماعة الحاضرين، ولا تؤاخذوني ولكـــل قاعـــدة استثناء الجماعة الحاضرين [...] مخبلين، ما في واحد يقول يا سيدي الشيخ ضعنا بين هذا المذهب وهذا المذهب، ما هو الصواب؟ ربنا يقول: {فَمَاذَا بَعْـــدَ الْحَـــقِّ إِلَّـــا الضَّلَالُ} [يونس:٣٢]، نبينا يقول: «إذا حكم الحاكم فأصاب فلـــه أجـــران، وإن أخطأ فله أجر واحد»، إذن العلم صواب وخطأ، فما هو الصواب فيما تقول؟ فاقد الشيء لا يعطيه، ما يقدر أنه يعطي جواب، لماذا؟ لأنه هو في الأمس كان طالب في

الجامعة، بعد يوم يومين ثلاثة شهر شهرين أخذ الشهادة وصار دكتـــور، فالـــذي كسبه هو الذي بدو يقدمه، ما اكتسب علماً، اكتسب قيل وقال، وقـــد جـــاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلّم نهى عن قيل وقال، وكثرة الســـؤال وإضاعة المال، ومنع وهات ووأد البنات.

إذن يا إخواننا نحن نريد الآن أن نحيي المجتمع الإسلامي قبل أن نقيم دولة إســـلامية وهذه نقطة يغفل عنها أكثر الدعاة الإسلاميين، الدولة المسلمة لا يمكن إقامتـــها في مجتمع كافر أو شبه كافر أو مجتمع فاسق، وإنما الدولة المســـلمة تقـــام علـــى أرض مسلمة، هذه الأرض المسلمة لا يمكن أن تحقق إلا عبر الركيزتين السابقتين: تصـــفية وتربية، التصفية: قلنا أن الإسلام اليوم غير ذلك الإسلام وذكرنا لكـــم الحـــديث: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين طائفة كلها في النار إلا واحدة»، نحن نتحـــدى أي طائفة، أي جماعة أي شخص يريد أن يقيم الدولة المسلمة على غير هذا المنهج، أن نسأله سؤالاً واحد ويجيب عنه: هل عرفت ما كان عليه الرسول عليه الســـلام وأصحابه؟ لا لايمكنه أن يعرف لأنه ما قضى هو حياته في معرفة السنّة ولو فعل مـــا استطاع، لماذا؟ لأن الشخص الواحد ما يستطيع، يجب أن يتوارث العلماء هذا العلم خلف عن سلف، والعلم بالسنّة على وجهها انقطع منذ قرون مع الأسف الشديد، ولذلك فيجب أن يكون هناك علماء يستطيعون أن يجيبوا عن كل مسألة تخطـــر في بال إنسان أو تعرض لأي إنسان، أن يقول الجواب هكذا، قال عليه السلام كـــذا، كان الصحابة على كذا.

هكذا يمكن تحقيق المجتمع الإسلامي، وبالتالي، وهذا هو الجواب، فقرة جاءت هنا لا أذكرها لعلك تذكرني بها، هو جواب أننا نقيم الدولية أوتوماتيكياً، بإيجاد المجتمـــع الإسلامي ستوجد الدولة المسلمة، أما دولة مسلمة تُفرض بانقلاب عســـكري، أو

بانقلاب -كما يزعمون اليوم- أبيض لا تسيل فيه الدماء لكن الأرض لا تزال هـــي هي، لم يُهيَّأ المجتمع هذا لتقبُّل الأحكام الشرعية، ستكون النتيجة غيّرنا بس الواجهة، غيرنا الرجالات الذين نقول اليوم أنهم يحكمون اليوم بغير ما أنـــزل الله وســـينوب مناهم رجال كانوا يقولون نريد إقامة الدولة المسلمة وقد يصلون إلى الحكم ولكن لا يستطيعون أن يقيموا دولة مسلمة، لماذا؟ فاقد الشيء لا يعطيه، أنا عندي تجربة الآن جديدة في الجزائر فيه نهضة إسلامية حارة جدا، عواطف جامحة، يقولون: أحـــدهم حوله خمسة ملايين مسلم يريدون أن يقيموا الدولة الإسلامية، في جلسة متواضـــعة عدداً أقل من هذه الجلسة المباركة سألتهم: الشعب الجزائري ما أدري عشرين ثلاثين مليون كلو، لكن المصطفين الأخيار منهم الذين تكتلوا حول شعب مسلم طيب يريد أن يقيم دولة مسلمة من هذه العشرين أو ثلاثين مليون، خمسة ملايين!! قلت لهـــم هذه الخمس ملايين إذا مرضوا مرضاً مادياً كم طبيب يا ترى تقدرون هم بحاجـــة إليهم؟ يكفي خمسة؟ عشرة؟ مئة؟ وإلا تحتاجون إلى ألوف مؤلفة؟ قالوا وهو كذلك نحتاج إلى ألوف مؤلفة من أطباء الذين يعالجون الأمراض المادية، قلت لهم: هـــؤلاء الخمس ملايين، كم عالم عندكم؟ ما في جواب، وهذا الذي نعرفه، إذن من الـــذي يقيم الدولة المسلمة؟! من الذي يضع الدستور؟! من الذي يفسر الدستور بالقوانين؟! العلماء أم الجهلاء؟

لذلك أعود وأقول، والبحث طويل الذيل كما قلت سلفا:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

لا يمكن إقامة الدولة المسلمة إلا في مجتمع إسلامي، ولا يمكن إقامة المجتمع الإسلامي إلا على العلم الصحيح، والتربية القائمة على هذا العلم الصحيح.

السائل: ذكرتم الذين أضاعوا ربهم، وذكرت أنهم الأشاعرة والماتوريدية والمعتزلة، لكن هناك أناس في اعتقاد كثير من العوام لم يضيعوا ربهم، وهم الصوفية الذين يقولون عن ربهم أنه في كل مكان، آه صح.

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: ما صح.

السائل: ويستدلون بالآية {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ}[الزخرف:٨٤]، والله في السماوات والأرض

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: يعني لذلك هم يذكرون الله بقولهم: ((هو هو))، ((لاهو لاهو))!!! هذا كمان مثال ثاني، شو موقف الجماعات التي تريد إقامة الدولة المسلمة من هؤلاء الناس؟

السائل: ((يا موجود في كل الوجود))، إذا خرج من بيته يقول: ((يا موجود في كل الوجود))، سمعتها في دمشق كثيرة.

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: يا سيدي هون، [يقولون] الله موجود في كل مكان، الله موجود في كل وجود.

لذلك هؤلاء مسلمون، نحن الآن يا جماعة أمرنا مشكل عجيب جداً، نريد مثلا أن نجاهد الكفار هل نحن على قلب واحد؟ هل نستطيع أن نجاهد الكفار؟ نحن الآن مختلفون بيننا ولا نستطيع أن نقاتل الكفار ما دمنا نحن مختلفين، إذن قبل كل شيء أبسط الأمور التي يشترك في معرفتها العالم والجاهل أنه لازم نتفق حتى نكون قوة ويداً واحدة ضد العدو، هذا يحتاج إلى اتفاقنا، ودائماً نعمل حركات وثورات إلخ..، ثم لا شيء وراء ذلك، فلماذا لا نستفيق، والمثل العربي يقول: ((أنا سائق، وأنت مائق، فكيف نتفق!!))، كل واحد منا ماشي في طريق، لكن الله عزّ وجل يقول: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}

[الأنعام:١٥٣]، نحن الآن قد تتبعنا السبل ولذلك تفرقنا، فقبل الــتفكير في إقامــة الدولة المسلمة، الله يرحم ذاك الداعية، ما أذكر إن كان حسن البنا ولا الهضيبي، قال كلمة لو أن أتباعه اليوم الذين ينتمون إليه ساروا عليها، لاستطاعوا أن يقيموا مجتمعا إسلامياً ولو صغيرا، ماذا قال؟: ((أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقــام لكــم في أرضكم))، أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، لا نحن بدنا نقيم دولــة الإســلام في الأرض قبل ما نقيمها في القلب، هذا لن يكن أبداً.

الآن هؤلاء الصوفية بيصلوا ويصوموا، ويمكن أنهم يصلوا بالليل ونحن نائمين، لكــن إيش فائدة هذا الصيام وهذا القيام، وهم جحدوا ربهم، وقال قائلهم كما تعلم: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا، وما الله إلا راهب في كنيسة

هدول إخواننا!! إخواننا هادول، لكن إيشلون يا جماعة إخواننا وهم كفروا بربنا!!! وجعلوا الكلب والخنزير إلهنا!!! هؤلاء ليسوا إخواننا، هل يستطيع هــؤلاء الــذين يريدون أن يقيموا دولة الإسلام أن يستغنوا عن هؤلاء ويتركوهم هكذا همــلا، أم واجبهم أن يرشدوهم، واجبهم أن يرشدوهم، لأنه قد يكون منهم أبــوهم، منــهم أخوهم، منهم أمهم، خالتهم عمتهم إلخ... ما هم خارجين عنا، لكن بس بدنا نقيم الدولة المسلمة وكيف..؟ هذه نقطة لا تبحثها، بس بدنا نقيم الدولة المســلمة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عـــودة إلـــى الســـــنة[١]

كتب الأستاذ الفاضل صديقنا الشيخ علي الطنطاوي مقالاً مسهباً تحـــت عـــوان " مشكلة " نشره في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ من مجلة المسلمون.

بدأ فيه فوصف أفراداً من المسلمين جعلهم أمثلة للذين يدعون الإســـلام منـــهم ولا يعملون به، ثم تعرض لنقد طوائف نعتهم بـــ " الدعاة إلى الله، الذين نرجـــوا بهـــم نصرة الإسلام، وإعادة أهله إليه ".

فبدأ بنقد " من يرى الإسلام في اتباع مذهب من المذاهب الأربعة والوقوف عنـــدما أفتى به متأخرو فقهائه " ثم ثنى بالرد على " من يدعو إلى العودة إلى السنة " وأفاض هنا ما لم يفض في رده على غيرهم!

ثم ختم الشيخ مقاله بما خلاصته: " وهؤلاء الدعاة مختلفون أبداً، آخذ بعضهم بخناق بعض، يتناظرون أبداً ويتجادلون، يتقاذفون الردود، لا في مصر والشـــام والعـــراق وحدها، بل في بلاد الإسلام جميعاً. . . والإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم– واحد، له مفهوم واحد، فعلام هذا الاختلاف؟. . . ".

" وأنا لا أقول بتوحيد الأفهام ومنع الاختلاف، فما أظن أن هذا يكون (ولو شـــاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)، ولكن الذي أقوله هو وجوب الاتفاق على الأسلوب الذي ندعو به إلى الاسلام، والصورة التي نعرضها له على التلاميـــذ في المـــدارس،

---

[١] مقال للشيخ الألباني نشر في مجلة المسلمون (٥/ ١٧٢ – ١٧٦، و ٢٨٠ – ٢٨٥، و ٤٦٣ – ٤٧٠، و ٩١٣ – ٩١٦).

والعامة في المساجد، والأجانب في بلاد الغرب لنقول لهم هذا هو أساس الإسلام، وهذه أركانه، وهذا طريق الدخول فيه، لا نفاجيء واحداً من هؤلاء بالخلاف في فهم مشكلات الآيات، ولا الاجتهاد والتقليد، ولا نبدؤهم بمستحدثات المتصوفة وقوانين الطرق، ولا نحملهم على الآراء الفردية التي لا يقرها الجميع ".

" فما هو الأسلوب (العملي) الممكن للوصول إلى هذه الغاية؟ هل يكون ذلك بمؤتمر لعلماء المسلمين، أم يتولاه معهد من المعاهد العلمية، أو يقوم به واحد من المسلمين؟ ما هو الأسلوب؟ ".

وللجواب عن سؤال الأستاذ نسوق هذا المقال فنقول:

١ - لا اتفاق على الأسلوب قبل الاتفاق على الهدف: (الإسلام)

إن الذي يقرأ مقال الشيخ بتدبر وإمعان، يظهر له أن فيه فجوة تركها الشيخ دون أن يملأها ببيانه، ذلك أنه بعد أن عرض " المشكلة " عرضاً بيناً قفز إلى الدعوة إلى وضع أسلوب عملي للدعوة إلى الإسلام، والمنطق يشهد أنه كان من الواجب بعد عرض المشكلة التحدث عن طريقة حلها أو على الأقل دعوة العلماء إلى حلها، ثم بعد ذلك يأتي دور الدعوة إلى وضع أسلوب عملي للدعوة إلى الإسلام، لأنه من البدهي أنه مادام الدعاة إلى الإسلام مختلفين في فهم الإسلام ذلك الاختلاف الذي وصفه الشيخ وهو في الواقع أكثر مما وصف! فإنه من غير الممكن أن يتفق هؤلاء على الأسلوب العملي، كيف وهم لم يتفقوا على فهم الهدف (الإسلام)؟

ولو فرضنا أنهم اتفقوا على أسلوب ما، فلن يؤدي بهم إلى الدعوة إلى " إسلام واحد له مفهوم واحد "، بل سيدعو كل منهم إلى الإسلام الذي فهمه هو، أو تلقاه عن آبائه ومشايخه، وبذلك تعود المشكلة كما هي دون أن نستفيد من أسلوب الدعوة شيئاً لو تمكنوا من وضعه!

إذن لابد من وضع حل لهذه " المشكلة " فما هو؟ وأين هو؟

٢ - حل المشكلة بالرجوع إلى السنة:

لا شك أن المفروض في الدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا من أطوع الناس لله تعالى، وأسرعهم مبادرة إلى تطبيق أحكامه عز وجل، فإذا كانوا مختلفين في فهم الإسلام فمن الواجب عليهم أن يحتكموا إلى ما أمر الله به، من الرجوع إلى السنة، لأنها هي التي تفسر القران، وتوضحه، وتبين مجمله، وتقيد مطلقه، كما يشير لهذا قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقد قال عز وجل: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا).

فهذه الآية الكريمة صريحة في أن من كان مؤمناً حقاً رجع عند الاختلاف إلى حكم الله عز وجل في كتابه، وبيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، وأن الرجوع إليهما يرفع الخلاف، فوجب بنص هذه الآية على الدعاة أن يرجعوا إلى السنة الكريمة ليرفعوا الخلاف بينهم.

ومما لا شك فيه أن الرجوع إلى السنة يقتضي العلم بها والمعرفة بما صح منها وما لم يصح، والدعاة في هذا العصير بين إحدى حالتين:

١ - إما أن يكونوا قادرين على الرجوع إليها، وحينئذ فالطريق سهل بين ليس عليهم إلا سلوكه، وهم في الغالب لم يفكروا في سلوكه بعد!

وهنا يقال: كيف يدعو إلى الإسلام من لا يحكم الإسلام في نفسه؟

٢ - وإما أن يكونوا عاجزين عن الرجوع إليها بسبب جهلهم بها، كما هو الغالب مع الأسف على أكثر الدعاة، ففي هذه الحالة عليهم أن يعدوا العدة لتخريج جماعة، بل جماعات من العلماء، يتدارسون كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-،

ويتفقهون فيهما، ويصدرون الفتاوى معتمدين عليهما، كما كان عليه الأمر في عهد السلف الصالح [١] فإذا تحقق هذا – وهو واقع إن شاء الله تعالى ولو بعد حين – نكون قد سلكنا النهج المستقيم للقضاء على الخلاف في فهم الإسلام على الصورة التي عرضها الشيخ الطنطاوي –حفظه الله تعالى– في مقال: " المشكلة " وبذلك يمكن حل (المشكلة) التي تقف عقبة في سبيل " الاتفاق على الأسلوب الذي ندعو به إلى الإسلام ".

٣ – هل يرض الدعاة بهذا الحل؟

لكن يبدو للباحث أن كثيراً من الدعاة اليوم لا استعداد عندهم –مع الأسف الشديد– لتقبل الحل المذكور منهجاً للقضاء على الخلاف، مما يحملنا على أن نعتقد أن تحقيق الاتفاق الذي يدعو إليه الشيخ بعيد المنال في الوقت الحاضر، كيف لا، ونحن نرى حضرته – وهو ممن كنا نظن أنه من أقربهم إلى السنة وأدناهم للتفاهم معه

---

[١] قال الشيخ محمد الخضري –رحمه الله– بعد أن تكلم عن التشريع في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم في عهد الصحابة، ثم في عهد التابعين، إلى منتصف القرن الرابع:

" الدور الخامس وهو دور القيام على المذاهب وتأييدها. . .

لا شك أنه كان في كل دور من الأدوار السابقة مجتهدون ومقلدون، فالمجتهدون هم الفقهاء الذين يدرسون الكتاب والسنة، ويكون عندهم من المقدرة ما يستنبطون به الأحكام من ظواهر النصوص أو من منقولها، والمقلدون هم العامة الذين لم يشتغلوا بدراسة الكتاب والسنة دراسة تؤهلهم إلى الاستنباط، أما في هذا الدور فإن روح التقليد سرت سرياناً عاماً واشترك فيها العلماء وغيرهم من الجمهور، فبعد أن كان مريد الفقه يشتغل أولاً بدراسة الكتاب ورواية السنة اللذين هما أساس الاستنباط، صار في هذا الدور يتلقى كتب إمام معين، ويدرس طريقته التي استنبط بها ما دونه من الأحكام، فإذا أتم ذلك صار من العلماء الفقهاء ".

فلت: ومما لا شك فيه عند غير المتعصب أن هذه الطريقة السلفية هي وحدها الكفيلة بإخراج العلماء الفقهاء حقيقة، كيف لا، والإمام مالك يقول: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ".

في سبيل الدعوة إليها والعمل بها – نراه قد حمل في مشكلته هذه على الـــدعاة إلى السنة حملة شعواء، وهجاهم فيها بما لم يهج به القائلين بوحدة الوجود!

وهذا في الواقع من غرائب الاختلاف، فبينما يرى دعاة السنة أن " المشكلة " لا تحل إلا بتبني الدعاة لدعوتهم حقاً، إذا ببعض هؤلاء الدعاة يجعلهم من الدعائم التي قامت بسببهم " المشكلة "!

هذا ولما كان في رده عليهم كثير من الأخطاء والآراء التي يفهم منها القراء خـــلاف ما عليه دعاة السنة، رأيت أنه لا بد من بيان ذلك إظهاراً للحق ودفعاً للتهمة، راجياً من فضيلة الشيخ أن يتقبل ما عسى أن يظهر له صوابه، وأن يدلنا على ما تبين لـــه خطؤه، سائلاً المولى –سبحانه وتعالى– أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، موافقة لسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–.

٤ – نص كلام الأستاذ الطنطاوي:

" وآخر يرى الإسلام في ترك المذاهب كلها، والعودة إلى السنة، فكل من استطاع أن يقرأ البخاري ومسلم ومجمع الزوائد، وأن يفتش عن اسم الـــراوي في التقريـــب أو التهذيب، وجب عليه الاجتهاد، وحرم عليه التقليد، ويسمون هذا الفقه العجيـــب الذي يشبه فقه برد [1] (والد بشار) بفقه السنة، لا يدرون أن الوقوف على الأحاديث ومعرفة إسنادها ودرجاتها شيء، واستنباط الأحكام منها شيء آخر، وأن المحـــدثين كالصيادلة، والفقهاء كالأطباء، والصيدلي يحفظ من أسماء الأدويـــة ويعـــرف مـــن أصنافها ما لا يعرفه الطبيب، ولكنه لا يستطيع أن (يشخص) الأمـــراض ويشـــفي المرضى، وأن الصحابة أنفسهم لم يكن فيهم إلا مئة ممن يفتي، وأن مئة الألف مـــن

---

[1] كان بشار يهجو الناس وهو صبي فيشكونه إلى أبيه فيضربه، فلما طال ذلك عليه قال لأبيه: قل لهم إن ابني هذا أعمى، والله يقول (ليس على الأعمى حرج) فقالوا: فقه برد أشد علينا من شعر بشار. " طنطاوي ".

المسلمين الذين توفي عنهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- كانوا يرجعون إلى هذه المئة، ولا يجتهدون لأنفسهم، وأنه إن لم يطلع الإمام من الأئمة على الحديث من الأحاديث، فإن أتباع مذهبه قد اطلعوا عليه خلال هذه القرون الطويلة، وأنهم كانوا اتقى لله وأحرص على دينهم من أن يخالفوا حديثاً صحيحاً لقول إمام أو غير إمام، وأن المذاهب لم تأخذ الأحاديث وحدها، بل أخذت الحديث وما قال فيه الصحابي، والتابعي، ومن بعده، وسجلت هذه الشروح والأفهام المتعاقبة ثم استخلصت منها الحكم، وأن من يترك اجتهادات الأئمة كمن يرى الطيارة وما بلغت إليه بعد الجهود المتتالية والرقي المتسلسل، فيتركها ويعرض عنها، ويحاول الطيران بأجنحة ليركبها لنفسه كما فعل العباس بن فرناس، وإن دعوى منع التقليد في الدين دعوى باطلة، لأن في كل علم أهل اختصاص فيه، وغرباء عنه فإذا احتاج الغريب إلى معرفة حكم فيه رجع إلى أهله، كالعامي يحتاج إلى مداواة مريضه، أو عمارة بيته، أو إصلاح ساعته، فلا يستطيع إلا الرجوع إلى الطبيب أو المهندس أو الساعاتي، وتقليده فيما يذهب به إليه اجتهاده " اهـ.

٥ - لماذا يدعو دعاة السنة للعودة إلى السنة:

وإني قبل الشروع في بيان ما في كلام الأستاذ الطنطاوي من الأخطاء، أرى لزاماً علي أن أبين الأسباب التي تحمل دعاة السنة على الدعوة إليها، وترك كل قول يخالفها فأقول:

أولاً: إنها المرجع الوحيد بعد القرآن الكريم، وفي ذلك آيات كثيرة معروفة وعلى ذلك إجماع الأمة.

ثانياً: إنها عصمة من الوقوع في الخطأ وأمان من التردي في الضلال كما قال -صلى الله عليه وسلم- في حجة الودع: " يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم

به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه " [1]، وليس كـــذلك اجتـــهادات الرجـــال وآراؤهم، ولذلك قال الإمام مالك -رضي الله عنه-: " إنما أنـــا بشـــر أخطـــيء وأصيب، فانظروا في رأي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه "[2]، وقال شريح القاضي: " إن السنة ســـبقت قياســـكم، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإنكم لن تضلوا ما أخذتم بالأثر " [3].

ثالثأ: إنها حجة ملزمة باتفاق المسلمين، بخلاف آراء الرجال فإنها غير ملزمـــة عنـــد السلف[4] وغيرهم من المحققين، قال الإمام أحمد -رضي الله عنه -: " رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وانما الحجة في الآثار[5] .

رابعاً: إنه لا يمكن لطالب العلم أن يصير فقيهاً حقاً إلا بدراستها، فهي وحدها بعد القرآن الكريم تؤهله لأن يستنبط ويقيس قياساً صحيحاً إذا أعوزه النص، فلا يقـــع مثلاً في مثل الأخطاء التي يقع فيها الجهال بها، كقياس الفرع على الفرع، أو الضـــد على الضد، أو القياس مع وجود النص، ولهذا قال ابن القيم -رحمـــه الله- [6]: " إن أصح الناس قياساً أهل الحديث، وكلما كان الرجل إلى الحديث أقرب كان قياســـه أصح، وكلما كان عن الحديث أبعد كان قياسه أفسد ".

خامساً: إنه لا يمكن القضاء على ما دخل في المسلمين من البدع والأهواء إلا مـــن طريق السنة، كما أنها سد منيع للوقوف في وجه المذاهب الهدامة، والآراء الغربية التي

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك (٩٣)، وابن عبد البر في "جامع العلم" (٢/ ٢٤).

[2] "ابن عبد البر" (٢ – ٣٢).

[3] "ابن عبد البر" (٢ – ٣٤، ٣٥).

[4] "إعلام الموقعين" (١ – ٧٥، ٧٧).

[5] "ابن عبد البر" (٢ – ١٤٩).

[6] "إعلام الموقعين" (٢ – ٤١٠).

يزينها أصحابها للمسلمين، فيتبناها بعض دعاتهم ممن يدعي التجديد والإصلاح ونحو ذلك!

سادساً: إن المسلمين اليوم قد شعروا -على اختلاف مذاهبهم وفرقهم- أن لا مناص لهم من الاتحاد ونبذ الخلاف حتى يستطيعوا الوقوف صفاً واحداً تجاه أعدائهم، وهذا لا يمكن إلا بالرجوع إلى السنة لما سبق ذكره في الأسباب (١، ٢، ٣).

سابعاً: إنها تقرن مع ما تحمله من أحكام مرغبات في تنفيذها، ومرهبات عن التساهل بها، وذلك أسلوب النبوة، وروح الشرع، مما يجعل أصحابها أرغب في القيام باحكامها من الذين يأخذونها من كتب الفقه العارية عن الدليل، وهذا أمر مشهود ما أظن أن أحداً حتى من المتعصبين للمذاهب ينكره.

ثامناً: إن المتمسك بها يكون على مثل اليقين في الأحكام التي يأخذها منها، بخلاف المقلدين الجهال بها، فإنهم يضلون بين الأقوال الكثيرة المتضاربة التي يجدونها في كتبهم، ولا يعرفون خطأها من صوابها، ولذلك قد يفتي أحدهم في مسألة بقولين متعارضين، فيقول مثلاً: يجوز ذلك عند أبي حنيفة، ولا يجوز عند صاحبيه، مع أن السنة الصحيحة الصريحة مع أحد القولين، ولكنه لجهله بها يحكي القول المعارض لها، بدون إنكار منه له، ولو بطريق الإشارة، فيلقي بذلك المستفتي في الحيرة! بل إن بعضهم يجعل القولين المتناقضين كشريعتين محكمتين يجوز للمسلم أن يأخذ بأيهما شاء! بل إن بعض الشافعية أجاز لنفسه أن يفتي بالقول الذي يعطى عليه أجراً أكبر!

تاسعاً: إن السنة تسد الطريق على الذين يريدون أن يتحللوا من الإسلام باسم المذاهب الفقهية نفسها، ويتخذون من التلفيق باسم المصلحة ما يؤيد حجتهم! ولا يعجزون أن يجدوا في ثنايا المذاهب في كل مسألة من المسائل ما يوافق ويؤيد "

مصلحتهم " المخالفة للسنة [١]، وهم لذلك يحاربون الرجوع إلى السنة، لأنها تسد الطريق عليهم كما قلنا، وتكشف تسترهم وراء المذاهب و " سعة الشريعة الإسلامية بسعة الأقوال الكثيرة، والاجتهادات الغزيرة والثروة الفقهية الطائلة التي قل أن تخرج مسألة عنها "؟! والله أعلم بما يوعون.

فهذه بعض الأسباب التي تحضرني الآن مما يحمل أنصار السنة على الدعوة إليها، وإيثارها على خلافها، فكيف لا يدعون الناس إليها ويرغبونهم في الاهتداء بهديها، والاستنارة بنورها؟ بل كيف لا يفدون أرواحهم في سبيلها؟

فالعجب ممن يريد أن يصدهم عنها، ويحملهم على تركها إلى التمسك بالمذهب، مع أن إمامه يأمر بالرجوع لها، وتسليم القياد لها، هيهات هيهات!

٦ - بيان ما في كلام الأستاذ الطنطاوي من المآخذ:

بعد هذا نعود فنذكر ما بدا لنا من المآخذ في كلام الطنطاوي فأقول:

١ - قال الشيخ: " وآخر يرى الإسلام في ترك المذاهب كلها، والعودة إلى السنة ".

أقول: أما العودة إلى السنة فحق واجب، وقد سبق بيان أسباب ذلك في الفصل السابق، وأزيد هنا فأقول: إنه يجب على كل مسلم أن يستجيب لدعوتهم هذه إن كان مؤمناً حقاً، فقد قال تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) وقال في المنافقين: (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون) وقال (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله

---

[١] ولهذا قال سليمان التيمي (من ثقات اتباع التابعين ومفتيهم): (إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله) رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (٢/ ٩١، ٩٢) ثم قال هذا: (هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً).

وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وهي معروفة، وانما أوردنا بعضها للذكرى.

فلا حجة لأحد في أن لا يستجيب لدعوتهم هذه، فكيف في الإنكار عليهم بسببها؟ ولئن كان بعض الناس يزعم أن الدعاة إليها ليسوا أهلاً من الوجهة العلمية للقيام بها – كما قد يشير لهذا قول الشيخ في الفقرة الآتية، فهذا –لو صح– ليس بمسوغ لهم أبداً أن يردوها عليهم، لأن الحق يجب قبوله، ولا يجوز رده مهما كان مصدر، وهذا شيء بين لا يحتاج إلى تدليل.

ثم إنهم لو كانوا صادقين في ذلك الزعم، لبادروا إلى بيان ذلك للناس، بضرب أمثلة يظهرون بها جهل هؤلاء الدعاة بالسنة وسوء فهمهم لها، حتى يعرفهم الناس ويجتنبوهم ولا يغتروا بدعوتهم إلى السنة! ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولعلهم لن يفعلوا، والسبب معلوم لديهم، وعند أهل العلم من غيرهم!

٧ – رأي دعاة السنة في المذاهب:

وأما ترك المذاهب كلها، فعزو هذا إلى الدعاة إلى السنة لا يخلو مما يوهم خلاف ما هم عليه، ودفعاً لذلك أرى أنه لا بد من بيان رأيهم في المذاهب وموقفهم منها فأقول:

من المعلوم عند العلماء أن المذاهب الأربعة وغيرها ليست آراؤها متفقة في كل الأحكام الشرعية، بل هي فيها على ثلاثة أقسام:

١ – قسم منها متفق عليه، كتحريم التشبه بالكفار –مثلاً–.

٢ – وقسم فيه خلاف، ولكنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، مثل أدعية الاستفتاح والتشهد.

٣ – وقسم فيه اختلاف شديد لا يمكن الجمع بين الآراء المختلفة فيه بوجه من وجوه الجمع المعروفة لدى العلماء، مثل: مس الرجل المرأة ونقض الوضوء به، فإن فيه ثلاثة أقوال مشهورة: النقض، وعدمه، والفرق بين أن يكون المس بشهوة فينقض وإلا فلا. وإذا كان الأمر كما فصلنا، فكيف يعزو الشيخ للدعاة إلى السنة أنهم " يرون ترك المذاهب كلها "! مع أن هذا الترك يستلزم الإعراض عما فيها من الحق المسلم به لديهم؟! أليس هذا من الأدلة الكثيرة على أن الشيخ لا يتحرى الصواب حين يتهم خصومه في الرأي بما هم براء منه؟

ولعلم أنصار السنة بما سبق من التفصيل يضطرون إلى أن يبحثوا عن الحق في المذاهب كلها، ليس خارجاً عنها، ولا في مذهب معين منها، وهذا البحث قد بين لهم فضل أئمة المذاهب، وعلمهم، ودقة فهمهم للكتاب والسنة، وتنبهوا بسبب ذلك لكثير من دقائق المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، فاستفادوا بسببهم علوماً كثيرة في أوقات يسيرة، لولاهم لما وصلوا إليها، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً.

ولهذا فإن أنصار السنة أعرف بفضل الأئمة وعلمهم من أتباعهم الذين يقلدونهم على جهل بطرق الاستنباط والاستدلال، والله تعالى يقول: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

هذا، ثم إن الدعاة إلى السنة لما تبين لهم بعد البحث في المذاهب أن فيها الخلاف المذكور في القسم الثالث، لم يجيزوا لأنفسهم أن يتمسكوا بمذهب معين فيها، لأنهم علموا أن الصواب في الخلاف المذكور ليس محصوراً في مذهب واحد منها، بل هو مشاع بين جميعها، فالحق في المسألة الفلانية في المذهب الفلاني، وفي المسألة الفلانية في المذهب الفلاني وهكذا سائر المسائل، فلو أنهم تمسكوا فيها بالمذهب لأضاعوا كثيراً من الحق الوارد في المذاهب الأخرى وهذا لا يجوز عند مسلم عارف.

ولما كان لا سبيل لمعرفة الحق مما اختلف فيه الناس إلا بالرجوع إلى السنة على ما بيناه فيما سبق، جعلها الدعاة إلى السنة الأمل الذي يرجعون إليه، والأساس الذي يبنون آراءهم وأفكارهم عليه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه لما كان الأئمة قد بذلوا جهوداً مشكورة في سبيل توضيح السنة وتقريبها للناس وبيان الأحكام الممكن استنباطها منها، فإن الدعاة إلى السنة لا يسعهم إلا الاستفادة من علمهم والاستعانة بآرائهم على فهم الكتاب والسنة، وبذلك يجمعون بين المحافظة على الأصل (السنة) وبين تقدير الأئمة قدرهم اللائق بهم، وذلك مما وصى به السلف أتباعهم، فقال عبد الله بن المبارك – رضي الله عنه–: " ليكن الأمر الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث " [1].

ذلك رأي الدعاة إلى السنة في المذاهب، وذلك موقفهم من أئمتها، فهل فيه ما يحمل المنصف على الطعن بهم والتنفير منهم؟ أم ذلك ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم عرف الفرق بين كلام المعصوم وكلام غيره، ثم لم ينس الفرق بين الغاية والوسيلة؟

٨ – التقاء الطنطاوي مع الدعاة إلى السنة في ترك المذهب اتباعاً للسنة:

بعد هذا البيان أستطيع أن أقول: إن موقف الصديق الطنطاوي من المذاهب لا يختلف كثيراً عن موقف دعاة السنة منها، ذلك لأن الطنطاوي يرى الخروج من المذهب جائزاً، بدليل إنكاره في مقاله هذا " مشكلة " على من " يرى الإسلام في اتباع مذهب من المذاهب الأربعة والوقوف عندما أفتى به متأخرو فقهائه. . . " ويؤيد هذا قوله في مقدمة كتاب " قانون الأحوال الشخصية " (ص / ٦):

---

[1] ابن عبد البر (٢/ ٣٤، ٣٥).

" ومن السياسة الشرعية أن يفتح للناس باب الرحمة من الشريعة، ويؤخذ من غـــير المذاهب الأربعة، ما يؤدي إلى جلب مصلحة عامة أو دفع ضرر عام ".

وعلى هذه السياسة جرى حضرة الصديق في " مشروع الأحوال الشخصية " الذي تحدث عنه في المقدمة المذكورة، فخالف فيه مذهبه الحنفي في مسائل كثيرة، أكتفي بذكر مسألتين منها على سبيل المثال:

١ - قال الشيخ في المقدمة (ص / ٥): " وقد عدل المشروع عن المذهب الحنفـــي الذي يحدد أقل المهر بعشرة دراهم إلى المذاهب الثلاثة التي لا تجعل لأقله حداً ".

٢ - ثم قال فيها (ص / ٦ - ٧): " نص أيضاً (يعني المشروع) على وقوع طلقـــة واحدة بالطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة أخذاً بما رواه مسلم في صحيحه من أن طلاق الثلاث كان يقع واحداً على عهد رسول الله (ص) إلخ. . .) وبرأي ابن تيمية ".

والواقع أن حضرة الشيخ الطنطاوي قد وفق للصواب فيما ذهب إليـــه في هـــاتين المسألتين، وقد بين هو في المسألة الأولى خلافه للمذهب الحنفي، وذهابه إلى المذاهب الثلاثة.

وأما المسألة الأخرى فخلافه فيها أشد لأن أحداً من أئمة المذاهب الأربعة لم يأخـــذ بحديث مسلم الذي ذكره هو، وان أخذ به غيرهم من الأئمة.

وما ذهب إليه الشيخ في هاتين المسألتين، هو مذهب الـــدعاة إلى الســـنة، قبـــل أن يكتبهما الشيخ في مشروعه بسنين.

وقد رأيت أنه في المسألة الثانية إنما ذهب إلى خلاف الأئمة الأربعة أخذاً بالحـــديث وبرأي ابن تيمية، وهذا هو عين ما يصنعه الدعاة إلى السنة، فإنهم يأخذون بالحديث

الصحيح مدعمين فهمهم إياه بتبني بعض الأئمة له كابن تيمية ومن قبله من أئمة الفقه والحديث، فما بال الشيخ ينكر عليهم هذا وهو معهم فيه فعلاً؟!

وخلاصة القول: إن الدعاة إلى السنة لا يتركون المذاهب كلها جملة وتفصيلاً، بل إنهم يحترمونها ويقدرون أئمتها، ويستعينون بها على فهم الكتاب والسنة، ثم يتركون من أقوالهم وأرائهم ما تبين أنه على خلاف الكتاب والسنة، وذلك من تمام إجلالهم واتباعهم، كما قال أبو الحسنات اللكنوي في " الفوائد البهية في تراجم الحنفية " بعد أن ذكر أن عصام بن يوسف البلخي من أصحاب أبي يوسف ومحمد كان يرفع يديه عند الركوع والرفع منه، قال أبو الحسنات (ص / ١١٦): " يعلم منه أن الحنفي لو ترك في مسألة مذهب إمامه لقوة دليل خلافه لا يخرج به عن ربقة التقليد، بل هو في عين التقليد في صورة ترك التقليد، ألا ترى إلى أن عصام بن يوسف ترك مذهب أبي حنيفة في عدم الرفع ومع ذلك هو معدود في الحنفية ".

قال: " وإلى الله المشتكى من جهلة زماننا حيث يطعنون على من ترك تقليد إمامه في مسألة واحدة لقوة دليلها ويخرجونه عن جماعة مقلديه، ولا عجب منهم فإنهم من العوام، إنما العجب ممن يتشبه بالعلماء، ويمشي مشيهم كالأنعام. "

٢ - ثم قال الشيخ الطنطاوي تفريعاً على ما ذكر في الفقرة الأولى من المقال، عن الدعاة إلى السنة:

" فكل من استطاع أن يقرأ في البخاري ومسلم ومجمع الزوائد وأن يفتش عن اسم الراوي في التقريب والتهذيب، وجب عليه الاجتهاد وحرم عليه التقليد ".

أقول: في هذه الكلمة ما يوهم أيضاً خلاف ما عليه الدعاة إلى السنة وإليك البيان:

٩ - تعريف التقليد وبيان ما يحرم منه وما يجب:

من المقرر عند العلماء أن التقليد هو " أخذ القول من غير معرفة دليله " ومعنى ذلك أن التقليد ليس بعلم، ولذلك جزم العلماء بأن المقلد لا يسمى عالماً [١]، بل نقل الاتفاق على ذلك ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٢/ ٣٦، ١١٧) وابن القيم في " إعلام الموقعين " (٣/ ٢٩٣) والسيوطي وغيرهم من المحققين، حتى بالغ بعضهم فقال: " لا فرق بين بهيمة تقلد وإنسان يقلد "! وأطلق بعض الحنفية عليه اسم الجاهل! فقال صاحب الهداية في صدد الكلام على تولية المقلد على القضاء: " فأما تقليد الجاهل فصحيح عندنا، خلافاً للشافعي " [٢].

ولذلك قالوا: إن المقلد لا يجوز له الإفتاء.

فإذا عرف هذا يظهر السبب الذي من أجله حمل السلف على التقليد والمقلدين وصرحوا بذمه وتحريمه[٣]. ذلك لأنه يؤدي بصاحبه إلى الإعراض عن الكتاب والسنة في سبيل التمسك بآراء الأئمة وتقليدهم فيها، كما هو الواقع بين المقلدين، مما هو

---

[١] انظر "الموافقات" للإمام الشاطبي (٤/ ٢٩٣)، و " الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم " للمحقق محمد بن إبراهيم الوزير اليماني (١/ ٣٦ - ٣٨).

[٢] ومع الشافعي في هذا جمهور العلماء كمالك وأحمد، قال ابن الهمام في " شرح الهداية " (٥/ ٤٥٦): " وقولهم رواية عن علمائنا نص محمد في الأصل أن المقلد لا يجوز أن يكون قاضياً، ولكن المختار خلافه " كذا قال وأنا أتساءل: هل الذي اختار خلاف ما عليه الأئمة المجتهدون مجتهد أم مقلد؟ فإ كان مجتهداً فمن هو وما دليله؟ وإن كان مقلداً فكيف جاز له أن يترك تقليد الأئمة وهو خلاف مذهبه؟ ثم قال ان الهمام: " واعلم أن ما ذكر في القاضي ذكر في المفتي فلا يفتي إلا المجتهد وقد استقر رأي الأصوليين على أن المفتي هو المجتهد، وأما غير المجتهد ممن حفظ أقوال المجتهد فليس بمفت "!

[٣] وقد عقد الحافظ ابن عبد البر باباً خاصاً بين فيه فساد التقليد وبطلانه، والفرق بين التقليد والاتباع، وقد كنت أود نقله لولا أنني رأيت المقال يطول فمن شاء فليراجعه في " جامع بيان العلم " (٢/ ١٠٩ - ١٢٠)، ولابن القيم في ذلك كلام في غاية التحقيق في "الإعلام".

مشهور عنهم، بل هو ما قرره بعض متأخريهم من الحنفية، فقال الشيخ محمد الخضري في صدد الكلام عن دور التقليد وأهله:

". . . ولا يستجيز الواحد منهم لنفسه أن يقول في مسألة من المسائل قولا يخالف ما أفتى به إمامه، كأن الحق كله نزل على لسان إمامه وقلبه! حتى قال طليعة فقهاء الحنفية في هذا الدور وامامهم غير منازع وهو أبو الحسن عبيد الله الكرخي: " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ " وبمثل هذا أحكموا دونهم إرتاج باب الاختيار "[1].

وقد استولى هذا التوجيه الخاطئ على قلوب كثير من المقلدة، لا سيما في الأزمنة المتأخرة، بحيث صار من المعروف المشهور ردهم السنن الصحيحة اتباعاً للمذهب فإذا قيل لأحدهم: هذه المسألة التي ذكرتها خلاف السنة، بادرك بقوله: أأنت أعلم بالسنة من علماء المذهب؟! لا يجوز العمل بالحديث لغير المجتهد! هذا جوابهم جميعاً لا فرق في ذلك بين عاميهم وعالمهم!

وهم حين يجيبونك بهذا الجواب الذي لا يمكن أن يصدر ممن عرف قدر حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والأدب معه، يجهلوم أو يتجاهلون أن الحديث الذي لم يأخذ به مذهبهم قد قال به مذهب آخر أو إمام آخر ليس هو دون مذهبهم أو إمامهم، فالذي ذهب إلى الحديث يكون قد أخذ به وبالمذهب الذي عمل به، بينما مخالفه إنما يعمل بالمذهب فقط!

قد يقال: إن المذهب لابد له من دليل ولكنا لا نعلمه، فنقول: إذا كان الأمر كما تقول فكيف يجوز لمسلم أن يترك الدليل الذي عرفه وهوحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لدليل لا يعلمه، وقد يكون لو علمناه قياساً أو استنباطاً من

[1] تاريخ التشريع الإسلامي (٣٣٨).

عمومات أو كليات الشريعة لا ينهض تجاه الحديث إذ لا اجتهاد في مورد النص، واذا ورد الأثر بطل النظر، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل؟

هذا التقليد الذي هو رد الحديث انتصاراً للمذهب ونحوه هو الذي يحرمه دعاة السنة، ويدعون المسلمين جميعاً إلى الخلاص منه، بالرجوع إلى اتباع السنة أينما كانت، وفي أي مذهب وجدت.

وأما تقليد المسلم من هو أعلم منه حين لا يجد نصاً عن الله ورسوله، أو حين لا يمكن الفهم عنهما فليس مما نحن فيه، بل لا يتصور أن يقول بتحريمه مسلم، لأنه مضطر إليه، والضرورات تبيح المحظورات، ولولا ذلك لصار الدين هوى متبعاً - والعياذ بالله تعالى-. ولهذا ذكر العلماء: " إن التقليد إنما يباح للمضطر، وأما من عدل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه إلى التقليد، فهو كمن عدل إلى الميتة مع قدرته على المذكى، فإن الأصل أن لا يقبل قول الغير إلا بدليل إلا عند الضرورة "[1].

١٠ - الفرق بين التقليد والاتباع:

ولا يليق بالعاقل البصير في دينه أن يفهم مما سبق من بيان تحريم التقليد، أن الاجتهاد واجب على كل مسلم مهما كان شأنه في العلم والفهم، فإنه خطأ بين، ويظهر أن الشيخ سبق إليه هذا الفهم مما بلغه من تحريم دعاة السنة للتقليد، فاستلزم من ذلك أنهم يوجبون الاجتهاد على كل مسلم، مهما كانت منزلته في العلم، وذلك واضح من كلمته في هذه الفقرة وهو قوله: " وجب عليه الاجتهاد وحرم عليه التقليد " فجعل الاجتهاد مقابل التقليد! وهذا خطأ بين عندنا، لأن الذي يقابل التقليد المحرم،

---

[1] إعلام الموقعين (٢/ ٣٤٤).

هو الاتباع الواجب على كل مسلم، وبينهما فرة ظاهر، قال أبو عبد الله بن خـــويز منداد البصري المالكي:

" التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والاتباع ما يثبت عليه حجة، وقال في موضع آخر: كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غـــير صحيح، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه، والاتباع في الـــدين مسوغ، والتقليد ممنوع "[١].

وأما الاجتهاد فمن المعلوم أنه " بذل الوسع لمعرفة الحكم من كتاب الله وسنة رسوله " ولا شك أنه فرض كفائي لا يجب على كل مسلم، بل لا يســتطيعه إلا القليـــل منهم، بل قد ندر المجتهدون اليوم بسبب غلبة التقليد على العلمـــاء والقيـــود الـــتي وضعوها للمجتهد، ومن العجائب أن الذين اشترطوا تحقق تلك الشروط في العـــالم حتى يسوغ له الاجتهاد هم من المقلدة الذين لا يدينون إلا بما قال إمامهم! فهـــم في الواقع متناقضون، يمنعون الاجتهاد ويوجبون التقليد، ثم هم يجتهدون ولا يقلـــدون، وليتهم إذا اجتهدوا أصابوا الحق و لم يخطئوه!

ويطول بنا المقام لو أردنا أن نذكر الأدلة على ذلك، فأكتفي بمثال واحد يراجـــع في التعليق [٢].

---

[١] ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " (٢/ ١١٧)، وابن القيم في " الإعلام " (٣/ ٢٩٩).

[٢] قال الخضري في تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٣٥٨ - ٣٥٩): " أما في هذا الدور الذي سرت فيه روح التقليد، فقد جرهم ذلك إلى الدفاع عن مسائل أئمتهم كما قلنا، وطلب منهم الأمراء أن يجولوا أمامهم في ميدان المناظرة، فجرهم ذلك الى ما سخطه الامام الغزالي، والى تعصب كل فريق لما يدافع ويجادل عنه، واعتداده خصماً كما يعبر بذلك عنه. ونزل فريق منهم الى العداء وتبعهم في ذلك العامة، وكاد يصل به الأمر إلى تحريم أن يقتدي أحد في الصلاة بمخالفه في المذهب اعتماداً على قاعدة لا ندري متى وجدت وهي أن العبرة في الاقتداء بمذهب

والذي أراه أن (الاجتهاد) ليس عسيراً كما يظن البعض بل هو ميسور لمن كان عنده أهلية الخطاب، وفهم أدلة ما يحتاجه من أدلة الكتاب والسنة، وبتعبير آخر إن الذي عنده أهلية لفهم كتب المذاهب وعباراتهم، سيما ما كان منها للمتأخرين فإنها تشبه الألغاز أحياناً، يستطيع أن يفهم كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فإنهما بدون ريب أبين وأوضح من كل ما سواها من الكلام، خصوصاً إذا استعان على ذلك بكتب أهل العلم من التفسير، وشروح الحديث، وبمبسوطات الفقه، التي تتعرض لذكر أدلة المختلفين، كالمجموع للنووي، وفتح القدير لابن الهمام، ونيل الأوطار للشوكاني ونحوها، ومن أنفعها كتاب " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " للعلامة ابن رشد، فإنه إنما ألفه لإعداد طلاب العلم للوصول إلى رتبة الاجتهاد، كما صرح بذلك في الكتاب نفسه [١].

المأموم لا بمذهب الإمام، ومن المعلوم أن كثيراً من صلاة الشافعية لا تصح في نظر الحنفي، فإن الشافعي لا يتوضأ من خروج الدم من جسمه لأن ذلك لا ينقض الوضوء عند إمامه، وكذلك الحنفي لا يتوضأ من مس امرأة أجنبية لأن هذا لا ينقض الوضوء عنده، وبذلك وأمثاله يوجد الشك في قلب المأموم إذا اقتدى بمخالفه في المذهب، ولا ندري كيف قالوا ذلك مع تسامح الأئمة في الاجتهاد، والخلاف، واعتبار أن ما أدى اليه اجتهاد المجتهد واجب أن يعمل به في حقه، ولا يجوز أن يتعداه إلى غيره، فمقتضى تلك النظرية أني أعتبر صلاة كل مجتهد صحيحة، ويخرج من ذلك أن العبرة في الاقتداء بمذهب الإمام لا بمذهب المأموم، ولكن التعصبات المذهبية أرادت أن تؤكد الفصل بين الجماعات ".

[١] قال ابن رشد (٢/ ١٦٠ - ١٦١): " فإن هذا الكتاب إنما وضعناه ليبلغ به المجتهد في هذه الصناعة رتبة الاجتهاد إذا حصل ما يجب له أن يحصل قبله من القدر الكافي له في علم النحو واللغة وصناعة أصول الفقه، ويكفي من ذلك ما هو مساو لجرم هذا الكتاب أو أقل، وبهذه الرتبة يسمى فقيهاً لا بحفظ مسائل الفقه ولو بلغت في العدد أقصى ما يمكن أن يحفظه انسان كما نجد متفقهة زماننا، يظنون أن الأفقه هو الذي حفظ مسائل أكثر، وهؤلاء عرض لهم شبيه ما يعرض لمن ظن أن الخفاف هو الذي عنده خفاف كثيرة لا الذي يقدر على عملها! ومن البين أن الذي عنده خفاف كثيرة سيأتيه انسان بقدم لا يجد في خفافه ما يصلح لقدمه فيلجأ الى صانع الخفاف ضرورة، وهو الذي يصنع لكل قدم خفاً يوافقه، فهذا هو مثال أكثر المتفقهة في هذا الوقت ".

وخلاصة القول: إن الدعاة إلى السنة لا يوجبون الاجتهاد إلا لمن كان عنده أهليـــة، وانما يوجبون الاتباع على كل مسلم، ويحرمون -اتباعاً للسلف- التقليد إلا عنـــد الضرورة وعدم الوقوف على السنة، فمن نسب إليهم خلاف هذا فقد تعدى وظلم، ومن طعن فيهم بعد هذا فإنما يطعن في السلف، وفيهم الأئمة الأربعة وان ادعى أنه سلفي! إذ ليست السلفية إلا فهم ما كان عليه السلف الصالح، ثم السير على ذلك، وعدو الخروج عنه.

ومما سبق يتبين للقارىء الكريم خطأ قول الأستاذ الطنطاوي في تمام الفقرة الرابعة: " وإن المحدثين كالصيادلة والفقهاء كالأطباء، والصيدلي يحفظ. . . " فإن هذه الكلمة على إطلاقها تجرد المحدثين من صنعة الفقه والفهم لما يحملون من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما أنها تجرد أيضاً الفقهاء من العلم والاطلاع على حديثه -صلى الله عليه وسلم-، ولا يخفى ما في ذلك من الطعن في الفريقين معاً. وأنا لا أنكر أن يكون في الفقهاء من هو أفقه من بعض المحدثين، كيف وقد أشار لهذا قوله -صـــلى الله عليه وسلم- في الحديث المشهور عنه: " نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظـــه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه "[١] ولكن ليس معنى ذلك أنه يسوغ لنا وصف المحدثين إطلاقاً بعدم الفقه، كما هو ظاهر عبارة الشيخ، فإن الحديث المذكور صريح في ردها حيث قال: " رب حامـــل فقه ليس بفقيه. . . " فأشار إلى قلة ذلك في المحدثين، لأن الأصل في " رب " أنهـــا للتقليل، وكيف لا يكون الأصل في حق المحدثين ما ذكرناه، وهم ممن عاهم رسول

قلت: فليتأمل في كلام هذا الفقيه الذين يخصون المشتغل بحفظ المسائل الفقهية بالسؤال عن أمور دينهم بدعوى أنه فقيه!

[١] رواه أحمد (٥/ ١٨٣) والدرامي (١/ ٧٥) وغيرهما، عن زيد بن ثابت، بسند صحيح.

الله -صلى الله عليه وسلم- بقوله: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحـــق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " [1] قال ابن المديني: هم أصحاب الحديث، والذين يتعاهدون مذهب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويذبون عـــن العلم، لولاهم لأهلك الناس المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الأرجاء والرأي [2].

ثم إنما تظهر الفائدة من التفريق بين معرفة الحديث، وبين استنباط الأحكـــام منـــه والتفريق بين المحدث والفقيه في مسألة اختلف فيها الطرفان ودليل كل منهما هو عين دليل الآخر، وإنما الخلاف في فهمه وتطبيقه، ففي هذه الصورة يمكن تـــرجيح رأي الفقيه على رأي المحدث، وهذا على كل حال بالنسبة للمقلد الذي لا معرفة عنـــده بطرق الترجيح! وأما بالنسبة للمتبع فقد يترجح عنده رأي المحدث على رأي الفقيـــه لأدلة ظهرت له.

وأما إذا كان منشأ الخلاف بين الطرفين إنما هو اختلاف الـــدليل فأحـــدها يحـــتج بالحديث والآخر بالرأي والقياس أو بحديث ضعيف، فههنا لا تظهر الفائـــدة مـــن التفريق الذي ذكره الشيخ، بل تكون النتيجة خلاف ما قصد إليه الشيخ -حفظه الله تعالى-، ولنوضح هذا بمثال: رجل سها فصلى الظهر خمساً، فالحنفية تقول إن هذه الصلاة باطلة إن لم يكن قعد قدر التشهد وسجد في الخامسة، وان كـــان قعـــد في الرابعة قدر التشهد فقد تمت له الظهر والخامسة تطوع، وعليه أن يضيف إليها ركعة

---

[1] رواه مسلم (٦/ ٥٢ - ٥٣) عن ثوبان، والبخاري عن معاوية، وروى الحاكم في " معرفة علوم الحديث " (ص ٢) بإسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٢٥٠) عن الإمام أحمد أنه قال في معنى هذا الحديث: " إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم " وروى الترمذي وغيره عن ابن المديني قال: " هم أصحاب الحديث "، وبه جزم البخاري كما في الفتح (١/ ١٣٤).

[2] رواه نصر المقدسي في " الحجة على تارك المحجة " كما في " مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة " للسيوطي (ص/ ٤٨).

ثم يتشهد ويسجد سجدتي السهو، وهذا يخالف مخالفة ظاهرة حديث الشيخين، عن ابن مسعود قال: صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الظهر خمساً فقيل له أزيد في الصلاة؟ قال: " وما ذاك "؟ قال: صليت خمساً، فسجد سجدتين بعـــدما ســـلم فليس في الحديث ما يقوله الحنفية من إضافة الركعة السادسة، ولا أنه -صـــلى الله عليه وسلم- جلس للرابعة، ولهذا ذهب إلى ظاهر الحديث الجمهور فقالوا: من صلى الظهر خمسا يكفيه سجدتا السهو، ولو لم يقعد في الرابعة.

فههنا نسأل فضيلة الشيخ: هل الفرق الذي ذكرته له تأثير في هذه المسألة وأمثالهـــا، بمعنى هل يجوز للمحدث الذي نشأ مثلاً على المذهب الحنفي أن يأخذ بهذا الحديث ولو خالف المذهب، أم تقول: إنه يجب عليه التمسك بالمذهب ولو خالف الحديث بناء على " إن المحدثين كالصيادلة والفقهاء كالأطباء "؟ فإن قلت بالأول فقد وافقت الدعاة إلى السنة فإنه الميدان الذي يدعون الناس إليه، وان قلت بالثاني -لا سمح الله- فهو مخالفة للكتاب والسنة، وخروج عن تقليدك لإمامك الذي أمرك بتقديم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قوله! كما أنه يلزمك أن تصف الجمهور من الأئمة الذين أخذوا بظاهر هذا الحديث بأنهم كالصيادلة، والذين خالفوه كالأطباء!!

أيها الصديق، إن الفهم في الدين ليس محصوراً بطائفة دون أخرى، فلا يلـــزم مـــن اختصاص البعض في علم الفقه أن يكون مصيباً في كل ما يستنبطه من الشرع كما لا يلزم من اختصاص الآخر في علم الحديث أن يكون مخطئاً في كل ما يستنبطه منه، فالمرجع إذن هو الدليل، فمن قام الدليل على إصابته ومعرفته للحق فيما اختلف فيه الناس كان هو الفقيه سواء كان معروفاً بالتخصص في الحديث أو الفقه، ولـــذلك كان الأحرى بك أن ترد على أنصار السنة في بعض المسائل التي تراهم أخطأوا فيها الحق على ما تقتضيه الأدلة الشرعية لا حسبما يلزم من المذهبية الضيقة، إنـــك لـــو

قبلت ذلك لظهر للناس أي الفريقين أهدى سبيلا، ولساعد ذلك المسلمين على السير في هذا المنهج العلمي الجديد، الذي يعين على كشف الحقائق، وتقريب وجهة الخلاف بين المسلمين ما استمروا فيه.

٤ – ثم قال الشيخ:

" وإن الصحابة أنفسهم لم يكن فيهم إلا مئة ممن يفتي، وإن مئة الألف من المسلمين الذين توفي عنهم الرسول –صلى الله عليه وسلم– كانوا يرجعون إلى هذه المئة ولا يجتهدون لأنفسهم ".

قلت: وهذه هفوة من الشيخ –حفظه الله–، فمن أين له أنه لم يكن في الصحابة إلا هذا العدد من المفتين؟! ونحن نقطع بأنهم كانوا أكثر من ذلك بكثير لأنه اللائق بفضلهم وصحبتهم للنبي –صلى الله عليه وسلم– وإن كنا لا نستطيع أن نعين عددهم إلا أنه قد نص من قوله حجة في هذا الموضوع على عدد أكثر مما ذكره الشيخ، بل جزم بأن كل من تشرف بصحبته –صلى الله عليه وسلم– والتلقي من علمه أفتى الناس، فقال الإمام ابن حزم [١]: " وكل من لقي النبي –صلى الله عليه وسلم– وأخذ عنه أفتى أهله وجيرانه وقومه، وهذا أمر يعلم ضرورة، ثم لم ترو الفتيا في العبادات والأحكام إلا عن مائة ونيف وثلاثين منهم " [٢].

---

[١] الأحكام في أصول الأحكام ٥/ ٩١ – ٩٢.

[٢] وأقره على هذا العدد المحقق ابن القيم في " إعلام الموقعين "، وقد سرد فيه أسماء هؤلاء المحققين من الصحابة فليراجعها من شاء.